المدينة

دراسة فى علم الاجتماع الحضرى

تأليف
حسين عبد الحميد أحمد رشوان

ماجستير فى العلوم الاجتماعية
ماجستير فى علم الاجتماع
مدرس بجامعة حلوان — فرع الاسكندرية
مدرس بجامعة قسطنطينة — الجزائر سابقا

المكتب الجامعى الحديث
٢٢ ش الدكتور على رامز - محطة الرمل - إسكندرية
١٩٨٢

اهداءات ٢٠٠٠

ا.د. قباري محمد اسماعيل
أستاذ الاجتماع بآداب الإسكندرية

المدينة

دراسة فى علم الاجتماع الحضرى

تأليف

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

ماجستير فى العلوم الاجتماعية

ماجستير فى علم الاجتماع

مدرس بجامعة حلوان — فرع الاسكندرية

مدرس بجامعة قسنطينة — الجزائر سابقا

المكتب الجامعى الحديث

٢٢ شارع الدكتور على راشد - محطة الرمل - الاسكندرية

١٩٨٢

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذى الأستاذ الدكتور / محمد عاطف غيث — عميد كلية الآداب وأستاذ ورئيس قسم الإجتماع بجامعة الإسكندرية لما قدمه لى من عون علمى غزير . إننى ما زلت وسأظل أذكر له مواقفه الطيبة التى كانت دافعاً لى نحو التزود بالعلم والمعرفة .

كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور / محى مصطفى حموده — عميد كلية الفنون الجميلة بالإسكندرية وأستاذ ورئيس قسم العمارة لثقته بى آخذاً فى الاعتبار توجيهات سيادته التى كان لها أكبر الأثر فى إخراج هذا المؤلف .

وأقدم شكرى وتقديرى كذلك للأستاذ الدكتور / محمد صفى الدين حامد أستاذ م . بقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالإسكندرية ، والدكتور / سمير بيومى مدرس العمارة بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية للاحظاتهما التى أمدانى بها ولما قدماه لى من عون .

إليكم جميعاً أتقدم بأسمى مشاعرى وأعز أمانى ، داعياً لكم بالتوفيق والصحة .

أكتوبر ١٩٨١

المؤلف

حسين عبد الحميد احمد رشوان

محتويات الكتاب

	أرقام الصفحات من	إلى
المقدمة	١	٣
الفصل الأول : ماهية علم الإجتماع الحضرى . . .	٤	٥١
المجتمع المحلى	٤	
نشأة علم الإجتماع الحضرى . . .	٩	
تصنيف المدن	٢٨	
سمات المدن	٣٧	
تعريف المدينة	٤٣	
المدينة ظاهرة إجتماعية . . .	٤٥	
ماهية علم الإجتماع الحضرى . .	٤٨	
الفصل الثانى : نشأة المدن ونموها	٥٢	١٣٧
تقديم	٥٢	
مراحل نمو المدن	٦٠	
عوامل نمو المدن	٦٢	
العوامل الجغرافية . . .	٦٢	
نسق القرابة	٧١	
العوامل السكانية . . .	٧٤	
« الإقتصادية . . .	٩١	

أرقام الصفحات

من — إلى

العوامل السياسية والحربية . ١٠٥
« الثقافية . . . ١١٥

الفصل الثالث : المدن فى البلدان النامية . . . ١٣٩ — ١٦١
تقـديم ١٣٩
المدن فى آسيا ١٤٣
المدن فى افريقيا ١٤٤
المدن فى مصر ١٤٨
تصنيف المدن فى مصر . . ١٥٨
المسكن الحضرى فى مصر . . ١٥٩

الفصل الرابع : مشكلات المدن . . . . . ١٦٣ — ١٧١

الفصل الخامس : تخطيط المدن ١٧٣

تقـديم ١٧٣
تخطيط المدن فى المراحل الأولى
من التاريخ . . . ١٧٥
تخطيط المدن فى مصر الفرعونية . ١٧٦
« « « العصر اليونانى . ١٧٦
« « « « الرومانى . ١٧٧
« « فى العصور الوسطى . ١٧٧
« « « عصر النهضة . ١٨١

أرقام الصفحات

من — إلى

تخطيط المدن فى العصر الحديث . ١٨٢
أهداف التخطيط الحضرى . . ١٨٩
مبادىء تخطيط المدن . . ١٩١
ما يجب مراعاته عند تخطيط
المدن ١٩٢
إجراءات تخطيط المدن . . ٢٠٧
الصعوبات المتصلة بالتخطيط الحضرى ٢٠٩

المراجع ٢١٥

فهرست الجداول

رقم الجدول	رقم الصفحة	البيـــــان
١	١٨	إحصاء عام ١٩٥١ يبين مقارنة ريفية / حضرية لنسبة النساء إلى الرجال بالألف .
٢	٣١	يبين تقسيم المدن حسب عدد السكان في مصر عام ١٩٤٧
٣	٧٥	يبين زيادة عدد السكان فى العالم .
٤	٧٧	يبين عدد سكان العالم بالمليون .
٥	١٠٢	يبين توزيع سكان المدن فى العالم .

المقـــدمة

تستهدف هذه الدراسة إلقاء الضوء على المدينة باعتبارهـا ظاهرة اجتماعية يختص بدراستها علم الاجتماع الحضرى الذى ينتمى إلى علم الاجتماع العام .

والتفكير فى المدينة هو محاولة قديمة . فقد تناولها الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو، كما كتب العالم الإيطالى جيوفانى باتيرو ١٥٩٨ كتابا بعنوان «عظمة المدن The Greatness of cities » . ونظر علماء السياسة إلى المدينة باعتبارها وحدة من القوانين أو شكلا من أشكال الحكومات . كذلك اهتم المؤرخون بتاريخ المدن . وتناول علماء الجغرافيا المدن من زاوية مهن سكانها وموقعهـا وتوزيع المساحات الفيزيقية .

واهتم علماء الاجتماع بدراسة المدن . ويتمثل ذلك فى دراسة تشارلس بوث الحياة والعمل لسكان لندن ١٨٨٩ . وألف أدنا فيبر كتابا بعنوان « نمو المدن فى القرن التاسع عشر GThe rowth of cities in the Nineteenth Century » ونشر ماكس فيبر كتابه « المدينة Die Stadt » .

ومن المفكرين من فسر المدن فى ضوء ثنائيات تقـابل بين المجتمـع الريفى والمجتمع الحضرى . ومنهم من فسرها فى ضوء العوامل الإيكولوجية ؛ ومنهم من تناولها فى ضوء القيم الثقافية .

وقد استخلصت من هذه النظريات فرضـا مؤداه أن العوامل الجغرافية ، والاجتماعية كالقرابة والدين والسكان ، والعوامـــل الاقتصادية والسياسية والحربية تلعب دوراً كبيرا فى نشأة المدن ونموهـا ، ويترتب على ذلك أن المخطط الحضرى يجب أن يضع هذه العوامل فى اعتباره عند تخطيط المدن أو إعادة تخطيطها .

ولتحقيق هذا الفرض أستخدمت المنهج التاريخى . فقــد تتبعت إرتباط الظواهر الاجتماعية بظاهرة نشأة المدن وعوامل نموهــا وتطــور العمارة عبر التاريخ . واستخدمت كذلك المنهج المقارن . إذ قارنت بين المدن فى العصور المختلفة ، وبين مدن القرن العشرين فى العالم الشرقى والغربى ومــدن المجتمعات النامية . كما لجأت إلى المنهــج الإحصائى ، ذلك أن تطبيق النمــاذج الإحصائية يساعد على تحليل الحقائق ، وأن كمال العلم هو فى إمكانية صيــاغة نتائجــه فى فى صور كمية . كذلك بأن المنهج الإحصــائى هـو الوسيلة التى تستخدم فى دراسة الظواهر التى لا نستطيع أن نجرى عليها التجارب. وتطبيقاً لذلك أوردت العديد من الأرقام والجداول الإحصائية وقمت بتحليلها .

واستخدمت فى هذه الدراسة سبعة وسبعين مرجعــا ، يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات رئيسية ، كتبا عربية أذكر منها على سبيل المثــال لا الحصــر كتاب د زيدان عبد الباقى : « علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية » ، و د. عبد المنعم شوقى : علم الاجتماع الحضري . أما المجموعة الثانية فهى كتب أجنبية مترجمة مثل كتاب جيرالد بريز : مجتمع المدينة فى البــــلاد النامية . والمجموعة الثالثة كتب أجنبية منها كتاب Ma m, Peter, An Approach to Urban Sociology وكتاب Morsis, R. N., Urban Sociology .

وتصنف هذه المراجع كذلك إلى مجموعتين رئيسيتين ، مجموعــة تخص علم الاجتماع الحضري ، ومجموعة ثانية تخص المدن والعمارة ، أذكر منها كتاب د. كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ، وكتاب لويس ممفورد : المدينة على مر العصور ، وكتاب : Richard, Brian, Moving in cities .

وقد قسمت هذا المؤلف إلى خمسة فصول تناولت فى الفصل الأول ماهية علم

الاجتماع الحضرى ، ونشأته ، وتصنيف المدن وتعريفها وسماتها ، وخلصت من ذلك إلى إعتبارها ظاهرة اجتماعية .

وتناول الفصل الثانى نشأة المدن ومراحل نموها ، والعوامل التى تعمل على نشأتها ونموها ، وهى العوامل الجغرافية ونسق القرابة والعوامل السكانية والاقتصادية والسياسية والحربية والثقافية .

وفى الفصل الثالث ألقيت الضوء على المدن فى البلدان النامية ـ دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ففى هذه البلدان تعد المدن ظاهرة قديمة تضرب بجذورها فى أعماق الماضى البعيد . وهى فى الواقع دراسة فى التناقض بين القديم والجديد ـ أى بين رواسب الحياة الريفية والتجديدات الواردة من الغرب .

وتناولت فى الفصل الرابع مشكلات المدن ، فقد نتج عن عملية التنمية الحضرية الكثير من المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعمرانية كالجريمة والصراعات السلالية ، وتكدس السكان فى مساكن ضيقة سيئة التهوية ، هذا بالإضافة إلى مشكلات المرور ، والإضاءة والمياه والمجارى .

وأخيرا تناولت فى الفصل الخامس تخطيط المدن من حيث لا يقتصر تخطيطها على الاعتبارات الفيزيقية التى تتمثل فى الموقع والحجم ، بل ويقوم على استراتيجية مؤداها إدراك أهمية المظاهر الديموجرافية والاجتماعية والثقافية والسلوكية . ولهذا تسهم علوم الهندسة المعمارية والمدنية وعلوم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والسياسة مساهمة فعالة فى عملية تخطيط المدن .

وأرجو أن أكون قد وفقت ، والله ولى التوفيق .

أكتوبر ١٩٨١ | المؤلف
حسين عبد الحميد أحمد رشوان

الفصل الأول

ماهية علم الاجتماع الحضرى

يهتم علم الاجتماع الحضرى بدراسة الجماعات التى تعيش فى نموذج معين من الجماعات يطلق عليه المجتمع المحلى الحضرى . ويستدعى ذلك توضيح مفهوم مصطلح « المجتمع المحلى » .

المجتمع المحلى

أستخدمت كلمة مجتمع محلى إستخدامات مختلفة وتعددت تعريفاتها . ومع ذلك فما زال معناها يكتنفه الغموض . وهى كلمة تشير إلى جماعة من الناس يصنفون طبقاً لمعيار معين . فالمجتمع المحلى فى رأى خبراء الشئون الاجتماعية للدول العربية الذين عقدوا مؤتمرا فى القاهرة عام ١٩٥٥ هو مجموعة من الأفراد تتميز حياتهم بطابع ثقافى مشترك، ويتميز بكل أو بعض الخصائص الآتية :-

١ — بقعة جغرافية محددة ثابتة إلى كبير .

٢ — مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة .

٣ — مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية ، تستثير فيهم الشعور والإحساس بالإنتماء لمجتمعهم .

ويؤخذ على هذا التعريف أنه أغفل أهمية وجود مؤسسة أو بناء تنظيمى يمكن عن طريقه أن يحقق أفراد المجتمع أهدافهم ... كما أنه وإن كان قد عرض لبعض خصائص المجتمع المحلى، فإنه قد جانبه الصواب فى تحديد جوانب

أخرى تشكل فى مجموعها محور المضمون فى عملية تنمية المجتمع كلها [1] .

ويميز المجتمع المحلى التفاعل بين أعضائه. ويحدث هذا التفاعل بدرجات متفاوتة بين الجماعات المختلفة . ويعتبر جورج لندبرج و ر. م ماكيفر من أنصار هذا الإتجاه . فقد عرف جورج لندبرج [2] المجتمع المحلى بأنه تجمع من الناس يتوفر فيه أدنى درجة من التجانس الجغرافى والتفاعل . أما ماكيفر [3] فقد عرف هذا المصطلح فى كتابه « المجتمع المحلى community » بأنه منطقة للحياة العامة تتمثل فى القرية أو المركز town ، أو مقاطعة district أو الريف country أو منطقة أكثر إتساعا . وهى تتميز عن المناطق البعيدة عنها ، حيث تتسم الحياة العامة بسمات تميزها عن غيرها ، كحدود المنطقة ، وأنماط الأخلاق والتقاليد وأسلوب الحديث . وتلك هى مظاهر الحياة العامة . كما ينظر إلى المجتمع المحلى باعتباره جزءاً من مجتمع أكبر .

ويتبين من ذلك أن كلا من لندبرج وماكيفر قد تناول مصطلح المجتمع المحلى من منظور مختلف ، ومع ذلك فقد أتفقا على الأسس الآتية : —

١ — أن المجتمع المحلى يرتبط بمنطقة جغرافية .

٢ — تشير كلمة مجتمع محلى إلى تجمع من الناس يتميزون بطابعهم الخاص فى حياتهم العامة،أو أشكال التفاعل التى تميزهم عن غيرهم من التجمعات الإنسانية الأخرى .

---

١ — محمد كامل البطريق / محمد جمال شديد : تنمية المجتمع المحلى — دراسة تحليلية للأساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع والأبعاد الرئيسية لدى تطبيقه بناحية فى المجتمعات الريفية ص ٢٩ .

2 — Mann, Peter, An Approach to Urban Sociology p. 186

3 — Ibid. p. p. 186 — 187.

٣ — أن المجتمع المحلى مصطلح نسبي ، إذ ينظر إليه باعتباره مجتمع يتميز عن المجتمعات الأخرى ، وهكذا فالمجتمع المحلى يعتبر مسألة درجة .

كما ينظر إلى المجتمع المحلى باعتبار بناء وديناميكية . ويشير البناء إلى تنظيم المجتمعات المحلية واختلاف بعضها عن بعض من حيث الشكل والحجم . أما الديناميكية فتشير إلى عمليات التفاعل وأنماط التغير . وتعتبر التربة الأساس البنائى للمجتمع المحلى ، فهى تمد الإنسان بالغذاء والمياه [1] .

ويرى كونينج Koning [2] أن المجتمع المحلى لم يختف أو ينهار كلية بظهور الثورة الصناعية والحضرية . واعتبر سكنور schnore المجتمع المحلى وحدة أساسية للبناء الاجتماعى . وتتمثل عناصره فى المظهر الديموجرافى والإيكولوجى والبنائى . ويؤخذ على هذا التعريف أنه أستخدم ألفاظاً غامضة مثل « الوحدة » و « الكيان » .

وذكر ردفيلد [3] فى كتابه « المجتمع المحلى الصغير » أن المجتمع المحلى يتكون من كيانات متكاملة يكون المجتمع المحلى الصغير واحدا منها . ويتكون المجتمع الصغير من عناصر هى الأفراد والقومية والحضارة . ويؤخذ على هذا التعريف أنه تصور المجتمع المحلى فى ضوء عدد من الصفات كالتباين والحجم الصغير والاكتفاء الذاتى، وتجانس السكان . كذلك فإن التجانس والاكتفاء الذاتى هي مسائل نسبية تضم عددا من الخصائص . فالقرية تشمل العديد من المهن والطبقات الاجتماعية ، وفيها يتنوع الإنتساب الدينى والسياسى .

1 — Southwick, Charles H., Ecology and the Quality of Our Environment p. p. 321 — 322

2 — Worseley, Peter and others. Introducing Sociology p. 249

3 — Ibid , p. 250

كما يستخدم مصطلح « المجتمع المحلى » لوصف ثقافة فرعية أو فئة من الناس سواء من الناحية الجغرافية كما فعل هيكورى كورنرز Hickory Korners فى كتابه « مدينة نيويورك » ، أو من الناحية السسيولوجية كدراسة مجتمع scholars ومجتمع الزنوج (١) .

وجملة القول فإن كلمة « مجتمع محلى » تشير من وجهة النظر السسيولوجية إلى جماعات من الناس تعيش فى مساحـة صغيرة من الأرض تجعلهم فى اتصال مستمر ، ينتج عنه التفاعل بين أعضائها ، ويعدهم هذا التفاعل للعمل على وحدة المجتمع الذى يعيشون فيه وعلى تماسكه ، ويتميزون بثقافة عامة ونسق اجتماعى ينظم نشاطاتهم ، وخبرات مشتركة ومؤسسات خاصـة تنظم العلاقات بينهم . وكلما نمى هذا المجتمع وكبر حجمه ، كلما ازداد عدد أفراده وتعقـدت نظمه الاجتماعية . وهكذا فالمجتمع المحلى هو جماعة إقليمية محلية .

ويستبين من ذلك أن وجود عدد قليل من المساكن مثـل كفر أو مزرعة لا يشكل مجتمعا محليا . فالأفراد فى هذه الكفور أو المزارع يتنقلون من مكان إلى آخر سعيا وراء سد حاجاتهم .

ويتضح من هذا التعريف أن المجتمعات المحلية تنتج عن التجارب الانسانية وهى تتضمن :

١ — الخصـــائص السكانية مثل عدد السكان ، والكثافة ، والجنس ، والعمر .. الخ .

٢ — طبيعة ومدى المنطقة (الحجم وخصوبة التربة والمنـاخ والمصـادر والطبوغرافيا) التى يشغلها السكان .

1 — Horton, Paul B. and Hunt L., Sociology p. 416

٣ — الاحتياجات البيولوجية ، على أن يوضع فى الاعتبـــار الاختلافات العمرية والجنسية ، والاحتياجات المكتسبة كالقيم والرموز والأهداف — أى الثقافة التى تستخدم لتعديل الدوافع البيولوجية والسيطرة عليها .

٤ — توزيع المهارات التكنيكية النوعية : جـرى العرف على تصنيف المجتمعات المحلية إلى ريفية وحضرية . ويقوم هـذا التقسيم على أساس حجم وكثافة السكان ، والمهنة سواء كانت زراعية أو تجارية أو صناعية .

ويؤخذ على هذا التقسيم أنه أغفل أموراً أخرى كقرية الصيد ، ومنجم التعدين ، والتجارة . كما أنه لم يضع فى اعتباره أن وسائل النقل الحديثة قللت المسافات بين الريف والمدينة ، وخضـــع المجتمعان الريفى والحضرى لنفس الظروف ، مما نتج عنه مجتمعا واحدا — لا مجتمعان منفصلان [1] .

نشأة علم الاجتماع الحضرى

يعتبر التفكير فى المدينة محاولة قديمة إلى حد كبير . فقـد تناولها الفلاسفة ووضعوها فى مرتبة أعلى من القرى ، واعتبروها مركزا للعقلانيين ومحـورا للايديولوجية والثقافة والتكنولوجيا . ومع ذلك نجد فى ثنايا بعض الكتابات تحذيرا من أخطار الحياة فى المدينة ، وتأكيدا لفضائل سكان القرى . فقد أقام أفلاطون جمهوريته فى وسط ريفى . وفى رأيه أن مدينته المثاليـة يجب أن لا تتعدى ٥٠٤٠ نسمة .

واشترط أرسطو وجوب أن يعرف كل فـرد الآخر فى المدينة . واعتبر حياة المدينة الحياة الأفضل . ومع ذلك فقد وضع الفلاحين فى مرتبة أعلى

---

1 — Ibid, p. 417.

من غوغاء المدينة ، وإن كان لا يضعهم ضمن الطبقة الحاكمة فالحكم - كما يقول أرسطو - يتطلب مهارة خاصة لا تتوفر فى الفلاحين. ولا شك أن قوة الحكومة وقوة دولة المدينة تقوم على قدرتها فى المحافظة على قوة وحيوية طبقة الفلاحين.

ويبدو أن كلا من أفلاطون وأرسطو قد فقد الثقة فى التجار وأصحاب الحرف ، ونظرا إلى حياتهم باعتبارها مثالا للخسة وعدم الفضيلة (١) .

وكان أفلاطون وأرسطو خياليين . ونقد أرسطو أفلاطون بقوله أن المدينة التى تتكون من عشرة أفراد تفتقد إلى الإكتفاء الذاتى ، ولا تستطيع أن تحكم نفسها حكما صائبا (٢) .

ولعل ظهور علم متخصص لمعالجة المدينة له موضوعه ومنهجه ونظرياته لا يزال محاولة حديثة وأول كتاب نشر هو كتاب العالم الإيطالى جيوفانى باتيرو Giovanni Batero سنة ١٥٩٨ بعنوان «عظمة المدن The Greatness of cities».

ومنذ بداية القرن السابع عشر أصبحت المدينة موضع اهتمام كثير من الباحثين فى تخصصات مثل علم الإحصاء والسكان والإقتصاد والإدارة والتخطيط والإصلاح الاجتماعى . كما اهتم الأخلاقيون بالمدينة ، واعتبروها مجرد مجموعة من القيم تجعلها مكانا مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه ، فهى مكان الوجود الإنسانى . واعتبر شبنجلر Spengler (٣) المدينة شرا يحطم كل شيء.

---

1 — Hadden, jeffrey R. and Barton, joseph j., (Eds) New Towns and Suburban Dream, Ideology and Utopia in Planning and Development p. 33.

Kitto. H. D. f. The Polis in Baker, Thalma S. (Ed). Urbanization of Man, A Social Science Perspective p. 165

3 — Bergel, Egon Ernest, Urban Sociology p 515

فهو القائل بأن « مولد المدينة موقوف على نهايتها » .

ونظر علماء السياسة إلى المدينة باعتبارها وحدة من القوانين أو شكلا من أشكال الحكومات . ويهتمون بتنمية أشكال الحكومة الحضرية ، ومشاكل الحكم فى المدينة . ويستهدفون إعادة تشكيلها وتخطيطها من خلال الوسائل التى تمكن الحكومة من القيام بذلك . كما ينظر علم السياسة إلى المدينة من زاوية تعامل الحكومة مع شكل الحياة الحضرية .

واهتم المؤرخون بالمدينة من زاوية تاريخها ، وإلقاء الضوء على فترة زمنية من سلسلة تاريخها . أما علم الجغرافيا فيدرس المدينة من زاوية مهن سكانها ، واستخدام الإنسان للأرض ، وموقعها ، وتوزيع المساحة الفيزيقية والتغيرات فى حجم الموقع [1] .

وقد أدت هذه الدراسات إلى تراكم التراث العلمى حول المدينة مما جعل البعض يقرر أن علم الاجتماع الحضري يدين بالكثير لهؤلاء المتخصصين .

وبدأ اهتمام السسيولوجيين بظاهرة الحضرية فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر . وأجريت عدة دراسات فى الولايات المتحدة وانجلترا ، من أهمها دراسة « تشارلس بوث Charles Booth » عام ١٨٨٩ للحياة والعمل لسكان لندن « Life and Labour of the People in London » وفى عام ١٨٩٩ كتب « أدنافيبر Adna Weber » بحثا سسيولوجيا بعنوان « نمو المدن فى القرن التاسع عشر The Gr wth of Cities in the Nineteenth Century » ثم نشر ماكس فيبر كتابه « المدينة Die stadt » .

1 — Benton, william (Publisher), Encyclopaedia Britannica. A Survey of Universal Knowledge, Vol. 22 p. 891

وقد صاحب هذا التقدم ظهور نظريات واتجاهات فى علم الاجتماع الحضرى ممن المفكرين من فسر المدينة فى ضوء ثنائيات تقابل بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضرى . والحق أن الإهتمام بدراسة الفروق الريفية / الحضرية قديم قدم علم الاجتماع ، وإن أرجع البعض هـذا الإهتمام إلى فترة تسبق ظهور علم الاجتماع إلى حيز الوجود . فقد أدرك الفلاسفة فى العصور القـديمة أن المدينة تختلف اختلافاً كبيراً عن الريف المحيط بها فى كثير من وجوه النشاط الاقتصادى . وتناول المفكر العربى عبد الرحمن بن خلدون فصلا فى التمييز بين البدو والحضر ، وأرجع هذه الفروق إلى مصادر الإنتاج والمهنة .

ومن المحقق أن دراسة الفروق الريفية الحضرية / اكتسبت طابعا علميا مع مطلع هذا القرن نتيجة للتطور الذى طرأ على مناهج البحث فى علم الاجتماع ، وقدم علماء الاجتماع ثنائيات تقابل بين نوعين من المجتمعات يختلفان فى الخصائص والسمات المميزة لكل منهما . فقد ميز هنرى مين بين مجتمع يقـوم على المكانة status وآخر يقوم على التعاقد . وطرح تونيز مقابلة بين مجتمع تشيع فيه روابط القرابة والعلاقات الأولية ، وآخر تسوده علاقات المصلحة والتعاقد . وأقام هوارد بيكر تفرقة بين مجتمع مقدس sacred ومجتمع علمانى secular . وميز إميل دوركايم بين مجتمع يقوم على التضامن العضوى Organic solidarity وآخر يقوم على التضامن الآلى mechanical solidarity . وحدد ردفيلد خصائص المجتمع الشعبى لكى يقابل به المجتمع الحضرى . والمجتمع الشعبى فى رأيه مجتمع متجانس يربط بين أعضائه إحساس قوى بالتضامن ، والسلوك فيه تقليدى وشخصى ، وهذا المجتمع يطغى عليه كل ما هو مقـدس على كل ما هو علمـانى ، كما أن الاقتصاد يعتمـد على المكانة أكثر من اعتماده على السوق .

وحدد لويس ويرث الخصائص المميزة للمجتمع الحضرى فى مقـاله الشهير « الحضرية كأسلوب للحياة Urbanism as a way of life » ، وذكر أن المجتمع الحضرى يتميز بالحجم والكثافة واللاتجانس . فكلما زاد عددالسكان وعظم تباينهم ، وضعفت الروابط القرابية والجيرة،تظهر المنافسة وميكانزمات الضبط الرسمى . وأضاف أن الحضرية كأسلوب فى الحيـــاة تتميز بالعلمانية Secularization ، وظهور الجماعات الثانوية ، والميل نحو تفتت الأدوار وعدم وضوح المعايير .

أما سوروكن Sorokin وزمرمان Zimmerman (1) ، فقد اعتبرا المهنـة المعيار الرئيسى للفروق الريفية / الحضرية . وينبثق عن هذا المعيار سلسلة من الاختـــلافات تتبلور فى ثمانية خصائص تستخـــدم للمقـارنة بين الريف والحضر ، وهي :

١ — المهنة Occupation

٢ — البيئة Environment

٣ — حجم المجتمع Size of Community

٤ — كثافة السكان Density of Population

٥ — التجانس واللاتجانس فى السكان
Heterogeneity and Homogeneity of Population

٦ — التمايز والتدرج الاجتماعى
Social Differenciation and Stratification

٧ — الحراك Mobility

٨ — نسق التفاعل System of Interaction

---

1 — Mann. Peter, op. cit. p. 7

١٠ - المهنة

يعمل غالبية سكان الريف فى الزراعة ، من زرع ورى وحصد وتسويق ، وبعض المهن القليلة غير الزراعة كالصيد والتعدين ، ويصنع الفـــلاح جلبابه وخبزه وجبنه وزبده فى بيته ، أى يكون مكتفيا بذاته . بينما يعمل غالبيـة سكان المدينة فى مهن الصناعة والتجارة ومهن أخرى غير زراعية،وفى الوظائف المتخصصة ، كوظائف الإدارة والحكم . أو بصفة عامة يعمـل الحضريون فى كل الأعمال غير العمل الزراعى .

ويستخدم البعض هذه الخاصية لقياس ما إذا كان المجتمع ريفيا أم حضريا، فإذا كان أكثر من ٥٠ ٪ من سكان منطقة من المناطق يعملون بالزراعـة ، اعتبرت المنطقة ريفية وصار المجتمع ريفيا . وإذا قل عدد العاملين بالزراعة عن ٥٠ ٪ أعتبرت المنطقة حضرية والمجتمع حضريا .

وتكاد تثبت إحصاءات السكان فى ج م ع صحة هـذا المقياس ، إذ يبين تحليلها أن هناك تناسبا عكسيا بين امتهان الزراعة ودرجة التحضر فى المجتمع ، فكلما زادت نسبة العاملين فى الزراعة قلت درجة حضرية المجتمع ، والعكس من هذا صحيح تماما . ولقد كان المتوسط التقريبى لنسب العاملين بالزراعة والمهن الأخرى على النحو التالى : (١)

فى القرى الصغيرة : وصل عدد المشتغلين بالزراعة حوالى ٨٠ ٪ والمهن الأخرى حوالى ٢٠ ٪ .

فى القرى الكبيرة : وصل عدد المشتغلين بالزراعة حـوالى ٧٠ ٪ والمهن

١ — د عبد المنعم محمد بدر : مجتمعنا الريفى ص ٩٢ — ٩٣ .

الأخري حوالى ٣٠ ٪ .

في المدن الصغيرة : وصل عدد المشتغلين بالزراعة حـوالى ٣٣ ٪ والمهن الأخرى حوالى ٦٧ ٪ .

في المدن الكبيرة : وصل عدد المشتغلين بالزراعة حـــوالى ٧ ٪ والمهن الأخرى حوالى ٩٣ ٪ .

٢ ـ البيئة :

تسيطر البيئة الطبيعية على البيئة الاجتماعية والأنثروبولوجيـة في الريف ، وتقوم علاقة مباشرة بين الإنسان والطبيعـة أو الأرض ، بينما يسيطر إنسان المدينة على الطبيعة والبيئة التى يعيش فيها ، وهو يعدل ويغير فيها .

٣ ـ حجم المجتمع :

يقوم في الريف المزارع المفتوحة والمجتمعات الزراعية الصغيرة . ويرتبط الريف بحجم المجتمع إرتباطا عكسيا . بينما يكبر حجم المجتمع الحضرى عن المجتمع الريفى . وترتبط الحضرية بحجم المجتمع إرتباطا إيجابيا .

٤ ـ كثافة السكان :

يقل عدد السكان وكثافتهم في المجتمع الريفى ، إذ تتميز المجتمعات المحليـة الريفية بانخفاض كثافتها في نفس المجتمع وفي نفس الفترة ، فعدد السكان الذين يعيشون في الكيلو متر المربع في الريف أقل منه في المدينة ، إذ تزداد كثافة السكان في المدينة ، وترتبط الحضرية بكثافة السكان إرتباطا إيجابيا .

ويرجع هذا إلى أن المدينة تعتبر مركز جذب لـكثير من نواحي النشاط التى لا يتمكن أى مجتمع ريفى من اجتذابها مثل مراكز الثقـافة (كالجامعات وقصور الثقافة ودور السينما والمسرح إلخ) ، ومراكز التجـــارة الـكبرى

(الجملة والقطاعى) ، ومراكز الحرف والصناعة (كالورش والمصانع) ، ومراكز الإدارة (كالوزارات والمصالح والشركات إلخ)، ومراكز الترويح (كالأندية ومراكز الشباب وحمامات السباحة والحدائق والمقاهي) ، ومراكز السياحة (كالفنادق والمتاحف والملاهي) .

وقد اختلف معظم الباحثين فى تحديد الحد الأدنى لعدد سكان المدينة . ففى ايرلنده — مثلا — يعتبر الحد الأدنى لسكان المدينة ١٥٠٠ شخصا ، بينما تصل فى فرنسا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا وتركيا إلى ٢٠٠٠ شخصا ، وفى الولايات المتحدة والمكسيك ٢٥٠٠ شخصا ، وفى هولنده واليونان ٥٠٠٠ شخصا [1] .

ووضع لورى نلسون [2] المقاييس الآتية للتميز بين المناطق والتجمعات السكانية المختلفة على الوجه التالى :

١ — اعتبار التجمعات التى يقل عدد سكانها عن ٢٥٠ نسمة كفورا .

٢ — اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ٢٥٠ — أقل من ١٠٠٠ نسمة قرى صغيرة .

٣ — اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ١٠٠٠ — أقل من ٢٥٠٠ نسمة قرى كبيرة .

٤ — اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ٢٥٠٠ — أقل من ٥٠٠٠ نسمة مراكز (بنادر) .

---

١ — د. مصطفى الخشاب : مقدمة فى دراسة الاجتماع الحضرى ص ٦٢ .

٢ — د. عبد المنعم محمد بدر : المرجع السابق ص ٨٩ .

٥ — اعتبار التجمعات التى يبلغ عـــدد سكانها من ٥٠٠٠ — أقل من ١٠٫٠٠٠ نسمة مدنا صغيرة .

٦ — اعتبار التجمعات التى يبلغ عدد سكانها من ١٠٫٠٠٠ فأكثر مدنا .

أما هيئة الأمم المتحدة فقد جعلت الرقم القياسى المميز بين الريف والحضر هو ٢٠٫٠٠٠ نسمة لأى مجتمع إنسانى .

٥ ـ التجانس واللاتجانس السكانى :

من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية واللغوية والمعتقدات وأنمـــاط السلوك فسكان الريف بالمقارنة بسكان الحضر يتميزون بأنهم أكثر تجانسا ومعنى هذا أن الريفية ترتبط إرتباطا سلبيا باللاتجانس . بينما يتسم سكان الحضر باللاتجانس ويرتبطون به إرتباطا إيجابيا[1] .

٦ ـ شكل التمايز والتدرج الاجتماعى :

تقل درجة التمايز والتدرج فى المجتمع الريفى عن المجتمـع الحضرى . ففى الريف يعرف كل فرد مركزه ، وكيف يتعامل مع الأعلى أو الأقل منه وللحسب والنسب أهمية كبرى فى الريف ، فترتبط أهمية الفرد بأهمية الأسرة التى ينتمى إليها ، ومقدار ما تملكه هذه الأسرة من أرض . بينما يرتبط التمايز والتـدرج بالمجتمع الحضرى إرتباطا قويا . ومع ذلك تقـل التفرقة فى المدينـة بين الغنى والفقير ، وبين الرئيس والمرءوس ، وبين العالم والجاهل .

٧ ـ الفروق فى شدة الحراك :

تقل مرونة الحراك فى المجتمع الريفى . بينما ترتبط الحضرية بالحراك إرتباطا

1 — Mann, peter, op. cit. 16

مطرداً ، وذلك عدا فترات الإنهيار ، الذى تزداد فيها الهجرة من المدينة إلى القرية(١) .

٨ ـ أنساق التفاعل :

يسود الريف العلاقات الأولية والشخصية والدائمة والوثيقة والعميقة وتتسم هذه العلاقات بالبساطة والإخلاص . ومؤدى هذا اعتماد المجتمع الريفى على التقاليد والعادات والعرف . بينما يتسع فى المدينة مجال العلاقات غير الشخصية والعابرة والنفعية والمؤقتة والرسمية والسطحية . ومؤدى هذا اعتماد المجتمع الحضرى على القانون والشرطة لحماية المجتمع .

وبالإضافة إلى الفروق السابقة هناك فروق أخرى نجملها فى الآتى :—

١ ـ البناء السكانى :

ا ـ الجنس :

تزداد نسبة النساء فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية . كما تزداد نسبة الإناث مع زيادة حجم المنطقة الحضرية . ويسود النساء خاصة بعد سن النضوج . ويبين إحصاء عام ١٩٥١ فى انجلترا وويلز التفاصيل الآتية :

المنطقة	١٩٢١	١٩٣١	١٩٥١
انجلترا وويلز	١ر٠٩٦	١ر٠٨٨	١ر٠٨٢
لندن	١ر١٢١	١ر١١٨	١ر١١٢
جميع المناطق الحضرية	١ر١١٤	١ر١٠٧	١ر١٠٧
جميع المناطق الريفية	١ر٠٢٤	١ر٠١٧	ـ٩٨٣ر

جدول رقم(١) (٢)

لإحصاء عام ١٩٥١ يبين مقارنة ريفية / حضرية لنسبة النساء إلى الرجال بالألف

1 — Ibid. p. 20

2 — Ibid, p. 30

ب ـ العمر :

يتشكل البناء العمري فى المناطق الحضرية تشكيلا رأسيا ، حيث تزداد نسبة الشباب ويرجع هذا إلى هجرة الشباب من القرى إلى المدن ، مما يؤدى إلى الإضرار بمصلحة الريف . وهكذا يفتقر سكان الحضر إلى الصغار وكبار السن . وتتراوح نسبة الأعمار فى المناطق الحضرية ما بين ٢٥ — ٦٤ عاما [١] .

حـ ـ الجنسية :

يسكن المناطق الحضرية نسبة كبيرة من الأجانب ، وذلك عكس ما هو موجود فى القرية [٢] .

د ـ الاحصاءات الحيوية :

المواليد : تعتبر نسبة المواليد فى القرية أعلى منها فى المدينة [٣] .

الوفيات : يزداد معدل الوفيات فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية. وترتبط زيادة معدل الوفيات فى المدينة مع كبر حجمها إرتباطا إيجابيا [٤] .

الأمراض العقلية : تزداد نسبة الأمراض العقلية فى المدينة عنه فى القرية.

الخدمات الطبية : يزداد عدد المستشفيات والأطباء فى المناطق الحضرية عنه فى المناطق الريفية [٥] .

---

1 — Ibid p. 31

2 — Ibid. p. 36

3 —. Ibid. p. 39

4 — Ibid. p. 41

5 — Ibid. p. 53

٢ ـ الأسرة :

تمتاز الأسرة الريفية بالتماسك ، بعكس الأسـرة الحضرية التى تبدو فيهـا مظاهر التفكك ، ومن مظاهر التماسك فى الأسرة الريفية بقاء نظام "العائلة المركبة"[١].

٣ ـ التعاون :

يمتاز أهل الريف عن أهل الحضر بتعاونهم فى الملمات والمشكلات ، فإذا شب حريق هب أهل القرية جميعهم لإطفاء الحريق ، وإذا ماتت جاموسة فى القرية قام الريفيون بجمع المال لتعويض صاحب الجاموسة فى خسـارته . أما فى المدينة فلا يكاد شخص يتحرك إذا نما إليه أن هنـاك حريق فى الشارع الذى يسكنه ، أو إذا علم أن تاجرا يسكن فى نفس العمارة أصـابته خسارة فى تجارته .

ـ الدين :

يختلف المجتمع الريفى عن الحضرى من حيث التمسك بالدين ، فالريفى يتمسك بدينه كما شرحه له الأئمة ، على أن الحضرى (وخاصـة المثقف) قد لا يعترف بذلك أو يأخذه على علاته ، فهو يرى فى الدين مفاهيم جديدة ويفهمه على أنه أيضا علاقات وعمل واجتهاد فى الحياة بجانب كونه صلاة وصوما وحجا .

٥ ـ الدخل :

يختلف المجتمع الحضرى عن المجتمع الريفى من حيث الدخـــل ، فمتوسط الدخل فى المدينة يزيد عنه فى الريف ، وذلك لاعتماد أهل الريف على الزراعة .

---

١ ـــ د عبد المنعم شوقى : علم الاجتماع الحضرى ـــ الطبعة الثالثة ـــ مكتبة القـــاهرة الحديثة ١٩٦١ ص ٦٨

ويؤثر هذا فى كثير من النواحى المعيشية لسكان الريف وسكان الحضر ، فى المنزل والعمل وفى طريقة قضاء وقت الفراغ (١) .

٦ — المظاهر الثقافية .

يمتاز المجتمع الحضرى عن المجتمع الريفى باتصاله بمنابع الثقافة سواء أكانت محلية أو عالمية . فالمدينة هى مركز النشاط الثقافى وملتقى ثقافات العالم . وقد أدى هذا إلى تطورات كبيرة فى المجتمعات الحضرية من حيث استخدام التكنولوجيا الحديثة ، ومن حيث تبنى سكانها لأساليب الحياة الحضرية . ونظرة واحدة إلى طريقة المعيشة فى الريف وأدوات الزراعة والرعى والحصاد تكفينا لأن ندرك مدى بطء التغير فى الريف . أما فى المدينة فيكاد الإنسان يرى تغيراً فى كل يوم . فالريفى يستعمل البترول فى الإضاءة ، والحضرى يستعمل الكهرباء ، والريفى يستعمل الحمار فى الانتقال ، والحضرى يستعمل السيارة أو الترام ، والريفى يستعمل الزير لحفظ الماء وتبريده ، والحضرى يستعمل الصنبور والثلاجة ، والريفى يستعمل الزريبة للتخلص من فضلاته والحضرى يستعمل المرحاض . ويختلف (الإتيكيت) فى القرية عنه فى المدينة بحكم الأوضاع فى كل مجتمع ، ففى القرية تأمر الأم أولادها أثناء الطعام بالأكل من الناحية القريبة من الطبق ، لأن الجميع يأكلون من صحن واحد ، ثم هى تأمره بالتقليل من الطعام وتكبير قطعة الخبز توفيراً للطعام فى المجتمع الفقير . أما فى المدينة فتكاد تكون جميع نظم الطعام مستمدة من الغرب لتأثر المجتمع بالثقافة الغربية .

---

١ — د عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٦٩ .

وتختلف فى بلادنا ملابس سكان المدينة عن ملابس سكان القرية ، فالرجال يلبسون البدلة بدلا من الجلباب ، والنساء تخرجن فى الطرقات بملابس ملونة تكشف عن الساعد والأذرع ، وحتى أولاد البلد يلبسون زيا مختلفا يميز أهل المدينة عن أهل الريف .

وتختلف أيضا مهارات المدينة عن مهارات الريف ، فالمرأة الحضرية أكثر مهارة فى تنظيم المنزل وأكثر تزينا فى لبس (الكعب العالى) مثلا ، بينما تفوق المرأة الريفية أختها الحضرية فى المهارة والرشاقة فى فرد الرغيف على المطرحة وحمل البلاص وهز خضاض اللبن .

٧ — التقسيم الادارى :

وهو من أهم الطرق أو المقاييس أو المحكات التى تميز بين الريف والحضر . وتأخذ به ج . م ع . والسويد وبولنده ورومانيـا .

ويعتمد هذا المقياس على مدى وجود المؤسسات باختلاف أشكالها ونوعيتها فى منطقة من المناطق ، فهو يعتبر مـدنا المناطق التى تظهر فيها بعض سمات التحضر وتمتع ببعض المرافق الحيوية وبعض مؤسسات الخدمات كالنوادى والمستشفيات والمدارس والمحـاكم ومراكز الشرطة . . . وغيرها ، فضلا عن المؤسسات التجارية والصناعية . أما المناطق التى لم تصل بعد إلى هذه الدرجة من التحضر والتطور فهى فى نظر التقسيم الإدارى قرى .

وبعبارة أخرى فإن التقسيم الإدارى (عندنا) يعتبر عواصم المحافظات (المدن) ، وعواصم المراكز (البنـادر) فقط مناطق حضرية ، وماعـداه هذا منـاطق ريفيـة .

وانطلاقا من هذا التصور جاء تقسيم جمهورية مصر العربية الإدارى إلى

ريف وحضر سنة ١٩٦٦ على الوجه التالى(١) : —

عدد

٢٥ محافظة — بعواصمها ومدنها الكبرى — وهي القاهرة، والإسكندرية بورسعيد ، الإسماعيلية ، السويس ، القليوبية (بنها) ، الشرقية (الزقازيق)، الدقهلية (المنصورة) ، (دمياط) ، المنوفية (شبين الكوم) ، الغربية (طنطا) كفر الشيخ، البحيرة (دمنهور) ، الجيزة ، الفيوم ، بنى سويف ، المنيا ، أسيوط سوهاج ، قنا ، أسوان، مرسى مطروح ، البحر الأحمر، سيناء ، الوادى الجديد .

١٠٨ — بنادر ومدنها المتوسطة والصغيرة - أهمها : قليوب وطوخ (قليوبية) ، فاقوس وأبو كبير (شرقية) ، دكرنس والسنبلاوين (دقهلية) ، فارسكور ورأس البر (دمياط) ، منوف وبركة السبع (منوفية) ، كفر الزيات والمحلة الكبرى (غربية) ، دسوق وقلين (كفر الشيخ) ، كفر الدوار وإيتاى البارود (بحيرة) ،البدرشين والصف (الجيزة) ، الواسطى وسنورس (الفيوم) ، الفشن ومغاغة (بنى سويف) ، سمالوط وملوى (المنيا) ، أبو تيج ومنفلوط (أسيوط) ، نجع حمادى والبلينا (سوهاج)، الأقصر وإسنا (قنا) ، إدفو وكوم امبو (أسوان) .

١٣٣ (المجموع) مدينة كبيرة ومتوسطة وصغيرة (بما فيها البنادر)

٢٣٦٩ قرية بالوجه البحرى .

١٦٦٤ قرية بالوجه القبلى .

٤٠٣٣ (المجموع) قرية مختلفة الأحجام .

١ — د. عبد المنعم محمد بدر : المرجع السابق ص ٨٥ — ٨٦

ويؤخذ على هذا الإتجاه أنه من الصعب تصور علم الإجتماع الريفى وعلم الإجتماع الحضرى على أنهما مجالان منفصلان ، طالما أن علم الإجتماع يبحث فى القوانين العامة التى تحكم المجتمعات حيث يتساوى الريف والحضر فى الإستمرار، ويقترب الريف من الحضر . فما تزال بعض المدن تجمع فى خصائصها ووظائفها خصائص ووظائف الحياة المدنية ، ونجد فيها بعض السمات الريفية بجانب الحياة الحضرية . وبالمثل نجد أن مظاهر النشاط العمرانى فى كثير من القرى وبخاصة المجاورة لحدود المدن الكبيرة والداخلة فى نطاقها تقترب إلى حد كبير فى مظاهر النشاط العمرانى من الحضر بحيث يبدو أن التمييز بين الحضر والريف هو تمييز نظرى أو رسمى أكثر منه تمييزا يستند إلى طبيعة الحياة الإجتماعية .

ولا نقصد من ذلك تماثل الريف والحضر بل نعنى أن تأثير المدينة واضح ومستمر ، إلى الحد الذى يصعب فيه التمييز بين الريف والحضر ، وبالتالى بين علم الإجتماع الريفى وعلم الإجتماع الحضرى. ففى المجتمع الأمريكى خاصة يخضع كل من أهل الريف والحضر لنفس وسائل الاتصال وأساليب السيطرة والخضوع التى تتمثل فى مراكز الشرطة والقانون والمحاكم والسجون . وبالتالى لاتختلف أساليب حياة الناس التى تعيش فى مراكز المدن الرئيسية والتى يزيد عدد سكانها عن المليون عن حياة الناس الذين يعيشون فى مدن صغيرة towns تقع على تقاطع المواصلات [1] . فهم جميعا يقعون تحت نفس الظروف، وتتوحد سماتهم الشخصية ويستجيبون لرموز واحدة ويتوافق طموحهم وأذواقهم وشكل ملابسهم ويؤدون نفس الأعمال .

---

1 — Rouceck, joseph, Contemporary Sociology, Urban Sociology, p . p. 324 — 325

وفى فرنسا يكاد التمييز بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة يكون معدوما. حيث يبدو تنقل السكان دائما بين القرية والمدينة. كما أن وسائل الاتصال كالتليفزيون والراديو شكلت طريقة واحدة فى المعيشة لكل من سكان القرية والمدينة (١).

وينطبق نفس الحال على دول أخرى مثل الاتحاد السوفييتى والصين (الشعبية) وبعض الدول الإشتراكية الأخرى، حيث تتبنى تلك الدول لأسباب أيديولوجية قضية مؤداها إلغاء الفوارق بين الريف والحضر، والقرية والمدينة إلغاء تاما. وبالتالى عدم الفصل بين ما هو ريفى وما هو حضرى فى الدراسات الإجتماعية.

ولاشك فى أن أى مجتمع يقوم فيه حضارتان ، حضارة محلية ، وحضارة قومية ، وتقوم بينهما تأثيرات وعلاقات متبادلة . كذلك فإن تقسيم أى مجتمع إلى ريفى ـ حضرى إنما هو تقسيم تعسفى إذ ليس هناك مجتمع ريفى قروى خالص ومجتمع حضرى مدنى خالص ، بل إن هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بالخصائص الحضرية والريفية ، تبدأ من القرية الصغيرة حتى المدينه الكبيرة (٢).

وترجع صعوبة إبراز الفروق الريفية / الحضرية إلى أربعة عوامل هى : العامل الريفى ، والحضرى ، والماضى ، والحاضر . إذ كيف نقارن بين الريف والحضر دون أن نضع فى اعتبارنا الزمن الذى حدثت فيه المقارنة ، حيث يستطيع عالم مقارنة قرية فى العصر الحالى بقرية فى عصر مضى ، بينما يستطيع آخر أن يقارن قرية فى عصر مضى بمدينة فى العصر الحالى . وتتضح المقارنة باستخدام هذه المتغيرات الأربعة طالما كان البعد الزمنى واضحا .

---

1 — Trystam, jean - paul, Sociologie et Urbanism Paris Editions de L'Epi, 1970, p. 25

٢ — د. عبد المنعم محمد بدر : المرجع السابق ص ٨١ .

وتقع الصعوبة الأخرى فى تحديد المقصود من كلمة مجتمع ريفى . فهـذا المصطلح يمكن أن يطلق على قرية بدائية فى أفريقيا، وعلى قرية فى الولايات المتحدة الأمريكية يعيش سكانها فى حالة ثراء[١] .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد اهتم بعض علماء الاجتماع خاصة بعـد الحرب العالمية الثانية ، ببحث المشاكل الاجتماعية لسكان المدن، بينما اهتم آخرون ببحث مشاكل الريف ، خاصة أن الفروق بين الريف والحضر تبـــدو واضحـة فى المجتمعات النامية . فقد تحولت كثير من المجتمعات الريفية إلى مجتمعات حضرية. وترتب على ذلك تحولا وتغييرات جوهرية فى مظاهر الحياة الاجتماعية وأنماط العلاقات والتفاعل والسلوك وطريقة الحياة ، مما دفع علماء الاجتماع إلى إستخدام منهج المقارنة بين المجتمعات الريفية والحضرية لفهم هذه التغـيرات التى لا تزال تحدث حتى الآن .

ويقوم الإتجاه الثانى على المفاهيم الإيكولوجية . وكانت معـرفة الإنسان بالإيكولوجيا من خلال علم البيولوجيا والطب . فقد أطلق البيـولوجيون على الاعتماد المتبادل بين المكونات البيولوجية والفيزيقية نسقـاً إيكولوجيـــا ecosystem [٢] .

وأشار هيبوقـراط [٣] (٤٦٠ — ٣٧٧ ق. م) إلى وجـود عناصـــر إيكولوجية فى جينات الصحة والأمراض. وتناول كتابه «On Airs, Waters and places» الجوانب البيئية.

1 — Mann, Peter, op. cit. p. p. 4 — 5

2 — Ehrlich, Paul R. and Ehrlich, Anne, Population Resources Environment Issues in Human Ecology. p. 157

3 — Southwick Charles, H., Ecology and the Quality of Our Environment p. 146

أما الإيكولوجيا الإنسانيه هي تلك التغيرات التي تحدث في توزيع السكان والنظم ، فهي تعدل وفق نشاطات الإنسان ، وما يبذله من جهود في السيطرة على المناطق الصحراوية والمائية ، وأراضي الغابات (١) . وتعتبر المدينة نسقاً إيكولوجيا غير كامل . فبالرغم من نمو الإنتاج الزراعي ، إلا أنه لا يكفى إمداد سكان المدن بالطعام . ويعود نقص الإنتاج الزراعي في المدن إلى صغر حجم الأرض الزراعية . وهكذا تبدو المدن أنساقا إيكولوجية غير كاملة . إذ يظهر اعتمادها في الطعام على المناطق الزراعية المحيطة بها . وهي لا تقتصر على استيراد الطعام من المناطق الريفية ، ولكنها تستورد كذلك الهواء النقى والمياه . ومع ذلك فهي تقوم بتصدير الإنتاج، ويزدهر فيها العمل والاسكان والنقل والتعليم، وتنشأ فيها المجارى وما إلى ذلك. وإذا قطعت المدينة علاقاتها عما يحيط بها من مناطق ، فإنها تموت جوعا وعطشا . وهكذا تتبدى أهمية الاعتماد المتبادل بين المدينة والمناطق المحيطة بها (٢) .

ويرجع تأكيد مفهوم المدينة وتفسير الحياة الحضرية في ضوء المفاهيم الايكولوجية في العصر الحديث إلى مدرسة شيكاغو . فقد كتب « روبرت بارك » Robert Park مقالا عن المدينة نشر عام ١٩١٥ ، ثم ضمنه مع مقالات أخرى كتابه عن « المدينة » الذي صدر عام ١٩٢٥ . ويعتبر هذا الكتاب نقطة البداية في التأليف العلمي المتخصص في علم الاجتماع الحضري .

ويسعى إتجاه آخر نحو تفسير التنظيمات الايكولوجية والاجتماعية الحضرية في ضوء القيم الثقافية . ومن أنصار هذا الاتجاه فون جرونباوم Von Grunebaum الذي كتب مقالا عن المدن الإسلامية . وأوضح هذا

1 — Ehrlich, Paul R. & Ehrlich, Anne, op. cit. p. 163

2 — South. Charles H., op. cit. p. 167.

المقال أن المدن الإسلامية التقليدية تتميز على وجه الخصوص بطريقة فريدة في الحياة ، حيث تؤثر القيم الدينية على نشاطات الحياة الحضرية . ففى فترات منتظمة خلال اليوم يؤذن المؤذن لدعوة المؤمنين إلى الصلاة ، وهـذا إجـراء يشغل إلى حد ما مكانا فى النشاطات اليومية . وخلال شهر رمضان يعدل الناس من نشاطاتهم لكى تتفق مع القيود الدينية التى يفرضها الصوم من شروق الشمس حتى غروبها . وفى هذا أيضا يتحول إنجاز بعض الأعمال من النهار إلى الليل ، كما قد تتوقف بعض المشروعات الاقتصادية .

أما وليم وايت Whyte ، فقد ذهب إلى أن القيم الثقـافية تعتبر مسئولة عن الحقيقة التى مؤداها أن بعض الناس يفضلون الإقامة فى المنـاطق الحضرية الأمريكية بعد أن يعيشوا فترة من الزمن فى الضواحى ، وهـذا بدوره يؤثر على حجم المدن وكثافتها (١) .

تصنيـف المـدن

تعتبر المدينة بصفتها نموذج لمجتمع حضرى ظاهرة قديمة يرجع تاريخها إلى ما يقرب من ٧٠٠٠ سنة . وهى تعتبر كذلك إنعكاسا لتزايد التعقد الاجتماعى، واستجابة لظروف اجتماعية وثقافية وجغرافية. وقد انعكس هذا على أساسها الوظيفى الذى يختلف باختلاف الزمان والمكان . فوظائف مدينة عام ١٩٥٠ تختلف عن وظائف مدينة عام ١٩٦٠ على الرغم من احتفاظها بالمكان الذى تقوم عليه وبنفس البناءات الداخلية التى تحتوى عليها . كما تنعكس هـذه الظروف على طبيعة وخصائص تنظيم المدينة الاجتماعى والايكولوجى ، بحيث تبـدو فى النهاية عبارة عن توزيع ايكولوجى للأفـراد والأنشطة والخدمات ،

---

١ — د محمد الجوهرى وآخرون : دراسات فى علم الاجتماع الريفى والحضرى ص ٥٥ ـ ٥٦

يحدد فيه الموقع المكانى لكل وحدة ، وعلاقتها مع غيرها من الوحدات الأخرى ، خاصة وأن النتيجة النهائية لترابط هذه الوحدات تتمثل فى نوع من التنظيم والبناء له خصائص مميزة . وتؤدى مثل هذه الظروف إلى اختلاف المدن بعضها عن بعض من زوايا عديدة بعضها مظهرى وبعضها أساسى . ولكل مدينة شخصيتها المستقلة . فمدينة شبين الكوم تختلف عن مدينة المحلة الكبرى ، وكلتاهما تختلف من مدينة السويس .

ومع ذلك فيمكن تصنيف المدن فى مجاميع متشابهة مع بعضها ، بحيث تبدو هناك خصائص لكل مجموعة منها . واستخدم فى ذلك معايير متعددة . ومن ثم ظهر عدد من تقسيمات المدن يستند بعضها إلى متغير واحد . ومن هذه التقسيمات :

أولا : تقسيم المدن من حيث الحجم :

يعتبر تصنيف المدن من حيث الحجم أبسط هذه التصنيفات . وقلما يستعمل علماء الاجتماع هذا المعيار ، فيما عدا استخدامه عند التفرقة بين الريف والحضر فقد أوضح مان Mann الاختلافات التقليدية بين الريف والحضر فى بريطانيا عام ١٩٥١ . وقسم دنكان Duncan وريس Reiss المدن الأمريكية إلى أحد عشر نموذجا حسب حجمها[1] . وقسم فيليب هاوزر Ph. Hauser المدن الى ما قبل صناعية Pre. Industrial وصناعية ومتروبوليتانية .

ومن تلك التقسيمات التى تضع معيار الحجم أساساً لتقسيم المدن تقسيمها إلى :

---

1 — Morris, R. N., Urban Sociology, Studies in Sociology p. 26

١ – المدينة الصغيرة Town :

وهي تعني بلدة أو مدينة صغيرة تتميز عن الوحدات الصغرى (القرى) ، وعن الوحدات الكبرى (المدينة city) . وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على المنطقة الريفية التي تقع على بعد كبير منه . كما تتمتع بأهمية ثقافية كبيرة ، فهي مقر الحكومة ، وهي المركز الديني للبلاد ، وتمارس المدينة الصغيرة town نوعا من التجارة البسيطة الداخلية . إلا أنها تفتقد إلى التقسيم الواضح للعمل على المستوى الإقليمي .

٢ – المدينة الصناعية city :

وتتميز بتقسيم العمل ، وينتظم وجودها حول الانتاج الذي تنتجه وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على الإقليم برمته ريفه وحضره .

٣ – المدينة Metropolitan :

وهي المدينة العظمى أو المدينة الكبيرة . وتتميز بخصائص المدينة الصناعية بشكل مكثف . وفيها يحل إستخدام آلة الإحتراق والكهرباء محل استخدام الآلة التي يديرها البخار .

ثانيا : تقسيم المدن من حيث عدد السكان :

هو أسهل هذه التقسيمات لارتباطه بتعقد الحياة في المدينة — وقد طبقته معظم الدول في تقسيماتها الإدارية . ففي فرنسا – مثلا – كل مجموعة من السكان تعيش في مركز واحد يبلغ عددها أو يزيد عن ألفين نسمة تعتبر مجموعة حضرية ، وكل مركز يقل عدد سكانه عن هذا الرقم يعتبر قرية يدخل في عداد الريف . وفي ايرلنده كل مجموعة يبلغ عددها ١٥٠٠ نسمة تعتبر مركزا حضريا . وفي

الولايات المتحدة يصل الرقم إلى ٢٥٠٠ نسمة ويرتفع الرقم إلى خمسة آلاف في بلجيكا وهولندة واليونان والهند [١] .

وفى مصر توزع مدنها حسب عدد سكانها طبقاً لإحصاء عام ١٩٤٧ إلى الآتى :—

السعة السكانية	عدد السكان
مدينة صغيرة (أقل من ٢٥٫٠٠٠)	٧٦
مدينة متوسطة (من ٢٥٫٠٠٠ — ٥٠٫٠٠٠)	١٣
مدينة كبيرة (من ٥٠٫٠٠٠ — ١٠٠٫٠٠٠)	١١
مدن كبرى (١٠٠٫٠٠٠ فما فوق)	٦
الجملة	١٠٦

جدول رقم (٢)

يبين تقسيم المدن حسب عدد السكان فى مصر عام ١٩٤٧ [٢]

وفى القاهرة والاسكندرية يزيد عدد السكان عن مليون نسمة ، بينما فى مدن صغيرة أخرى يعيش فى كل منها ٢٥٫٠٠٠ . ومن هذا يتضح أن النسبة الكبرى من سكان الحضر يعيشون فى مجتمعات تمتاز بشدة تعقدها، بينما يعيش الأقلية فى مجتمعات حضرية أخرى أقرب إلى القرى منها إلى المدن . وهكذا أصبح عدد السكان الأساس المعمول به فى تصنيف المدن فى معظم البلاد .

١ — د. مصطفى الخشاب : مقدمة فى دراسة الاجتماع الحضرى ص ٦٢ .

٢ — د. عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٣٠

ثالثا : تقسيم المدن من حيث تطورها التاريخي :

تركت المراحل التاريخية المختلفة آثارها على المدن من حيث طرق البناء وطرق حياتها المختلفة . ولهذه التقسيمات أهميتها العظمى فى تتبع الحضارات التى أثرت في كل مدينة .

رابعا : تقسيم المدن من حيث العوامل الاجتماعية والثقافية :

قام بعض العلماء بتصنيف المدن فى ضوء العوامل الاجتماعية والثقافية . فقد ميز ردفيلد Redfield وسنجر Singer بين المدن التى تسودها العقيدة الأرثوذكسية orthogenetic ، والمدن التى تخالف تلك العقيدة heterogenetic ففى الأولى تتساند وتقوى وتستقر النظم الاجتماعية والثقافة السائدة ، بينما تستجيب الثانية للتغير الاجتماعى . وميز فيبر weber بين مدن النبلاء ومدن الدهماء طبقا للطبقة الاجتماعية التى تستحوز على السلطة السياسية . وميزهاوزر Hauser وسكنور Schnore بين مدن البدائيين ومدن الإقطاع . فمدن الإقطاع يتكلم أهلها لغة مكتوبة ، ويتوفر فيها صفوة متعلمة ، وهي أكثر قدرة على مجابهة صدمة التحضر الصناعى على البناءات الاجتماعية . كما تنقسم المدن فى جنوب أفريقيا إلى مدن نشأت فى ظل الاستعمار الأوربى ، ومدن كانت قائمة قبل دخول الاستعمار الأوربى أفريقيا . أما مدن العصور الوسطى فهى تنقسم إلى مدن إقتصادية وأخرى سياسية وثالثة يزداد فيها العقلانيون .

خامسا . تصنيف المدن حسب المتغيرات الاقتصادية :

وتصنف المدن كذلك حسب المتغيرات الاقتصادية . فقد قسم بريس Breese المدن إلى مدن صناعية ، وأخرى إدارية ، وثالثة تجارية . وأكد لامبارد Lampard أن الصناعة السائدة كانت أساس تصنيف المدن فى القرن التاسع عشر ، وأن نمو المدن يرتبط بمعدل النمو الإقتصادى . وصنف هاريس

Harris وأولمان Ullman المدن حسب موقعها المركزى إلى مدن النقل والمدن ذات الوظائف المتخصصة . ويمتد تأثير المدن ذات الموقع المركزى إلى خارج نطاق المدينة حيث يوجد نوعيات من المدن الأخرى أقل درجة فى تأثيرها . أما مدن النقل فيها يتم نقل السلع من خط من خطوط المواصلات إلى خط آخر .

وصف كارل ماركس المدن فى ضوء علاقات الإنتاج ، وميز بين مدن العبيد والمدن الإقطاعية والمدن الرأسمالية والاشتراكية . وصنف فانس vance وسوتكر Sutker وبوج Begue المدن فى ضوء التنظيم والاستثمار التجارى ، ووضعوا فى اعتبارهم حجم المدينة وسيطرتها على ما حولها من قرى . وأشار هوزليتز إلى وظيفة المدينة فى ضوء نموها الإقتصادى ، وصنف المدن إلى مدن منتجة Conerative ومدن طفيلية Parasitic . والمدن المنتجة هي المدن التى يعود تأثيرها بالفائدة على نموها الاقتصادى، أى إذا كان تكوينها ووجودها المستمر ونموها من العوامل المسئولة عن النمو الإقتصادى للإقليم أو المنطقة التى توجد فيها المدينة . أما المدن الطفيلية فهى المدن الاستهلاكية . ويرى هوزليتز أنه يمكن أن تتحول المدينة من نمط إلى آخر[١] .

سادسا : تقسيم المدن من حيث درجة تقدمها :

حاول ثورنديك[٢] تقسيم المدن من حيث كمية ونوع الخدمات التى

---

1 — Morris. R. N., op cit. p p. 26 — 26 — 27

وانظر بيريز (جيرالد) مجتمع المدينة فى البلاد النامية — دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ص ١٠٧

٢ — د. عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٣٠

تؤديها لسكانها ، فقسم الخدمات إلى ٣٧ نقطة تقع فى ستة أقسام عامة : الصحة والتعليم والترويح والإقتصاد وتسهيلات عامة ثم تنزيلات . واكتشف من هذه الدراسة أن هناك إرتباط عام بين التقدم والتأخر فى المدن . فالمدن التى بها نسبة تعليم مرتفعة مثلا يكون سكانها أحسن حالا من الناحية الاقتصادية والصحية والترويحية .

سابعا : تقسيم المدن من حيث الأعمال التى تؤديها :

تختلف المدن من حيث الأعمال التى تؤديها . وقد وضع جيلست هالبرت[1] تقسيما سداسيا مستخدما هذا المعيار ، وهي :

أ — مدينة صناعية	د — مدينة ثقافية
ب — مدينة تجارية	هـ — مدينة صحية وترويحية
حـ — مدينة سياسية	و — مدينة متعددة الأغراض

أما بيرجل Bergel [2] فقد صنف المدن فى سبع فئات تشتمل كل فئة منها على عدة أقسام فرعية وهي :

أولا : المراكز الاقتصادية :

آ — مراكز الانتاج الأولى (الاستخراجى)

١ — مدن الصيد

٢ — مدن التعدين

٣ — مدن البترول

---

١ — نفس المرجع : ص ٣٢

٢ — د كمال سعيد د. حسن همام د سعد جمعه : علم الاجتماع الحضرى ص ٥٢ — ٥٤

ب ـ مراكز الصناعة :

١ — مراكز الصناعه الكبيرة

٢ — مراكز الصناعة المتوسطه

٣ — مراكز الصناعة الصغيرة

حـ ـ مراكز التجارة :

١ — مراكز التجارة العالمية

٢ — مراكز التجارة القومية

٣ — مراكز التجارة المحلية

د ـ مراكز النقل :

١ — الموانى

٢ — مراكز النقل الداخلى

هـ ـ مراكز الخدمات الاقتصادية :

١ — خدمات مالية

٢ — التأمين

٣ — خدمات متنوعة

ثانيا : المراكز السياسية :

أ ـ مراكز السياسة المدنية :

١ — مراكز عالمية

٢ — مراكز السياسة القومية

٣ — مراكز السياسه الإقليميه

٤ — مراكز الإدارة الإقليمية

ب ـ المراكز الحربية :

١ — مدن القلاع

٢ — قواعد حربية ومراكز تدريب

ثالثا : المراكز الثقافية :

ا ـ المراكز الدينية :

١ — مراكز الحكم الدينى

٢ — مدن الحج

٣ — مدن تذكارية

ب ـ مراكز ثقافية دينية :

١ — مناطق التعليم العالى والبحث

٢ — مراكز إقتصادية للإنتاج الثقافى كالطبع والراديو والتليفزيون والسينما

٣ — مدن المتاحف

٤ — مدن الأضرحة لكبار الأدباء والفنانين وغيرهم

رابعا : مراكز ترويحية :

١ — المدن الصحية

٢ — مدن الأجازات « المشاتي والمصايف »

خامسا : مدن سكنية :

١ — الضواحى السكنية

٢ — مدن المحالين إلى المعاش

سادسا : مدن ومزية :

وهذه الفئة لا توجد لها أقسام فرعية حيث أنها تضم مجموعة كبيرة من المدن ترمز كل منها إلى فئة معينة كروما وبيت لحم والناصرة وموسكو ·

سابعا : مدن متعددة الوظائف :

وهي تشمل ما تبقى من المدن التى تتعدد وظائفها دون أن يكون لها تخصص واضح تشتهر به .

وهكذا تمثل كل مدينة ظاهرة فريدة لا تتكرر . ومع ذلك فسوف نحاول فى الجزء التالى إبراز سمات عامة المدن .

سمات المدن

تمثل كل مدينة ظاهرة فريدة لا تتكرر ، وبالتالى فمن الصعوبة إطلاق سمات عامة للمدن ، إذ تفسر كل مدينة فى ضوء ظروفها التاريخية وعوامل نموها وما صاحب ذلك من ملابسات. ومع ذلك فقد حدد لويس ورث Louis worth [1] خصائص التحضر فى مقالتـــه الشهيرة « التحضر كأسلوب للحيـــاة Urlanism as a way o' Life هى : الحجم ، والكثافة ، واللاتجانس · وترتبط هذه العناصر فيما بينها إرتباطاً وثيقاً ، مما يؤدى إلى وجود تجمع من الناس يتسم بكبر الحجم وشدة الكثافة واللاتجانس . ويعمل هؤلاء الناس فى تعاون من أجل إنجاز تنظيم معقد فى المدينة . كما تتسم المدينة / بالطابع الجزئى للعلاقات الاجتماعية مع الإتجاه إلى إستخدام العقل فى التبرير المنطقى . وكذلك

I) Morris R. N. op. cit. p. I5

وانظر د . نبيل السمالوطى : التنمية والتحديث الحضارى ـ الجزء الاول ـ تحليل للابعاد الإجتماعية والقيمية للتنمية الاقتصادية ص ١٠٩ .

الاعتماد على بيئة صناعيــة يتزايد فيها تحــكم الإنسان فى حياته ووقته وإنتاجه وعلاقاته .

ونحاول هنا إلقاء الضوء على السمات العامة للمدن :—

١ ـ المهنة :

تخصصت المدينة خلال مراحل التاريخ فى واحد أو أكثر من الوظائف الآتية :—

الوظائف الإجتماعية : الدفاع ، الدين ، الثقافة ، الإدارة ، الترفيه .

الوظائف الاقتصادية : التجارة ، الصناعه ، الإنتاج ، الخدمات .

وفى العصور الحديثة نجد أن المدينه ليست مجرد وحدة جغرافية وإيكولوجية فقط ، بل هى فى الوقت ذاته وحدة إقتصادية . ويستند التنظيم الاقتصادى فى المدينة على مبدأ تقسيم العمل . والتالى لا نجد وظيفة واحدة للمدينة ، فنشاطها الرئيسى يحتاج إلى عدد من الخدمات والأنشطة الأخرى . إذ تجذب المراكـز التجارية الصناعة . وتحتاج الصناعات الكبرى إلى التجارة . وتجتذب المراكز الحكومية والأنشطة الثقافية . وبذلك تصبح للدينة موطنـا متعـدد الوظائف يخدم أغراضاً متعددة . ويترتب على ذلك أن لكل فـرد فى المدينة مهنـة أو وظيفة معينة . وعلى ذلك يعيش فى المدينة الأخصائيون فى الوظائف القيـادية والدينية والتربوية ، والعاملون فى المهن الهندسية والفنية ، والزعماء والسياسيون وكبار التجار ، بالإضافة إلى تركز أغلب صور النشاط الإجتماعى والحياة المدنية .

وينتج عن ذلك أن المدينة تنقسم إلى مواقع ومناطق متميزة يتحدد لكل منها وظيفة معينة أو نشاط خاص . فهناك أقسام للسكن ، وأخـرى للتجارة ، وثالثة للصناعة ، ورابعة للنزهة والترويح ، كما تنقسم أقسام السكن إلى مناطق

الطبقات الفقيرة ، وأخرى لسكن الطبقات المتوسطة ، وثالثة لسكن الطبقات الغنية .

وتتداخل هذه الأقسام فيما بينها بعض التداخل، فليس هناك أقسام للسكن فقط ، وللتجارة فقط ، وإنما هناك أقسام يغلب عليها طابع السكن ، وأخرى يغلب عليها طابع التجارة ، وهلم جرا . ويجذب كل قسم منها نوع خاص من الناس والخدمات ، كما يطبع كل منها ثقافة خاصة. ويتغير بعض سكان الأقسام من فئة إلى أخرى عن طريق التعليم ، أو إزدياد الدخل ، ينتقل هؤلاء من قسم لآخر فى المدينة بما يتمشى مع أوضاعهم الجديدة .

ويرتبط النمو الحضرى إرتباطا وثيقا بالتصنيع فى البلاد الصناعية. إذ تتسم المدينة بقيام الانتاج على المنتجات الصناعية . ويظهر ذلك فى النهضة الصناعية الحالية فى كثير من البلاد الآسيوية والأفريقية . ويزداد النمو الحضرى بازدياد المصانع، بالإضافة إلى إزدياد المنتجات الأدبية والفنية والأعمال الادارية والتنظيمية .

٢ — المظاهر الثقافية :

تمتاز المدينة بأنها كبيرة ومتنوعة ومحلاتها التجارية واسعة تبيع مختلف البضائع. كما أنها مزودة بالأضواء وإعلانات ألوانها زاهية ،وبها ميادين فسيحة وتماثيل ونافورات وأندية وحدائق ، وبها سينما ومسارح ومعارض ومتاحف وحمامات للسباحة وحدائق للحيوانات ومقاهى .

وفى المدينة ترى العمارة الحديثة إلى جوار المبنى القديم المتآكل، وترى قصر الغنى وبجواره عدة أكواخ ، وترى السيارات الفخمة وبجوارها السيارة التى عفى عليها الدهر ، وترى حى الأغنياء ملاصقاً لحى الفقراء . كل هذه

الأضداد تتجمع فى المدينة . والمدينة بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة . وهى تسمح بل وتشجع تأكيد الفروق الفردية باستمرار . والناس طبائع متباينة ، وهم يتكلمون أشكالا مختلفة من اللغات أو اللهجات، ويلبسون أنماطا متعددة، ولهم قيم بعضهاأقرب إلى قيم الريف وبعضهامستورد من الخارج، وبعض الناس هازل وبعضهم الآخر جاد ، وبعضهم هادىء والبعض الآخر سريع الغضب.

ومن مظاهر المدينة حركتها العمرانية التى لا تكاد تقف، هدم وبناء فى كل جانب من جوانب المدينة . حفر فى الأرض ورصف فى الطرقات وإصلاح فى البيوت وشوارع تشق وطرق تتسع .

ووسائل المواصلات متوافرة فى المدينة فهناك سيارات خاصة وسيارات عامة مختلفة الأشكال ، وترام وقطارات تسير تحت الأرض ودراجات عادية ولوريات لحمل البضائع .

وتتسم المدينة بنشاط متدفق يدفع الناس إلى الحركة والسرعة ، فالحياة فى المدينة سريعة ، الناس يهرولون فى الشوارع ، والسيارات تتسابق فى الطرقات، وتحركات الناس فى المدينة كثيرة ، فهذا يسكن فى شمالها ، ويعمل فى جنوبها، وذاك يسكن فى شرقها ويزور أصدقاءه فى غربها ، وثالث يذهب إلى النادى بعد الظهر ، وإلى السينما أو المسرح فى المساء .

وتتسم المدينة بالازدحام ، ازدحام المواصلات ، وأزدحام أمام دور السينما، ووقت دخول وخروج الموظفين ، وأمام شبابيك البريد ، وفى المحلات التجارية وفى محطات القطارات. ومع وجود الأزدحام، فإن سكان المدن يتصرفون كأفراد قليلا ما يكلم بعضهم بعضا فى الطرقات أو فى سيارة عامة .

والنظافة من مظاهر المدينة . نظافة فى الشوارع وداخل البيوت والملابس والأطفال ، إلا أنها نظافة نسبية .

٣ ـ البيروقراطية .

ربط ممفورد بين سمة التركيز الحضرى داخل المدينة وبين إمتداد خطوط الطرق البرية وإتساع طرق التجارة عبر المحيطـــات . فكل الطرق تؤدى إلى العاصمة All Roads led to the Capital . ويقف خلف ذلك تمركز الادارة فى العواصم الكبرى وإزدياد إعتماد كل مشروع أو نشاط سياسى أو تربوى أو إقتصادى على التنظيم الإدارى القائم فى المدن والعواصم. كذلك يرى أن الاختراعات الآلية وأدوات الكتابة والطبع والنشر والتسجيل وغيرها من أدوات التحكم والتوجيه والإرشاد ساعدت على قيام ظواهر بيروقراطية الحياة الاداريه والتجارية التى تتحكم فى كثير من جوانب الحياة الداخلية والخارجية .

ولقد أدت هذه الظواهر إلى صعوبة أداء الأشياء والمهام عن طريق أدوات العمل المباشر . وأصبحت أبسط الأمور تتطلب وضع قاعدة قانونيـة تنظيمية وتتطلب اللجوء إلى مجموعة من الأسانيد والوثائق والتبريرات (١) .

٤ ـ التشريعات القانونية

تبرز التشريعات القانونية والأساليب الرسمية للضبط الإجتماعى فى المدينة لتحل محل طاعة التقاليد ، وذلك بصفتها وسيلة أساسية لتنظيم عـلاقات سكان المدن وحياتهم الإقتصادية . ذلك أن المدينة هى المركز الرئيسى الذى يحتوى على جميع المؤسسات الإجتماعية المركزية التى تجسم فيها كل أمور الانسان ذات الأهمية الحيوية .

---

١ ـ د . أحمد النكلاوى : القاهرة — دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ص ٢٩ .

٥ ـ تمتد المدينة خارج حدودها

لا تقف المدينة عند حدودها المحلية، بل تمتد خارج حدودها، وتؤثر وتسيطر على المناطق التي تقع خارج هذه الحدود . ويمثل مركز المدينة المنطقة الهامة التي تسيطر على باقي الأجزاء ، حيث تعتمد عليها المراكز الصغرى (١) .

٦ ـ الانسان الحضري

مع نمو حجم المدينة يقل معرفة الفرد بالآخرين معرفة شخصية ، وبالتالي تصبح العلاقات الاجتماعية علاقات سطحية ومؤقتة وغير شخصية . ولا يقلق الانسان الحضري كثرة الناس الذين يتصل بهم ولا ذهابهم عنه ، على الرغم من أنه يعمل باستمرار على إكتساب معارف جدد . كما أن الإنسان الحضري لا يزعجه أن يسير بين الناس في الشارع أو أن يجلس معهم في أي مكان دون أن يعرفهم ، لأنه في الحقيقة لا يهتم بهم .

ولا يتصف إنسان المدينة بالتنقل فحسب ، كما أنه لا يقف موقفاً جامداً إزاء التقاليد التي تسد طريق حريته في الحركة في نطاق مجتمع المدينة ، بل يسالك سلوكا عقلانيا سفسطائياً . ومن ناحية أخرى قد يفقد ولاءه لعائلته المباشرة، ولكنه يميل في نفس الوقت إلى أن يفقد علاقاته أو صلاته المباشرة بأقاربه الآخرين .

ومسئولية الفرد في المدنية أكثر وضوحا، لأن الفرد يتحمل مباشرة نتيجة أخطائه ، ويجني وحده ثمرات نجاحه ، فالمدينة لا تحمي الكسول المتراخي وتشجع دائما العمل الخلاق ، وتتيح الفرص أمام العاملين أن ينتقلوا إنتقالا اجتماعيا بين فئاتها المختلفة .

---

(1) Rouceck joseph, op. cit p. 89.

تعريف المدينة

فى ضوء ما سبق، يمكن القول أن المدينة City ودولة City - State كلمتان مترادفتان، يحيط المدينة مناطق ريفية، لكن سكانها منفصلين عن تلك المناطق[1].

وقد عرفت المدينة تعريفات مختلفة حسب وجهة نظر كل عالم. فمنهم من تصور المدينة إمتداداً للقرية على إفتراض أن هناك تدرجاً مستمراً بين ما هو ريفى وما هو حضرى .

ومنهم من عرف المدينة فى ضوء عدد السكان ، فقد إتفقت الهيئات الدولية على أن أى مكان يعيش فيه ٢٠,٠٠٠ نسمة فأكثر يعتبر مدينة ، حيث يتبين تزايد نسبة سكان المدن فى العالم زيادة كبيرة ، سواء كان ذلك فى البلاد المصنعة أو الغير مصنعة . وربما كان هذا التحديد العددى ملائماً للأغراض الاحصائية ، إلا أنه غير مفيد تماماً من الناحية السيسولوجية .هذا والتعريفات التى تبنى على أساس النظر إلى كثافة السكان ينبغى أن تكون مرفوضة ، لأن كثيراً من القرى ربما يكون لها نفس كثافة المدن بل تزيد عنها فى بعض الأحيان . فقرية سرس الليان من الصعب أن نطلق عليها مدينة ، بالرغم من أن عدد سكانها يبلغ حوالى الثلاثين ألف ، إذ أن مظاهر الحياة القروية أصيل فيها .

وعرفت المدينة كذلك فى ضوء إصطلاحات قانونية ، وذلك أن مكانا ما قد يطلق عليه إسم مدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن سلطات عليا . إلا أن هذا التعريف غير مرضى ، لأن المكان لا يمكن أن يكون مدينة لمجرد ظهور إعلان بذلك . كما أن هذا لا ينطبق على كثير من المدن الموجودة

---

1 — Bergel, Egon Ersnest, op cit. p. 1.

فى كثير من بلاد العالم التى نشأت وتطورت دون إعــــلان رسمى، أو دون صدور وثيقة بذلك من الجهات المختصة .

وتناول ممفورد [١] للدينة باعتبارها حقيقــة تراكمية فى المكان والزمان . ومن هذا المنطلق فان تاريخها يمكن إستقراؤه من خلال مجموعــة التراكمات التاريخية، وفى تطورها من حيث الزمان تأخذ شكلا تتابعيا من حيث الوجوه التى مرت بها ، وهى كنتيجة لذلك التتابع الزمنى تعد تراكمية فى المكان .

وقد فرع المجتمع الريفى — قسم الإقتصاد الزراعى بكلية الزراعــة — جامعة الاسكندرية إلى مصلحة الإحصاء والتعداد بوزارة المالية تعريفاً للمدن بأنها تعتبر من الحضر المحافظات وعواصم المديريات وعواصم المراكز ، ويعتبر ريفاً كل ماعدا ذلك من البلدان (٢) .

ومن العلماء من تصور المدينه على أنها مجتمع محلى يتميز بمجموعة مركبة من السمات التى يمكن إدراكها . إذ حاول البعض تعريف المدينة على أنها المكان الذى أصبح من الكبر بحيث لم يعد الناس يعرفون بعضهم بعضا . ولكننــا لا نعتقد فى صحة هذا التعريف ، لأن كثيراً من المــدن الصغيرة يعــرف سكانها بعضهم بعضا .

وربما كانت خاصية التمايز واللاتجانس الإجتماعيين أبرز ما يميز الطابع الحضرى نظراً لمــا تتصف به المدينة من إختــــلافات شديدة من حيث المهن والمراكز الاجتماعية والاقتصادية الأمر الذى يجعلنا نقول أن المدينة هى مكان يعمل فيه

(١) د. أحمد النكلاوى : المرجع السابق ص ١٨ .
(٢) د. عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٢٥ .

أغلب سكانه فى مهن متعددة عدا المهنة الزراعية وما يتصل بها من شئون .

وعرف ورث Wirth المدينة بأنها المركز الذى تنتشر فيه تأثيرات الحياة الحضرية إلى أقصى جهات من الأرض ، ومنها أيضا ينفذ القانون الذى يطبق على جميع الناس .

من جملة ما سبق يمكن أن نعرف المدينة بأنها تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة ، تعيش على قطعة أرض محدودة نسبياً ، وتنتشر منها تأثيرات الحياة الحضرية المدنية ، ويعمل أهلها فى الصناعة أو التجارة أو كليهما معاً ، كما تمتاز بالتخصص وتعدد الوظائف السياسية والاجتماعية .

ومادامت المدينة كذلك ، فهى إذن ظاهرة إجتماعية . وهذا ما سوف نبينه فى الجزء التالى .

المدينة ظاهرة اجتماعية

تعتبر المدينة ظاهرة إجتماعية . فهى أكثر من مجرد جزء من أجزاء المجتمع وهى تمثل حقيقة إجتماعية . وتعد تعبيراً عن الممارسات الجمعية للسكان الذين يعيشون ويعملون معاً . فى المدينة يتجلى إرتباطات الناس بعضهم ببعض ، وتتبدى العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، والإنجازات الحضرية . وفى المدينة تظهر المشاكل الاجتماعية الحضرية (١) . ومن خلال تطبيق شروط الظاهرة الاجتماعية على المدينة نجد أنها :—

---

1 — Reinhardt, james M & paul, Meadoves & john M., Gillette, Social Problems & Social policy. p. 172.

١ – تمتاز المدينة بأنها ذات طبيعة انسانية :-

يتميز الإنسان بثلاث طبائع : حيوية ونفسية وإجتماعية . وبمقتضى طبيعته الحيوية ، فإنه يأكل ويشرب وينتقل في الزمان والمكان . وبمقتضى طبيعته النفسية فإنه يشعر ويتألم ويلتذ ويتخيل ويفرح . وبمقتضى طبيعته الاجتماعية فإنه يعيش في مجتمع ويتعامل مع أفراده ، ويخضع لما يفرض عليه من معاملات إقتصادية وأوضاع سياسية وتربوية وتشريعات قانونية . والمدينة كمجتمع محلى نجد أنها من الضرورى أن تتعاون مع باقي المدن ، وترى المجتمع العام ، لكى تنمى بنيانها الاجتماعى وتساهم في تنمية الأبنية الاجتماعية لباقي المدن والقرى في المجتمع ، ولكى تضمن توفير الحاجات الاجتماعية لسكانها ، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق خضوع المدينة لما تخضع له باقي المدن والقرى في المجتمع من معاملات إقتصادية وأوضاع سياسية وتربوية وتشريعات قانونية وما إلى ذلك.

والمدينة أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنسانى بمعنى أن حياة الأفراد فيها تسبغ عليهم بعض الصفات، فيصدر عنهم ظواهر لا تمت بصلة إلى طبيعتهم الفردية .

٢ – المدينة تلقائية النشأة :-

حيث تكون في البداية مجرد مجموعة متناثرة من المنازل التى بنيت لمجرد الإيواء ، ثم تتجمع هذه المنازل مع بعضها البعض إلى أن تأخذ شكل قرية ، ثم تتسع تلك القرية نتيجة لتزايد السكان وتنوع حرفهم ، ثم يزداد الدخل القومى في تلك القرية فتتحول إلى مدينة صغيرة town . وعندما تتوافر في تلك المدينة الصغيرة كافة العناصر الحضرية المختلفة مثل المصانع ووسائل المواصلات ، ووسائل الإتصال الجمعى، والخدمات مثل المياه والنور وما إلى ذلك تتحول إلى مدينة رئيسية City, . ومعنى هذا أن المدينة كظاهرة إجتماعية ليست من صنع

فرد أو أفراد، ولكنها من صنع المجتمع ومن خلقـــه ، وتظهر على مسرحه بصورة طبيعية تلقـائية ، ويوحى من العقـل الجمعى الذى ينشأ عن إجتماع الأفراد ومن تبادل آرائهم وتفاعل وجهات نظرهم حول شئون الحياة الاجتماعية وإنصهار رغباتهم وإرادتهم الخاصة .

٣ ـ المدينة ظاهرة عامة منتشرة فى كل المجتمعات:

من الميسور دراسة المدينة إحصائيا ، ومن خلال تلك الدراسة يمكن التعبير عن الظواهر والأنساق الإجتماعية السائدة فى كل مدينة تعبيراً رياضيا. كما أنها تفرض نفسها على الأفراد فى سائر أنحاء المجتمع أو فى بعض قطاعاته .

٤ ـ المدينة تمتاز بموضوعيتها وشيئيتها :

وهذا يعنى أنه يمكن دراسه المدينة بوصفها أشياء خارجة عن ذواتنا وعن تجسداتنا الفردية ، ودون التأثر فى دراستنا بميولنا وآرائنا وإتجاهاتنا الخاصة. أي دراستها دراسة موضوعية . والمقصود بالشىء هنا ما يقابل الفكرة ، بمعنى أن معرفتنا بها تستمد من الواقع . فلكل مدينة تراث إجتماعى ، وهذا التراث يتضمن كثيراً من السنن الاجتماعية التى يتناقلها الخلف من السلف ، ويخضـع الأفراد لأحكامها إحتراما لسلطانها الأدبى وقداستها الزمنية .

٥ ـ المدينة تمتاز بالترابط

بمعنى أن المدينة تتصل بأجزائها من الناحيـــة المورفولوجية عن طريق المواصلات المختلفة على إعتبار أن النظام السياسى فى المدينة مثلا يرتبط بالأنظمة التعليمية والإقتصادية والدينية والإدارية والتنظيميـة . وتتصل جميـع هذه الأنظمة بالنظام الأسرى . ومن ثم عند دراسة النظام السياسي فى المدينة ، لا بد من دراسة الخلق القوى ، والوضع الاقتصادى ومدى الترابط فى النظام الطبقى

ومبلغ قوة العقيدة ، ومدى إنتشار المشاركات الوجدانية والتيارات الفكرية . وهذا يؤكد أن المدينة كظاهرة إجتماعية ترتبط بباقى الظواهر الاجتماعية الأخرى فى المجتمع .

٦ ــ المدينة مزودة بصفة الجبر والالزام

فالأفراد ملزمون بالحياة فيها عندما تكون لديهم الرغبة فى الإستمتاع بخدماتها الحضرية المختلفة مثل التعليم والترفيه والعلاج وكل ما يتصل بالحياة الحضرية الراقية .

٧ ــ المدينة تمتاز بصفة الجاذبية :

إن المنطقة التى ولد فيها الإنسان تكون محل زهو لديه . غير أن نشأة المدن وما يتوافر فيها من مظاهر حضرية جعلت الإنسان لا سيما الذى ولد فى الريف قبل الذى ولد فى المدينة يفضل الحياة فى المدينة على الحياة فى القرية التى ولد فيها لعدم توافر الوسائل والخدمات الحضرية فى القرية .

وفى ضوء هذا تبين أن المدينة ذات خصائص إجتماعية تتفق مع خصائص الظاهرة الإجتماعية ، وبالتالى فان المدينة ظاهرة إجتماعية (١) .

ماهية علم الاجتماع الحضرى

ينتمى علم الاجتماع الحضرى إلى علم الاجتماع العام وهو يعتبر دراسة جديدة ظروف موضوعها ، وهو المدينة . فالمدينة لم تصبح بعد ظاهرة طاغية مؤثرة تفرض نفسها على دارسى المجتمع إلا فى وقت حديث نسبياً . ولا نقصد من ذلك إطلاقا أن المدينة ظاهرة حديثة أو جديدة ، وإنما نقصد أن هذا النمو أصبح

---

١ - د زيدان عبد الباقى : علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية ص ٢٢ - ٣٠

يفرض نفسه، وهذا هو الجديد فى الأمر ، إذ تمتاز ظاهرة التحضر الاجتماعى ـ وهي التى يقصدبها إتساع حجم ونطاق المدن وتزايد أعداد ونسب السكان بها إلى مجموع سكان المجتمع — بديناميكيتها التى تحمل فى مضمونها عناصر التغير السريع مما يؤدى إلى تغيير إجتماعى ، بنائى ووظيفى عميق ، قد يأخذ المجتمع من حالة الريف إلى حالة التحضر . وينعكس هـذا التغير البنـائى على النواحى الوظيفية مثل التطور الحاد الذى يتصل بالأسرة وإمتدادها والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها وتطور النظام الأبوى ليتلاءم مع الحاجات الحضرية والصناعية . كما يختلف مفهوم دور النظام السياسى فى المجتمع الحضرى عنه فى المجتمع الريفى.

ومن ناحية أخرى ، فنى عصرنا الحالى إنتاب المدينة والمناطق المحيطة بهـا فى كل أنحاء العالم أزمات هائله . فبريطانيا ، وهى من أعظم دول العالم تحضراً ، صاحب التحضر فيها وجود الأحياء المتخلفة والمزدحمة بالسكان . وتتسم حركة المرور فيها بالضوضاء ولهذا يعنى علم الإجتماع الحضرى فى بريطانيا بدراسة المشاكل الناجمـة عن التنميه الحضرية . ومن ثم فهـــو لا ينفصل عن السياسة الإجتماعية [1] .

وعموما، يتناول علم الاجتماع الحضرى الحياة الحضرية أو المـدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات إجتماعية بالدراسة والتحليل . كما يقوم بتفسير الظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعى فى مناطق الإقامة الحضرية ، وتأثير الحياة الحضرية على الأفعال الإجتماعية . ويتناول الحياة الحضرية أو المدنية فى نشأتها وتطورها ووظائفهـا وأجهزتها الادارية والفنية وتقسيمهـا الطبقى والمهنى ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها . ويهتم كذلك بالمصالح والحقائق

1 — Mann, Peter, op. cit. p. 2

التي تواجه إنسان المدينة مدفوعا بعوامل إجتماعية وإقتصادية وسياسية وإدارية وتكنيكية وفن وتكنولوجيا . ويربط التنمية والوظائف الحضرية بالإطار الفيزيقي .

ويدرس علم الاجتماع الحضري هذه الظواهر دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هو كائن ، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون ، مستهدفا بذلك الوصول إلى القوانين التي تحكمها. وهو يماثل في ذلك علم الإجتماع السياسي وعلم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع الديني والعائلي . . وهكذا .

ويقابل علم الاجتماع الحضري علم الاجتماع الريفي Rural Sociology . وظهر علم الاجتماع الريفي قبل ظهور علم الاجتماع الحضري. فقد كرس مؤتمر علم الاجتماع الأمريكي الذى أنعقد عام ١٩١٦ جهده لموضوعات علم الاجتماع الريفي . بينما كرس مؤتمر علم الاجتماع الأمريكي الذي إنعقد عام ١٩٢٥ نشاطه لعلم الاجتماع الحضري (١) .

وقد جذبت ظاهرة التحضر أنظار علماء الاجتماع لأربعة أسباب هي :

١ — تعتبر ظاهرة التحضر ظاهرة حديثة نسبياً ، إذا ما قورنت بالظواهر الاجتماعية الأخرى كاللغة والدين والتدرج الاجتماعي والعائلة . فقد تمت عملية التحضر ، والتي يقصد بها معيشة نسبة كبيرة من السكان في المدن ، في مرحله متأخرة من التاريخ الانساني .

٢ — يؤدى التحضر إلى تغيير في نمط الحياة الاجتماعية . وهو ينتج

---

1 — Benton, william (Publisher), Encyclopaedia Britannica. A Survey of universal Knowledge, vol. 22, p. 894

عن التنمية الاقتصادية ، ويؤثر فى كل مظاهر الوجود . ويمتد أثره إلى الحياة الريفية .

٣ — تتركز السلطة والنفوذ فى المدن . وتمتد هـذه السلطة إلى أجـزاء المجتمع — ريفه وحضره .

٤ — أن عملية التحضر مستمرة . وهى مازالت تحدث حتى الآن . كما لم تحل الكثير من مشاكلها .

وتبدو أهمية هذا العلم فى أن علماء علم الاجتماع الحضرى ومخططى المدن يواصلون توجيهاتهم المهنية ، ويتبادلون دراسة المشاكل والمعرفة فيما بينهم ، فعلماء الاجتماع يدركون السلوك الإنسانى فى المدينة ، الذى لا يدركه مخططو المدن . ويؤدى هذا التعاون فيما بينهم إلى تخطيط المدينة على أحسن وجه [1].

---

1 — Roaceck, joseph, op. cit. p. 321

الفصل الثانى

نشأة المدن ونموها

تقـــديم :

كان الإنسان زميلا للحيوان ، ولم يكن يسكن منطقة محددة يقيم ويعيش فيها ، فشعوب العصر الحجرى القديم لم يكن لها مستقر تستقر فيه ، بل كانت تنتقل من مكان إلى آخر باحثة عن الطعـام والماء . وحتى هـذا الزمن لم يكن هناك مدن أو قرى . ومن ثم فان تاريخ الإنسان أقدم من تاريخ ظهور المدن. وهنـا يتشابه عمل الإنسان بأعمال الكائنات الأخرى فى سعى كل منهـا وراء جمع الطعام . فقد كان ينقصة معرفة إنتاج الطعام لنفسه وكان كل ميل مربع من الأرض يعول عشرة أفراد فى المتوسط . ولذلك كان الإنسان ينتقـل فى جماعات صغيرة ، ولا تعوه ممتلكات خاصة . وإذا ما ظهرت مجاعة فى منطقة ما إنتقلت المجاعة إلى منطقة أخرى . كذلك كان من المستحيل أن يبقى الانسان فى مكان ثابت ، لأنه لم يكن يملك الوسائل التى تمكنه من ضبط الطبيعه .

لكن الإنسان فاق الحيوان فى ناحيه هامة هى أساس كل الحضـارة التى ينعم فيها فى الوقت الحاضر ، وهى قدرته على التعلم وإكتساب الخبرة ونقل هذا العـلم وهذه الخبرةمنجيل إلى جيل . فالدب يملك الفراءالغزير لكى يحميه من البـرد ، والأسد يملك الأنياب القوية التى تجعـله سيد الغابه ، والثعلب يملك المخالب الحادة التى تمكنه من حفر الجحور . ولكن الإنسان يأخـذ فـراء الدب ليحمى نفسه من البرد،ويصنع الحراب والنبال التى تجعلهسيد الحيوانات، ويصنع الفأس والجاروف للحفر وهلم جرى،أى أن أدوات الإنسان التى تحميه

وتيسر له المعيشة خارجة عنه وليست جزءا من جسمه، ويمكنه أن يصنعها كلما إحتاج إلى جديد منها ، ويمكنه أن يحسن فيها ويهذبها حتى تصبح شيئاً جديداً، بل ويمكنه أن يورث خبراته هذه للجيل الذى بعده ، فيأخـذها الجيل الجديد ويحسنها ويضيف اليها ، ثم يسلمها بدوره للجيل التالى وهـلم جرا . فالحيوان إذن يورث صفـات جسمية ، أما الإنسان فيورث صفات جسمية ، وأخـرى إجتماعية — أى ثقافة (١) .

ثم توصل الإنسان إلى استئناس الحيوان ، وتحول من مهنة الصيد إلى مهنة الزراعة . وتطلب هذا الاستقرار والمثابرة والتخطيط المنظم . وبحث الإنسان مع أخيه الانسان أسلوب مواجهة التحديات ، لحماية مصالحه ، وللتعاون لانجاز الأهداف العامة ، وتحقيق الطموح العام . وتجمعت العائلات وتشكلت العشائر . وكانت هذه هى مرحلة ظهور القرية . وسـاعد على ذلك إخـتراع الانسان للأدوات المساعدة التى كونت مكونات التكنولوجيا كالعجلات والفئوس ، والمحاريث والمواد المعدنية وحصد المحاصيل .

وبالرغم من أن لكل مدينة تاريخهـا ، إلا أنه يمكن تتبع أصـل ونمـو وإنتشار المدن تاريخيا ، ومن خلال مراحـل متميزة من التطور والتغير . وقد وجهت الدراسة التاريخية الباحث دائما نحو الاجابة على أسئلة مثل :

متى وأين وتحت أى الظروف ظهرت هذه المدينة أو تلك ؟ أو ما هو تاريخ هذه المدينة وماذا أسهمت به فى تاريخ المنطقة أو العصر ؟ وهل هنـاك نمـو تطورى أو دورى فى التاريخ الإنسانى مرتبط بظهور المدن أو نموها ؟

---

١ — د عبد المنعم شوقى — المرجع السابق ص ٣٢ .

إن قيام المدن ونموها مسألة يصعب أن نتبعهـــا بدرجة ملحوظة لأسباب عديدة. ومن ثم لا نستطيع أن نتابع بتفصيل الإجابة على هذه الأسئلة السابقة ، ذلك لأن كثيراً من الحقائق المتصلة بالمدن القديمة لها جانبها الأركيولوجى، إلى جانب أنها متناثرة وتصور مسائل جزئية ، إلى جانب أن كل المدن تقريباً فى كل المراحل التاريخيـــة وكل البلاد لم تدرس بدرجـــة كافية من الدقة ، كما أن بعض المدن غير معروف مثل مدن الشرق وكذلك المدن القديمة فى الحضـــارة الغربية (١) .

ومع ذلك فما لاشك فيه أن المـــدن انبثقت تعبــــيرا عن ظروف روحية ومادية وإجتماعية وسياسية. كما تأثرت بمختلف التقاليد والقيم والأفكار المنظمة للعلاقات الاجتماعية ، وكذلك بوسائل الإنتاج وأنساق الاتصـــال ، وتطورت المدن والعمارة معها ، وإنعكست صور هــــذا التغير الاجتماعى على تغير المدن ونمو العمارة .

وقد أكد بارنس (٢) الكاتب الألمانى هذا المعنى حينما قال : « أن العمارة هى سجل لعقائد المجتمع » كما ذكر اليبل سارينين Eliel Saarinen (٣) أن مشاهدة مدينتك تجعلنى أدرك الأهداف الثقافية لسكانها . فالمدينة هى كتاب نقرأ فيـه أهداف أهلها وطموحهم ويقوم التخطيط التفزيقى للمدينة على أهداف إجتماعية وإقتصادية . فكل إنقلاب سياسى ، أو تطور إقتصادى بدأ أثره على مسكن الانسان الأول .

---

١ - د محمد عاطف غيث : علم الاجتماع الحضرى - مدخل نظرى ص ١٤٤ .
٢ - توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة الحديثة — فى القرن العشرين ص ٤ .
3 — Eahran, Mohsen, Challenges in Urban Environmest p. 18

وتؤكد الشواهد التاريخية أن الجذور المكبرة للحياة الحضرية ظهرت فى العصر القديم فيما قبل الميلاد بحوالى ٤٥٠٠ سنة تقريبا ، وبخاصة فى المناطق التى إستطاعت أن تنتج فائضاً غذائياً . وتقع هذه المدن القديمة فى السهول أو الهضاب أو على ضفاف الأنهار . ففى مصر القديمة ظهرت مدنيات فى الوقت الذى بدأ فيه التقويم المصرى . وقد حدد ادوارد ماير هذا التاريخ بالتاسع عشر من شهر يوليو عام ٤٢٤١ ق . م . ثم تدهورت تلك المدنيات (١). ويتمثل ذلك فى مدينة ممفيس وطيبه وبابليون .

وكان السرماريون القوة الدافعة وراء ظهـــور التحضر . فقد امتزجوا بسكان وادى العراق القديم ، وإنتشرت ثقـافتهم فى كل الأقاليم . وأصبحت منطقة العراق القديم تعرف بسومر Sumer . وفى ظل هذه الحضارة ظهر علم الحساب الذي يستخدم فى حساب فائض الإنتاج الزراعى (٢) .

وكانت مدن العراق القديم بآدابها وتراثها الشعبى . ومن أشهر هذه الآداب ملحمة جلجاموش the Epic of Gilmash . وهى ملحمة تتكون من ٣٥٠٠ بيتاً من الشعر تصف حياة التجوال ، وشجاعة الإنسان القديم ، وما يبذله من أجل الحفاظ على بقائه وحياته (٣) .

وكانت قوانين حمورابى Hammurapi الدستور الذى نظم حياة البابليين . فقد نظمت هذه القوانين البناء الاجتماعى الذى صار أكثر تعقيداً . وشملت

---

1 — Park, Robert Eszra, Human Community, The city and Humani Ecology, p. 128

2 — Habenstreit, Barbara, cities in the March of civilization, p20

3 — Ibid. p. 32

ثلاثمائة قانون تدافع عن النظام الملكى ، وعن إقطاع الأرض ، وتنظم العلاقات القرابية والزواج والطلاق ، وعلاقات المراهقة ، والمهجر ، والتبنى ، والميراث ، وأعمال التجارة والعدل والعقاب والخدمات المهنية ، ومعدلات الايجار وملكية العبيد (١) .

وعند نهر الإردن ظهرت مدن قديمـــة مثل مدينة جريشيكو Jerichico* فى الصحراء ، وهى لا تبتعد كثيراً عن البحر الميت ، وتسمى هذه المنطقـة بأرض كنعان . وتبلغ مساحة مدينة Jerichico عشرة أفدنة (أربعة هيكتار) ويقطنها ألفان من السكان . وقد مرت المدينة بمرحـلة المدينه town ثم المدينة City (١) .

ومن المدن القديمه مدينة صور Tyre ومدينة صيدا Sidon وهما تقعان بين العالم الشرقى والعالم الغربى . وكان الكنعانيون يتجولون فيها بينهما . كما كانوا يرسون بسفنهم على شواطىء أسبانيا التى تنتج الفضة ، وإنجـلترا التى تنتج القصدير ، وسردينا والألب التى تنتج الحديد . ويعودون بهذه المعـادن إلى صور وصيدا (٢) .

وفى نفس الوقت الذى ظهرت فيه حضارة السوماريين والبابليين فى الشرق الأوسط ، ظهرت حضارات ومدن أخرى مثل سوسا فى إيران وتروى Troy فى تركيا ، وآنبيانج فى الصين ، وموهينجو — دارو Mohenjo - Daro فى باكستان .

---

1 — Ibid, p. 33
2 — Ibid. p. 28
3 — Menen, Aubrey, cities in the Sand, p. 25.

(*) حل محلها مدينة أريحا بالاردن .

وبالرغم من الاختلافات الثقافية بين مدينـــة وأخرى ، إلا أنها تقاسمت خصائص مشتركة . فقد كانت شوارعها مخططة تخطيطا جيدا . وأقيم فيها المساكن وصالات عقد المؤتمرات، والقصور والأبنية الحكومية . كما أقيم فيها نسق من المجارى . وإستخدم الناس البرونز والنحاس والفضة، وصنعوا الفخار والحلى والغزل والنسيج . كما كان يحيط هذه المدن الأراضى الزراعية التى تمد المدن بفائض الانتاج الزراعى ، مما عمل على نموها . وكان سور المدينة سمة مشتركة بين هذه المدن وإشتغل الناس بالتجارة داخل هذه الأسوار . وعاشوا فى ظل أنساق إجتماعية وسياسية وإقتصادية معقدة. ويبدو أن هذه المدن كانت صغيرة ، وتختلف عن المدن الحالية سواء من حيث عـدد السكان أو من حيث الاعتماد على المناطق الأخرى فى الامداد بالطعام .

أما اليونانيون، فقد تأثروا فى بناء مدنهم ومبانيهم بالنظام الاجتماعى، وكانت المدن اليونانية القديمة تتسم بصغر حجمها وإنسانيها، ولم تكن أثينا المدينة الأوربية الأولى . فقد إنتشرت الملاحة والتحضر شمالا وغـربا ، ومن الشرق الأوسط ومصر عبر البحـر المتوسط . وظهرت مدينة كنوسوس Knossos أولى مدن أوربا على جزيرة كريت . وأقيم قصر ضخم على تلها يشغل مساحة ستة أفدنة (هيكتاران ونصف) . ويتكون القصر من أكثر من أربعمائة حجرة وصالة وغرفة وممرات . وشملت بعض أجزائه أربعة طوابق ثم بدأ التحضر ينتشر على أرض اليونان . فظهرت سبارتا وكورنثيا Korinth وأثينا . وكانت سبارتا تتميز بالطابع العسكرى . أما أثينا فاشتهرت بخضوعها لقانون صولون Solon.

وكانت المدن الرومانية جزءاً من بناء عظيم — هو الإمبراطورية . وبنيت عمائرها حسب إحتياجات التنظيم المحلى ، ولم تكن مرتبطة بالمقاييس الإنسانية. وكان نمط المدينة فى الإمبراطورية الرومانية تقرره السلطـة العسكرية لتعزيز

سلطة الحاكم . وهو تنظيم يعلو الإرتباطات الاجتماعية . وكانت الإحتفالات والعروض العسكرية تقام فى الشوارع الرئيسية ، بينما يتوازى معها شوارع أقل إتساعا .

وهكذا بينما إهتم اليونانيون بمواقع بناء المدن التى تسمح بالدفاع ، وشيدوها على الموانى بحيث يحوطها تربة خصبة ، أهتم الرومان بجوانب أهملها اليونان مثل تشييد الطرق ، وإقامة القنوات والمجارى . وأنشأوا لكل منزل مستودع ومواسير للمياه . كما إهتموا بجمال مدنهم (١) .

ومع ذلك فقد إشتركت المـــدينة اليونانية والرومانية فى صغر حجمها ، وإستقلالها السياسى . وكانت المدينة تمثل وحدة إقليمية تستند إلى الإنتساب الأبوى الارستقراطى ، الذى يقـوم على تساوى رؤساء هـؤلاء الأقارب من الناحية النظرية . فالأقارب وأتباعهم يمثلون كيانا وحدويا هو المدينة Polis أو الحضر Urbs . وفى روما ظهر نسق من المراكز أساسه الانتخابات، وتكون مجلس الشيوخ من القضاه السابقين (٢) .

وقامت مدن العصور الوسطى على أساس العمل والتجارة ، وكان يسيطر على هذه المدن قوى روحية خالصة ، فالكاتدرائية والقصر والقلعة كانت أسسا جوهرية فى بناء المدن . ونظرا لأن النشاط الدينى والسياسى كان يمثل الصدارة فى الأساس الوظيفى للمدينة فى تلك العصور ، فقد تركزت هذه الأنشطة وسط المدينة أو مركزها .

---

1 — Dudley, Donald, The city of Rome in Baker, Thelma s, (ed) the urbanization of Man, A Sociat Science perspective. p 184

2 — Prrsons, Talcott, Societies, Evolutionary and comparative Perspective, p. 87

أما المراكز الحضرية فى عصر النهضة فقد شاهدت (عصر الانسانية). إذ إنبثقت إكتشافات جديدة ، وظهرت الفنون والعلوم ، وكان لهذا تأثيره على شكل المدن والمبانى . وكانت المدن الباروكية Baroque أجزاء من كيانات إقليمية فى حالة مستمرة من النمو الصناعى والتغير الاقتصادى والاجتماعى وبداية ظهور عصر الآلة .

وتنمو المدن فى العصر الحديث نتيجة العمل الصناعى ويحكم المدن المعاصرة مستويات مختلفة من التغير السريع فى العوامل القومية والاقليمية ومستويات إقتصادية ومادية ودولية فهناك عمارة الدكتاتورية . . . وعمارة الشيوعية ... وعمارة الرأسمالية وعمارة النازية وعمارة الديمقراطية وعمارة الإشتراكية .

وهكذا ليس هناك معدل ثابت ومحدد للنمو الحضرى فى منطقة ما ، بحيث يمكن تناوله كمعيار للنمو فى أية منطقة أخرى ، فلكل مجتمع ظروفه الخاصة به التى ينبثق من خلالها معدل خاص للنمو الحضرى بها . كل ما هنالك إذن لا يخرج عن تحديد مجموعة من المتغيرات ، أو العناصر الأساسية للنمو الحضرى فى منطقة ما [1] .

ويرى ممفورد [2] أن قيام المدينة أو بمعنى آخر تطور الشكل القروى إلى شكل حضرى يرجع إلى عدة أسباب أو عوامل توضح دراستها أن القرية هي الشكل السابق على قيام المدينة ، وأن التحول من الشكل الأول إلى الشكل الثانى لا يرجع إلى مجرد الزيادة فى عدد السكان التى إستلزمتها ظروف التحول

---

١ — د. محمود الكردى : النمو الحضرى — دراسة لظاهرة الاستقطاب الحضرى فى مصر ص ١٠٥ .

٢ — د. أحمد الفكلاوى : المرجع السابق ص ٩١٦ .

من مهنة الصيد إلى الزراعة ، إذ تعتبر الزيادة السكانية أحد العوامل المساعدة على التحول فقط . وأن هناك عوامل أخرى حولت هدف القرية إلى أبعد من مجرد الرغبة فى الإستمرار والاهتمام بمسائل الغذاء والتناسل فحسب.

ومن ثم فلا نستطيع تتبع النمو الحضر ونمو المدن دون أن نلقى ضوءاً على أدوار نمو المدن والعوامل التى أثرت فى طبيعة هذا النمو .

مراحل نمو المدن

من الذين عرضوا لنشأة المدينة المؤرخ الإنجليزى (توينبى) ، ولويس ممفورد الذى يرى أن المدينة تمر بالمراحل الآتية :—

مرحلة النشأة Eopolis :

ويقصد بها المدينة فى فجر قيامها ، وتتميز بإنضمام بعض القرى إلى بعضها البعض ، وإستقرار الحياة الاجتماعية إلى حد ما . وقد قامت المدينة فى هذه المرحلة بعد إكتشاف الزراعة واستئناس الحيوان وتربية الطيور ، وقيام الصناعات اليدوية والحرفية البسيطة ، وإكتشاف الإنسان للمعادن . وهكذا ظهرت المدن الأولى فى العصر الحجرى الحديث وعصر إكتشاف المعادن . ونشير هنا إلى أن أولئك الذين استخدموا الأسلحة المعدنية كان لهم التفوق الحربى على أولئك الذين يستخدمون الحجارة . ومن المسلم به أن ماله أهمية حضرية ليس عدد السكان وحده فى مساحة محددة من الأرض، بل العدد الذى يتسنى وضعه تحت سيطرة موحدة ، بحيث يتكون مجتمع له طابعه الخاص ويستهدف أغراضاً تتجاوز حاجات الغذا والبقاء . أما الزراعة فهى تدفع ممارسيها الى العمل الزراعى دون غيره ، وهى مهنة تباعد بين الريفيين و بين الإبتكار والإختراع وإستخدام أدوات الحرب .

وكانت الجماعات التى تكون المدن فى البدء جماعات مرتبطة برباط الدم والقرابة . كما مارس رجال الدين نشاطاً أساسياً فى حياة هذه المدن . وتفتقر هذه المدن الى التمييز الواضح بين مناطق الاقامة والتجارة والصناعة .

مرحلة المدينة Polis :

وتمتاز بوضوح التنظيم الاجتماعي والإداري والتشريع ، وتنتعش فيها التجارة ، وتتسع الأسواق المتبادلة ، وتتنوع الأعمال والوظائف والاختصاصات ، وتتسم بالتمييز الطبقى بين مختلف الفئات فى المدينة ، واتساع أوقات الفراغ ، وظهور الفلسفات ومبادىء العلوم النظرية ، والاهتمام بالفلك والرياضيات ، وقيام المؤسسات والفنون ونشأة المدارس وحلقات المناظرات والمساجلات .

مرحلة المدينة الكبيرة Metropolis

وتعرف بالمدينة الأم ، ويتكاثف فيها عدد السكان بشكل فوق العادى ، وتتوفر فيها الطرق السهلة ، وتربطها بالريف شبكة من المواصلات السريعة . وتهتم الحكومة فيها بتحقيق مطالب سكانها . وتنفرد بمميزات خاصة كالتجارة أو الصناعة . ومن الطبيعي أن اتساع نطاق الإعمال التجارية والصناعية يؤدى الى ظواهر حضرية كثيرة أهمها تنوع الوظائف وتعدد المهن والتخصص ونشأة المعاهد الفنية العليا . وقد تصل بعض هذه المدن الى عاصمة منطقة أو دولة وتصبح المركز الرئيسى للحكومة ، أو الإدارة المحلية ، وتتركز فيها كل المظاهر والنشاط الإجتماعى والاقتصادى والسياسي بحيث تصبح بحق «المدينة الأم» .

مرحلة المدينة العظمى MegaloPolis

وتتمثل فى إنبثاق المدن العظمى فى القرن التاسع عشر، فلقد تحولت المناطق الريفية إلى أراضى بناء فى موجات متتابعة . [1] ويتفوق فى المدن التنظيم الآلى والتخصص وتقسيم العمل . وتأخـــذ الفردية فى الظهور ، وتنتشر النظم البيروقراطية فى الإدارة وأجهزة الحكم . ويبدأ ظهور الانحلال والشقاق بسبب تحكم الرأسمالية ، ويتصارع أصحاب الأعمال والعمال . وقد يأخذ هذا الصراع مظاهر إيجابية يؤدى إلى حدوث الإضراب والتخريب والتـــدمير ، ثم قيام الحكومات المحلية بأعمال القمع والتعذيب والتشريد ، وتنتشر كذلك الانحرافات فى محيط الأحداث والجرائم .

عوامل نمو المدن

العوامل الجغرافية :

وتشمل الظروف الخارجة عن إرادة الانسان كالمـوقع وطبيعـة الأرض والخامات المعدنية الموجودة فى باطنها والمناخ . وهي تلعب دوراً هاماً فى وجود المدن . فالموقع الممتاز من الناحية العسكرية يعمل على اختيار مدينة حربيـــة تعيش طول حياتها إما نقطة هجوم توجه منها حمـــلات الاعداء ، أو نقطة إرتكاز دفاعية يصد منها كل هجوم أو اعتداء . والمواقع ذات التربة الخصبة التى تنبت كل الثمرات ويغذيها ماء غزير ، وغيرهـا من المواقع التى بها معادن ذات قيمة صناعية وتجارية ينشأ عادة بجوارها مدن يعيش سكانها على الزراعة والتنجيم والصناعة . والمواقع التى فى مفترق طرق هامـــة تلتقى فيـه القوافل التجارية ينشأ عنها كذلك مدن تزدهر وتكبر وتعتمد على التجارة . فقد اختارت

---

1 — Cherry. Gordon E, The Evolution of British Town Planning, p. 8

المدينة مكان القرية لتقدم حماية طبيعية ومصادر المعيشة ، وأحيطت بحواجز وخنادق لحمايتها . وكان هذا بداية التنظيم الفيزيقى الدائم الذى ربط الأرض والإنسان معا، وأوجد الروابط ، وبزغ عنه طموح الانسان، وعاش الناس فى كيان اجتماعى متماسك . وكان الأمن والحماية المؤشرات الأولى للاستقرار الإنسانى.

وكان النهر وفروعه أحد الدعائم الأساسية فى نشأة المدن ونموها ، فقد ظهرت المدن الأولى على نهر الدجلة والفرات والهند . وظهرت الحضارة المصرية على ضفاف النيل حيث توفر الظروف المناسبة لإقامة التجمعات السكانية مثل توفر مياه الشرب على مدار السنة وامكان الزراعة حول ضفتى النيل الذى استغل أيضاً كمجرى كبير للملاحة والنقل وبالتالى خط رئيسى للمواصلات.

وأدى وجود الاسكندرية بين البحر وبحيرة مريوط الى امتدادها عرضيا الى شاطىء البحر لمسافات طويلة . وأختار عمرو بن العاص منطقة الفسطاط لإقامة أول حضارة اسلامية لوقوعها فى منتصف القطر المصرى تقريباً بالإضافة الى وجود جبل المقطم شرقها والنيل فى غربها ، وكلاهما من الموانع الطبيعية ضد الجيوش المهاجمة . فضلا عن أهمية النيل فى نقل احتياجات مدينة الفسطاط من المواد التموينية أو العسكرية مضافا الى ذلك امكانية امتداد المدينة شمالا وجنوباً . كما تقع المدن على الخلجان وغيرها من المواقع المحمية من هياج البحر ورياحه الشديدة مما يجعلها صالحة لإنشاء الموانى البحرية . فمدينة بومباى تقع على شبه جزيرة تحمى منطقة ميناء شاسعة، تمكنها من استيعاب التجارة الخارجية ، كما كانت سبباً أساسياً من أسباب ازدياد كثافة السكان فيها كما قامت مدينة دلهى لاعتبارين أساسيين الأول أن المدينة تقوم على رأس وادى نهر الكانج Gange ، والثانى أن هذا الوادى هو السبيل الذى سلكته دائما الهجرات والغزوات التى اجتاحت القارة الهندية. وتوضح لنا مدينة هونج كونج أهمية خصائص الموقع ، وذلك بميزاتها الخاصة كميناء التى تهيء أرضا طبيعية لقيام ونمو منطقة حضرية عليها.

وتقع مدينة كليفيلاند وأهيو على مصب نهر يصب مياهه فى بحيرة ايرى Erie . ويتناسب وجود المدينة فى هذا الموقع مع وجود مصادر الحديد الخام والحجر الجيرى الذى ينقل عبر النهر . كما يوجد الفحم فى الولايات المجاورة لكليفيلاند فى بينسلفانيا Pensylvania وغرب فرجينيا ومن السهل نقله بواسطة السكك الحديدية. وهكذا أصبحت كليفلاند مركزا صناعياً رئيسيا للحديد والصلب بسبب موقعها (١)

وترتبط وسائل النقل المائية بالموانى . وهى تعتبر أكثر سهولة من وسائل النقل الأخرى مثل الطرق البرية والجوية . وتستخدم وسائل النقل البحرى فيما بين المدن الهامة التى تقع على البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات (٢).

كما تختار المدن المواقع الممتازة من الناحية الصحية أو العلاجية لتكون مشاتى أو مصايف ممتازة أو نقط علاجية ذات صفة خاصة .

ولطبيعة الأرض وتضاريسها تأثير مباشر على شكل المبانى وتوزيعها ، بل إن وجود بعض العناصر الطبيعية كالجبال أو الوديان أو الأنهار ... وغيرها تفرض على المخطط ضرورة تحقيق الإرتباط العضوى بين المركز والموقع القائم عليه . ففى بلاد اليونان تأثر تخطيط مدينة أثينا لطبيعة الأرض الجبلية . وقسمت المدينة إلى قسمين : الأول يعرف باسم الأكربوليس Acropolis .

---

1 — William, Harold, Urban Interpretation, in Sharpe Grant W. (Ed.), Interpreting the Environment, p 354

2 — Murphy, Raymond E , American city., An Urban Geography,. p 219

وهي عبارة عن تل مرتفع تنتشر عليه المعابد والمباني الدينية . أما القسم الثاني من المدينة فقد أستغل فيه منحدرات التلال في تشكيل مباني المسرح وعدد من المباني العامة والخاصة بوسط المدينة . وانتشرت المباني السكنية على منحدرات الجبال وفي الوديان .

وفي هـيروشيما أستغل المخطط مجرى مائي كبير في عمل البحيرات الصناعية وتوزيع مباني المركز خلال مسطح أخضر كبير ... فالمركز الثقافي تحيطه بحيرة كبيرة من جوانبه الأربعة مع توفير كباري علوية للمشاة لربط المركز بالمباني المجاورة . وفي مدينة سيداد Cidad بريودي جانيرو بالبرازيل توجد هضبة تحـــد المركز أستغلها المخطط في تشكيل مدرجات الاستـاد الرياضي الملحق بالمركز . أما بقية عناصر مركز المدينة فهي تمتد على أرض مستوية أمام الهضبة (١).

وكان لطبيعة التربة المصرية أثر واضح في طريقة البناء . إذ استعمل الحجر الجيري المستورد من تلال المقطم والطوب والرمل لسهولة الحصول عليها. أما الأخشاب فقد أستخدمت في تسقيف الغرف والقاعات وعمل الأعتاب . ولعل أحسن الطرق للبناء في عصرنا الحالي هي مادة الخرسانة لوفرة خاماتها ، وهي المكونة من الأسمنت والزلط والرمل (٢) .

وللمناخ دور هام في تصميم العمائر ، فهو يؤثر في تنظيم وتحـديد أبعاد الفتحات كالأبواب والشبابيك ، وارتفـاع الأسقف الجمالونية والمداخن وغير

---

١ — محمد ابراهيم جمعة : مركز المدينة المعاصرة ص ١٢٢ .

٢ — د كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر ص ٢٤ .

ذلك . وتحتم كثير من المبانى وخاصة فى المناطق الحـارة ضرورة حجب أشعة الشمس فى فصل ارتفاع الحرارة حتى لا تتسبب بدخـولها للمبنى فى أرتفـاع درجـة الحرارة بما لا يتناسب مـع متطلبات صحة الإنسان، وحتى لاتتسبب فى الإضرار بحالة الإضاءة الطبيعية أو إتلاف المحتويات وخلافه .

ومن ثم فان على المهندس المعمارى أن يختار مـواد البناء المناسبة للظروف المناخية عـلاوة على دراسـة العناصر المعمارية المختلفة من حوائط وفتحات ، وأسقف وأرضيات . كما يتعين عليه دراسة أتجاه المبنى بالنسبة للرياح .

فبالنسبة للسقف ـ تنفـذ الطاقة الحرارية الناتجة عن الأشعة الشمسية إلى داخل غـلافه الخارجى من حوائط وأسقف ، وتسبب ضغوطا على الغلاف الخارجى لكى تتسرب إلى الداخل . وتختلف نسبة نفاذها من خلال السقف إلى الداخل باختلاف المـواد المستعملة فى إنشائه . وتزداد هـذه النسبة كلما كانت المادة المستعملة لها خاصية إكتساب الحرارة بسرعة مثل المواد المعدنية بصفة عامة . وتقل مع إستعمال مواد لهـا خاصية الاكتساب البطىء للحرارة مثل الخرسانة أو الطوب ذات السماكة الكبيرة [1] .

ويمكن إيجاز الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الغاية فى النقاط الآتية : [2]

١ ـــ يغطى السطح العـــلوى للسقف بمادة عاكسة للتخلص من الأشعة الشمسية ومايتتج عنها من طاقة حرارية ويمكن أن تكون هذه المادة العـاكسة إما ألواح معـــدنية لامعة السطح أو مادة للنهو بلونها الأبيض الناصع .

---

١ ـ د . محمد بدر الدين الخولى : المؤثرات المناخية والعمارة العربية ص ٢٨ ـ ٣٠

٢ ـ نفس المرجع : ٣٢ ـ ٣٤

٢ — يمكن ترك فراغ هوائى عازل بين السطح العلوي السقف المعرض لأشعة الشمس والفراغات الداخلية للمبنى ، وذلك لإعاقة نفاذ الحرارة الخارجية نهاراً والبرودة ليلا إلى الداخل ، ويتحقق ذلك بإنشاء السقف من طبقتين بينهما فراغ مع ترك بعض الفتحات المتقابلة بين طبقتى السقف وفى اتجاه حركة الهواء السائد بالمنطقة ليتجدد هذا الهواء بصفه مستمرة . ومن هنا نشأت فكرة بناء السقف من بلاطتين منفصلتين كليا من بعضها البعض . ولقد استعملت هذه الطريقة فى بعض المبانى العامة والمبانى السكنية فى بلاد مختلفة لها نفس الخصائص المناخية ومثال ذلك مبانى المهندس كوربوزييه le Corbusier فى الهند ، وكذلك مبنى الرئاسة فى هافانا بكوبا ومبنى السفارة الأمريكية فى بغداد للمهندس سيرت José L. Sert .

٣ — يغطى السطح السفلى للسقف الممتد خارج حوائط المبنى بمادة ماصة للأشعة الشمسية قد تنعكس بواسطة سطح الأرض المحيطة بالمبنى حتى لا تنعكس بدورها بواسطة هذا الجزء الممتد من السقف إلى الداخل ويمكن تحقيق ذلك باستعمال مواد للنهو ذات ألوان داكنه . كما يجب أن توجد فتحات بهذا الجزء الممتد من السقف لتنشيط حركة الهواء المحصور بينه وبين الحائط للتخلص من الهواء الساخن .

٤ — يمكن استعمال كلا من القبة والقبو أساساً للتغطية بالمبانى بسبب عدم تعرض سطحها المنحنى بالكامل لأشعة الشمس . كذلك فإن حركة الهواء تنشط ما بين الجزء المظلل من سطح القبة أو القبو والجزء المشمس مما يساعد على التخلص من الهواء الساخن الملاصق لهذا الجزء المشمس .

وتتعرض الحوائط الخارجية فى المبانى لأشعة الشمس المباشرة . ومن ثم

يجب أن يوضع فى الاعتبار أسس أختيار المواد المناسبة . ففي المناطق الحارة الجافة يفضل أستخدام المواد مثل الخراسانة والطوب المحروق أو اللبن أو الأحجار (١) .

كما يمكن حجب أشعة الشمس بثلاث طرق رئيسية :

أولا : طرق وعوامل خارجية عن المبنى كالمبانى والمرتفعات المجاورة و كالأشجار .

ثانياً : طرق وعوامل إنشائية كالأسقف الممتدة وبلاطات الأدوار الممتدة ، وطريقة إنشاء الواجهة ، والبلكونات والشرفات ، والحصائر المتحركة ، والمظلات الخفيفة والزجاج المانع لأشعة الشمس (٢)

ثالثا : الطرق الداخلية لحجب أشعة الشمس كالستائر الداخلية والارتداد خلف الواجهة (٣)

فى مصر يمتاز مناخها بقلة سقوط الأمطار شتاء وبشدة الحرارة صيفا ، مما صرف النظر عن جعل سقوف المنشآت المعمارية مائلا فبدت أفقية مستوية . كذلك روعى إيجاد مساحات مظللة لتلطيف درجة الحرارة. ونظرا لشدة الضوء فقد جعلت الفتحات ضيقة نسبيا بالنسبة لمساحات الحوائط الخارجية .

---

١ ـ نفس المرجع : ص ٣٧

٢ — معاذ أحمد محمد عبد الله : المناخ والعمارة ـ دراسة تحليلية لعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة ص ٨٠

٣ ـ نفس المرجع : ص ٨٧

وفى القاهرة الفاطمية ، أثر المناخ الحار على تشكيل وتكوين المبانى تأثيرا واضحا . فالأحواش الداخلية هى طابع التكوين العام لما فيها السكنية والدينية (المساجد) والاجتماعية (الوكالة والمدرسة) ، حيث يقوم الحوش الداخلى بدور وظيفى هام وأساسى فى هذه المبانى ، فبواسطته تزداد سرعة الهواء نتيجة للتيارات الهوائيه ، مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة . كما يساعد على تلطيف درجة الحرارة أيضا إحتواء هذه الأحواش على أحواض المياه أو النافورات أو الأشجار أو أحواض الزهور .

ومن الناحية التخطيطية نجد فى المدينة الاسلامية عروض الشوارع ضيقة تتناسب فيها إرتفاعات المبانى مع عروض الشوارع بنسبة متكررة هى ٢ : ١ مع بروز الأبراج وكذلك المشربيات مما يقلل من عرض الشارع فى الجزء العلوى ، وهذا يساعد على زيادة مناطق الظل بالشارع وبالتالى سرعه الهواء خلاله (١) .

ورتب مهندسو العمارة الاسلامية أوضاع التجمعات التخطيطية لتحقيق تظليلا ذاتيا ، وذلك باستغلال ظـــلال المبانى المتجاورة كوسيلة طبيعية لعزل الواجهات الخارجيه للمبانى وكذا كل الشوارع وممرات المشاة ، وقد حتمت تلك الرغبة توجيه المجموعات التخطيطية بالأوضاع التى تحقق ذلك ، وذلك بتوجيه المبانى للداخل حول فراغات ضيقة نسبياً يمكن تظليلها وتهيئتها بصورة طبيعيـــة تحقق بعضا من السيطرة على مختلف الظروف المناخية العامة (٢) .

---

١ — محمد ابراهيم جمعه : المرجع السابق ص ١٢٥

٢ — معاذ أحمد عبد الله : المرجع السابق ص ٢١٧

وفى البرازيل لايمكن تحمل الحرارة وأشعة الشمس القوية فى معظم أوقات النهار ، وكذلك البرودة ليلا والرطوبة ، وكانت من المشاكل الكبيرة التى توصل البرازيليون إلى حلها بالتحكم فى الحرارة والضوء المنعكس داخل المساكن والمكاتب والمسطحات الزجاجية . فقد تغلب المهندس البرازيلى على هذه الصعوبات وأمكنه التحكم فى أشعة الشمس القوية ومنع دخولها داخل الوحدات السكنية والادارية وغيرها ، وذلك باستعمال ستائر على الفتحات إما على شكل أفقى أو رأسى أو محورى أو متحرك . وتعمل هذه الستائر عادة إما من ألواح مصنوعة من الخراسانة المسلحة أو الاستبس أو الخشب بالدرجة المطلوبة من التدرج فى فتحها .

ورروعى فى إنشاء المساكن عاملان أساسيان ، هما الحماية والخصوصية ، أى حماية المساكن من أشعة الشمس ، وعدم تسرب الحرارة المنعكسة من الأرض على الفتحات ، ومنع تسرب المطر الغزير داخل الوحدات السكنية وغيرها من الظواهر الطبيعية ، وذلك بإنشاء الفراندات المتسعة والبروزات العميقة ذات الأبعاد المحسوبة ، وزراعة الحدائق وبناء أحواض الزهور ، وغرس الأشجار المختلفة الأطوال والأنواع حتى أمكن القول أن المنزل البرازيلى منزل نموذجى (١) .

نسق القرابة :

تعتبر مظاهر التغير الأسرى بمثابة مؤشرات لحجم وعمق المؤثرات الحضارية ، فهى ترتبط أرتباطا وثيقا شكلا وبناء ووظيفة بخصائص مراحل

---

(١) ـ توفيق أحمد عبد الجواد : المرجع السابق ص ١٦٣

بالنمو الحضري الذى سار فيه المجتمع الإنسانى . فقد كانت المدينة فى مراحلها الأولى تقوم على أساس نسق القرابة . واتفقت الأسرات والأخويات والقبائل على الاتحاد وعلى أن يكون لها نفس العبادة فتأسست البلدة لكى تكون مقدما لهذه العبادة المشتركة . وصاحب ظهور الصراع بين رؤساء العائلات من أجل السلطة والرئاسة نمو الحضر .

وكانت الخصائص التقليديه للأسرة الممتدة والتى تكون عادة من ثلاثة أو أربعة أجيال ، وتضم الآباء والأبناء المتزوجين وأحفادهم أكثر اتفاقا وتكيفا مع ما أحاط الأسرة والمجتمع فى المرحلة السابقة على التصنيع من ظروف اجتماعية واقتصادية ومستوى متخلف من التكنولوجيا وطريقة معينة للحياة قامت على الاعتماد على الزراعة كوسيلة للعيش والحياة والفكر والعمل . فقد أخذت الأسرة التقليدية على عاتقها مسئولية القيام بكل الخدمات التى تقوم بها نحو أعضائها ، سواء أكانت خدمات اقتصادية أو اجتماعية وعاش الناس فى جماعات منظمة مغلقة تقبل عن طيب خاطر الالتزامات المتبادلة . وحقق الأفراد احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية من خلال إرتباط كل فرد بالآخر .

ولما أفل نفوذ القرابة تقدم تقسيم العمل الذى ميز المدينة عن القرية . ومع نمو عمليات التنمية الاقتصادية، وما يصاحبها من انتشار التعليم والحضرية ، وظهور المسئولية الفردية ، والعلاقات الرسمية والتعاقديه ، واتساع نطاق المنافسة ، تغير النمط التقليدى للأسرة ، واتجهت تلك النماذج إلى الاختفاء ، وحل محلها نموذج الأسرة الزواجية أو الصغيرة التى تتألف من الزوج والزوجة وأبناؤهما القصر فقط .

وتحت وطأة البيئة الحضرية الجديدة ، قد تنهار الأنماط التقليدية ، فمثلا يمكن أن تتعدل الإجراءات المعتادة لتكوين علاقة الزوج والزوجة في البيئة الحضرية الجديدة . وقد يكون من نتيجة ذلك أن الفرد بدلا من أن يستعين بالطقوس والممارسات المعتادة المرتبطة باختيار شريك الحياة المقبل ، قد يجد نفسه خاصة إذا كان قد جاء إلى المدينة دون أسرته — متورطا في مجموعة من العلاقات غير الرسميه مع أفراد من الجنس الآخر ليست هي علاقات الزواج العادية التي كان يعرفها في الماضي ، وإنما هي مجموعة من المعاشرات (١) .

ويؤدى القوام الحضرى إلى ضعف سيطرة الأسرة الحضرية على أفرادها ، كما يؤدى إلى تخفيف التزاماتها قبل أقاربها وأصهارها ، فانتقال الأسرة من الوسط الريفى الذى تسوده الجماعية إلى الوسط الحضرى الذى تسوده الفردية غالبا ما يؤدى بها إلى الخروج تدريجيا من حكم التقاليد الجامدة إلى حكم القانون . وإنفتاح الأسرة في المدينة على العالم يؤدى بأفرادها إلى أن يستقلوا برأيهم إلى حد ما . فنجد مثلا أنه لم يعد للأب أو الجد الكبير النفوذ المطلق على أفراد عائلته ، كما أن ظاهرة احترام السن المتناهي بين أفراد الأسرة الريفية ليس لها نفس الصرامة بين أفراد الأسرة في المدينة .

وينتج في الغالب عن انتقال الأسرة من الريف إلى الحضر أن تتغير وظيفة رب الأسرة ، فبعد أن كان يعمل في الزراعة نجده يعمل في التجارة أو الصناعة أو في وظائف الخدمات . كما تفتقد الأسرة الحضرية إلى العديد من وظائفها

---

١ — بيرز (جيرالد) : المرجع السابق ص ٧٢

التقليدية نتيجة لظهور مؤسسات متخصصة تؤدى تلك الوظائف التى كانت تقوم بها الأسرة .

ويعطى رب الأسرة فى المدينة أهمية خاصة لقضاء وقت الفراغ وطريقة تمضية هذا الوقت . ويستلزم هذا إنشاء عدد من وسائل تمضية أوقات الفراغ فى المدينة . كما يهتم رب الأسرة فى المدينة بتنظيم أوقات تناوله للطعام والراحة وأستقبال الضيوف . كما تعدل التزامات الضيافة فى الأسرة الحضرية بعض الشىء عن النماذج الريفية . ولدى الأسرة الحضرية قدر أكبر من الثقافة ، ويتاح لأفرادها فرصة أكبر فى التعليم .

أما النساء ، فقد عدلت البيئة الحضرية تعديلا كبيرا من وضعهن وأدوارهن ، وأوجه النشاط التى يمارسنها . وأبرز هذه التغيرات اتجاه الأسرة نحو الشكل الزواجى الصغير ، وتلك التغيرات القانونية والاقتصادية فى علاقتهن مع باقى أفراد أسرهن . فقد تجد الزوجة أن القواعد القانونية المختلفة التى تمس النساء فى المدينة يكون لها تأثيرها الهام فى مكانتها القانونية، من هذا مثلا أنها قد تصبح قادرة على حيازة ممتلكات حقيقية باسمها الخاص. وتعمل الزوجة فى غالبية الأحيان ، مما قد يؤدى إلى إرهاقها بالأعمال المنزلية .

العوامل السكانية :

تنمو المدن نتيجة زيادة عدد السكان، حيث أن إنتاج المزيد من الطعام يوفر إمكانية الحياة لعدد أكبر من الناس. وقد زاد عدد سكان العالم على مدار التاريخ زيادة كبيرة. ويقدر عدد سكان العالم فى المرحلة التى كان يقوم فيها الإنسان بجمع

الثمار وصيد الحيوانات بخمسة ملايين نسمة عام ٨٫٠٠٠ ق ٠ م . [١].

ومنذ قيام الثورة الزراعية حتى أول إحصاء أجرى فى القرن السابع الميلادى ، قدر عدد سكان العالم قياساً إلى الآثار الأركيولوجية ، مثل عدد الحجرات فى القرى الاثرية التى استخدمت فى احصاء عدد سكان القرية . وبلغ عدد سكان العالم وقت ظهور المسيح حوالى ٢٠٠ — ٣٠٠ مليون نسمة . وازداد سكان العالم إلى ٥٠٠ مليون (نصف بليون) عام ١٦٥٠ . وتضاعف الرقم إلى ١٫٠٠٠ مليون (بليون) عام ١٨٥٠ . ثم تضاعف مره أخرى إلى ٢ بليون عام ١٩٣٠ . والجدول الآتى يبين ذلك [٢]

التاريخ	تقرير عدد سكان العالم	زمن تضاعف السكان
٨٠٠٠ ق ٠ م	٥ مليون	
		١٫٥٠٠ سنة
١٦٥٠ م	٥٠٠ مليون	
		٢٠٠ سنة
١٨٥٠ م	١٫٠٠٠ مليون (بليون)	
		٨٠ سنة
١٩٣٠ م	٢٫٠٠٠ مليون (٢ بليون)	
		٤٥ سنة
١٩٧٥ م	٤٫٠٠٠ مليون (٤ بليون)	

جدول رقم (٣)

يبين زيادة عدد السكان فى العالم

1 — Ehrlich, Paul R. and Ehrlich, Anne, Population Resources Environment Issues in Human Ecology. p. 5

2 — Ibid. p 6

وتتم الزيادة السكانية من خلال ثلاث مصادر :

١ — زيادة المواليد عن الوفيات

٢ — الهجرة الداخلية من الريف إلى الحضر

٣ — الهجرة الخارجية أى من خارج الدولة

ومما لاشك فيه ، فإن ارتفاع معدل المواليد يسهم فى الزيادة السكانية . كما يؤدى ارتفاع معدل الوفيات إلى انخفاضهم . وإذا ما طرحنا معدل الوفيات من معدل المواليد فإنه يمكن معرفة الزيادة السكانية . ففى أمريكا يقدر النمو السكانى خلال الفترة من أكتوبر ١٩٦٧ إلى سبتمبر ١٩٦٨ ب ٧ر٧ لكل ألف من السكان . وكان معدل المواليد ٣ر١٧ ومعدل الوفيات ٦ر٩ لكل ألف من السكان . (لم يوضع موضوع الهجرة فى الاعتبار) . وقدر معدل المواليد على المستوى العالمى ب — ر٣٤ ، ومعدل الوفيات ب — ر١٤ لكل ألف نسمة عام ١٩٦٨. وبالتالى يكون معدل النمو السكانى ٣٤ — ١٤ = ٢٠ لكل ألف نسمة أو ٢ ٪ . وإذا ما أستمرت زيادة السكان فى العالم بنسبة ٢ ٪ كل عام فإنهم يتضاعفون كل ٣٥ ٪ سنة [١] .

وقد ازداد سكان العالم بمعدل ٣ ٪ كل عام خلال الفترة مابين ١٦٥٠ — ١٧٥٠ ، وبمقدار ٥ ٪ خلال الفترة من ١٧٥٠ — ١٨٥٠ . وتضاعف عدد سكان أوربا خلال هذه الفترة نتيجة عدد من المتغيرات : تقدم الميكنة

I — Ibid p 8

الزراعية ، تحسن الصحة ، الثورة الصناعية. وفى آسيا قفز النمو السكانى خلال الفترة من ١٧٥٠ — ١٨٥٠ بمقدار ٥٠ ٪ والجدول الآتى يبين زيادة عدد السكان فى بلدان العالم خلال الفتره من ١٨٥٠ — ١٩٥٠ (١).

السنة	العالم	أفريقيا	أمريكا الشماليه	أمريكا اللاتينية	آسيا عدا الاتحاد السوفيتى	اوربا وآسيا عدا الاتحاد السوفيتى	جزر المحيط الهندى الجنوبى Oceania
١٨٥٠	١٫١٣١	٩٧	٢٦	٣٣	٧٠٠	٢٧٤	٢
١٩٥٠	٢٫٤٩٥	٢٠٠	١٦٧	١٦٣	١٫٣٧٦	٥٧٦	٣

جدول رقم (٤)

يبين عدد سكان العالم بالمليون

ومن الجدول السابق يتبين تضاعف عدد سكان أوربا وأفريقيا ، وتضاعفهم خمس مرات فى أمريكا اللاتينية ، وست مرات فى أمريكا الشمالية .

ففى خلال الفترة من ١٨٥٠ — ١٩٠٠ استمر معدل الوفيات فى الهبوط وقد نتج هذا الانخفاض عن الثورة الصناعية ، وتقدم الميكنة الزراعية ، وتطور وسائل العلاج ، وتحسن وسائل النقل مما أدى إلى تقليل المجاعات . ففى أوربا كان معدل الوفيات يتراوح ما بين ٢٢ — ٢٤ حالة لكل ألف نسمة عام ١٨٥٠ . وانخفض هذا المعدل إلى ١٨ — ٢٠ ثم إلى ١٦ لكل

---

١ - المصدر الامم المتحدة عام ١٩٦٢ عن نفس المرجع ص ١٧

ألف نسمة . وفى الدانمارك والنرويج والسويد إنخفض المعدل من ٢٠ عام ١٨٥٠ إلى ١٦ لكل ألف نسمة عام ١٩٠٠ [١] . ولاشك أن هبوط معدل الوفيات أدى إلى زيادة عدد السكان .

أما فى أوائل العصور الوسطى ، فقد كان يحد من الزيادة السكانية فى المدن الغربية القديمة صعوبات التنقل . ويبدو أن عدد سكان هذه المدن كان يتراوح بين حوالى ألفين وعشرين ألف نسمة . وكان الحجم العادى للمدينة يقترب مما نسميه اليوم وحدة الجوار — أى حوالى خمسة آلاف نسمة أو أقل [٢]

أما الهجرة ، فهى ظاهرة اجتماعية وجدت وما زالت توجد فى كل زمان ومكان . وهى تعنى الارتحال عن موطن وتركه إلى غيره مدة قد تقصر أو تطول ، وتمتد لتشمل الحياة الباقية للشخص بأكملها . وبمعنى آخر ، فهى تعنى انتقال أشخاص من منطقة جغرافية إلى أخرى بقصد تغيير مكان الإقامة الدائم ، وهى كذلك كل حركة عبر الحدود — ماعدا الحركات السياحية .

وتضم الهجرة مهاجرين قادمين من أنماط جديده من العلاقات ، وهم ليسوا مجرد خدم كما كانت فى العصور القديمة ، وإنما كعمال صناعيين . وهم لم يأتوا للإقامة عابرة ، وإنما ليبقوا نهائياً .

---

1 — Ehrlich, Paul & Ehrlich, Ann H. op. cit. p. I7 — 18

٢ — ممفورد (لويس) المدينة على مر العصور — أصلها ونشأتها — الجزء الاول ص ١١٠ .

وتنطوى الهجرة على نوعين :

أ — هجرة مؤقتة : ويقصد بها معدل الإلحاق أو الضم ، مثل الهجرة إلى البلاد والأقطار الأخرى لتحقيق غرض معين ثم الرجـــوع إلى أوطانهم مرة أخرى . ويقيم هـؤلاء إمـا فى نفس المركز الحضـري أو المناطق المحيطة به ، ولذلك فهم يلحقون بالمركب السكانى للمنطقة ، وإن كانوا لاينتمون اليه .

ب — هجرة دائمة: وهى هجرة بعض الأفراد بصفة نهائية والاستيطان فى البلاد التى هاجروا اليها .

وتنقسم الهجرة الدائمه إلى نوعين : الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية . ومن أنماط الهجرة الخارجية :

١ — المهاجرون العاديون ، فقد ساعد هـؤلاء على بناء المدن أو تغـيير معالمها ، على أننا يجب أن نميز بين الهجرات الخارجية الجماعية وبين الهجرات الخارجيـة الفردية ، ففى الحالة الأولى تتخذ الهجرة شكل وحـدات منظمة Organized Units وغالبـا مايقيمون معا فى الموطن الذى يقصدو نه . أمـا الهجرة الفردية فتنطوى على هجرة أفراد كل فى عـزلة عن الآخر .

٢ — الغزاة : وكان الغزاة هم الأوائل الذين شيـدوا المدن ، وكانت هذه المدن بمثابة مدن حصينة ليستخدموها فى الدفاع عن أنفسهم ، وللسيطرة منها على المناطق الريفية المحيطة بهم[1] .

---

١ — د. صمويل باسيلوس : الاجتماع الحضرى ص ١٤٢ — ١٤٣

كما تنشأ وتنمو المدن نتيجة الهجرة الداخلية . وهى أنواع ، منها ما هو من الحضر إلى الحضر ، ومنها ما هو من الحضر إلى الريف ، ومنها ماهو من الريف إلى الريف ، ومنها ماهو من الريف إلى الحضر ، والإقامة فى المنطقة المهاجر اليها مدة لا تقل عن سنة . والنوع الأول من هذه الهجرة هو النمط السائد فى جمهورية مصر العربية (حيث تبلغ نسبة المهاجرين من المدن إلى المدن حوالى ٦٤ ٪ سنويا) ، بينما النوع الأخير هو أهمها وأخطرها فى نفس الوقت نظرا لما ينتج عنه من آثار كثيرة ومتباينة فى كل من المجتمعين الريفى (الطارد) والحضرى (الجاذب) — رغم بلوغ نسبة المهاجرين من الريف إلى الحضر حوالى ٢٩٫٥ ٪ سنويا فقط (٢). وما ينبغى الإشارة إليه هو اعتبار الانتقال إلى المدن للتعليم أو لأداء الخدمة العسكرية نوعا من الهجره .

ولكن من هو المهاجر ؟ وكيف يصبح المهاجر إنسانا حضريا ؟ وهل يصبح الإنسان حضريا من اليوم الأول لوصوله ؟ أم يمكن اعتباره حضريا إذا ما غادر المدينة بعد أن ادخر قدرا من المال بعد فترة قصيرة فيها إلى غير عودة ؟ أم أنه لايصبح حضريا إلا بعد أن يولد له أطفال فى المدينة ويستقر فيها نهائيا ؟ هل لاتتحضر أسرة الشخص إلا فى الجيل الثانى ؟ من هو إذن ساكن المدينة ! ومن هم السكان المستقرون فى المناطق الحضرية ؟ تختلف الأعداد من بلد لآخر ، كما تختلف تبعا لحجم المدن ، وعلاوة على ذلك فإن سكان المناطق الحضرية يعيشون فى ظل ظروف معيشة متفاوتة أشد

---

١ — د. عبد المنعم محمد بدر : دراسات فى التنمية الريفية ص ٥١ .

التفاوت وخاصة من حيث الكثافة . فالأوربيون أو غيرهم من الغربيين عموما والذين كانت أعدادهم صغيرة نسبيا يعيشون فى المدن أساسا فى البلدان التى أستعمروها ، ولو أن هناك بعض الحالات التى كان الأوربيون يستقرون فى المزارع وهو ما عرفناه فى فترة ماقبل الاستقلال فى بعض البلاد مثل كينيا وجنوب أفريقيا ، غير أن هذا لم يكن النمط الشائع فى العادة إذ إعتاد الزوار الأوربيون الاستقرار فى المناطق الحضريه حيث يزداد إحتمال توافر وسائل الراحة التى أعتادوها (١) .

ومما لاشك فيه ، فإن الهجرة يصاحبها تغيرات تحدث لطبائع وعادات وطرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة فى المدن . فهجرة قروى من قنا الى مدينة القاهرة سوف يصاحبها هزة نفسيه وصدمة ثقافيه تترك المهاجر قلقا حائرا مما يؤثر على عمله الجديد وإنتاجه بقدر كبير ، وذلك للفرق الشاسع بين حياة الريف وحياة المدينة الكبيرة .

أسباب الهجرة :

تتجه الهجرة دائما إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية موا تية ،والفرص ملائمة للكسب ورفع مستوى المعيشة . ومن الممكن تقسيم أسباب الهجرة إلى نوعين ، أسباب طاردة وأخرى جاذبة — أى ما يعرف بالتخلخل deconcentration والتركز concentration ، وهما يشيران إلى التغيرات التى تحدث فى التوزيع المكانى للسكان ، أى تغير الكثافة السكانية . ويعد التخلخل حركة انتقال طاردة بعيداً عن المركز فى اتجاه أطرافه الخارجية . أما التركز

---

١ — د. محمد الجوهرى وآخرون : المرجع السابق ص ٨٩

فهو عملية إنتقال جاذبة إلى مركز النشاط ، أى إلى منطقة معينة جعلت الطبيعة والخبرة الإنسانيه ظروفها أكثر ملاءمة لإشباع الحاجات الأساسية للمعيشة.

وتنتج هذه التغيرات عن عمليتين هما : إعداد المهاجرين غير المتساوية بين منطقة وأخرى ، والاختلافات بين معدلات المواليد والوفيات فى منطقة عن أخرى . فى بلدان العالم الغربى ينتج التركز عادة عن الهجرة الريفية/الحضرية، حيث يكون معدل المواليد فى المدينة أقل منه فى القرية ، بينما يميل معدل الوفيات فى المدينة إلى الإرتفاع [1] .

أولا : الأسباب الطاردة :

١ — التضخم السكانى فى المناطق الريفية الذى تكون له دلالتـه بالنسبة لكمية الطعام أو العمل المتاح ، وتضاءل الفرص التى تسمح بالحصـــول على الأرض التى يمكن فلاحتها والتعيش فيها ، وكذلك تضاؤل فـرص العمل فى الحـكومة والمؤسسات التى قد لا تتسع بالمعدل المناسب للزيادة فى عدد سكان الريف .

٢ — تنطوى الطبيعة الموسمية للعمل فى الزراعة عادة على فترة فراغ بين زراعة المحصولات وحصدها ، مما يتيح تلقائيا فرصة الهجرة إلى المدينة .

٣ — إنهيار النظام الإقطاعى وتحرر الفلاحين من رق الأرض ممـا وفر لهم الحرية فى الإنتقال والإقامة حيث يريدون .

٤ — سوء توزيع الملكية الزراعية يؤدى فى الغالب إلى هجـرة أهل الريف إلى المدن سعيا وراء رزق أوسع ومستوى مادى أفضل .

---

1 — Morris R. N. op. cit. p. 101

٥ — تؤدى بعض الكوارث كجفاف الأرض أو الفيضانات أو السيول أو هجوم النمل الأبيض إلى أن يخرج الريفيون من قراهم واستيطانهم مناطق جديدة .

٦ — يهاجر بعض شباب الريف إلى المدن هربا من سيطرة الوالدين ورغبة فى تغير نمط حياتهم .

ثانيا : الأسباب الجاذبة :

١ — يؤدى ظهور مصادر جديدة للرزق فى بعض المناطق كما هي الحال فى المحلة الكبرى و كفر الدوار إلى جذب الريفيين إلى تلك الجهات .

٢ — إرتفاع معدلات الأجور فى المدن عن القرى ، ومن ثم فإن الريفى يعمد إلى البحث عن عمل صناعى لكى يتمكن من الحصول على ما يكفى مطالب الحياة .

٣ — وجود الجامعات والمدارس الكبرى بالمدن يدفع أهالى الريفيين إلى إرسال أبنائهم إلى المدينه للدراسة ، فيستمرىء هؤلاء حياة المدينة ويبقون فيها.

٤ — إتجاه مناهج التعليم إلى إعداد الشباب للعمل فى وظائف حكومية أكثر من العمل فى الزراعة كان عاملا مساعدا فى تكالب الريفيين على الوظائف الحكومية فى المدن ، هذا علاوة على ما فى تلك الوظائف من مظاهر الإدارة والأبهة .

٥ — إتخاذ المدن كمراكز إدارية وتجارية واجتماعية وثقافية مما جعلها تتميز بنشاط عمرانى كبير، وأصبحت مهبط أصحاب الأعمال والمصالح ورجال الأعمال والمهنيين .

٦ — قيام الحكومات بتنظيم المدن وتنسيق الخدمات فيها واستئثارها بهذه الخدمات أدى إلى هجرة داخلية متتالية من الريف إلى المدن رغبة فى التمتع بهذه الخدمات .

٧ — تمتع المدن بحياة الترف ومظاهر التحضر المختلفة ، ففيها دور السينما والمسرح والأندية ودور التسلية والترويح ، كما يتوفر فيها الحدائق والعمارات السكنية المريحة ووسائل المواصلات السريعة ، ومن هنا كانت محط أنظار أهل الريف .

٨ — تتيح الجندية لعدد كبير من الريفيين زيارة المدن ، ويؤدي هذا بدوره إلى تعلق أهل الريف بحياة المدينة .

٩ — صار أهل الريف أكثر استجابة للقوى التى تدفعهم للذهاب إلى المدينة ، نتيجة تحسن وسائل المواصلات بين الريف والمدينة .

وهناك معايير كثيرة يمكن من خلالها أن نتعرف على طبيعة التركز السكانى داخل مركز الإستقطاب ، ويمكننا أن نلخص هذه المعايير فى أربعة رئيسية هي[1] :—

١ — حجم السكان Size ، وهو العدد الإجمالى للأشخاص فى منطقة ما ، وفى وقت معين .

٢ — التوزيع Distribution والكثافة Density ، ونعنى بهما التعرف على التركيز والتشتيت النسبيين للأشخاص فى منطقة ما .

---

١ - د. محمود الكردى : المرجع السابق ص ٢٩ .

٣ — التركيب composition ، ونقصد به التعرف بالخصائص الفيزيقية، الفيزيقية ، والإجتماعية ، والثقافية المناسبة والمطابقه لعدد السكان (مثل الجنس والعمر والسلالة والمهنة) .

٤ — التغيرات الناشئة فى العناصر الثلاثة السابقة . ويمكن أن تقاس من خلال اتجاه التغير ودرجته بالنسبة لسكان المنطقة ، وذلك بالإستناد إلى إحصاءات وأرقام تشرح هذه التغيرات .

نتائج الهجرة :

وينتج عن الهجرة نتائج بعضها إيجابى وبعضها سلبى .

النتائج الموجبة :

تساهم الهجرة فى القضاء على مشكلات البطالة فى الريف ، وتسهم مساهمة فعالة فى القضاء على مشكلات تابعة أخرى مثل انخفاض مستوى المعيشة ومستوى التعليم والمستويات الصحية والثقافية والحضارية بوجه عام .

وعلى الجانب القومى فإن هجرة الريفيين كقوة عمل ، وسواء كانت هذه الهجرة إلى المدن الصناعية الكبرى (كأسوان وحلوان وشبرا والمحلة الكبرى وكفر الزيات وكفر الدوار وغيرها) أو مراكز الجذب الزراعية (مثل مناطق مديرية التحرير وأبيس وكفر الشيخ والوادى الجديد ... الخ) ، إنما يثرى مواقع الإنتاج وينمى مصادر الدخل القومى — فضلا عن الدخل الفردى ويزيده .

وتؤدى هذه الحركات السكانية إلى زيادة تكوين رأس المال الصناعى

والزراعى والتجارى ، مما يؤدى إلى زيادة مستويات أجور العمال وبالتالى زيادة الطلب على السلع المنتجة ، وهكذا تدور دائرة الرخاء وتزيد الثروة القومية .

ولقد حاولت كثير من الدراسات تتبع حسابات المكسب والخسارة لحركة الريفيين إلى المدن ، فمن الناحية المادية (الدخل) وجد Landirg & Morgan (١٩٦٧) أى دخل رب الأسرة الذى نشأ فى الريف ثم هاجر إلى منطقة حضرية قد زاد حوالى ٨٠٠ جنيها (٣٠ ٪) عن رب الأسرة الذى بقى غير مهاجر فى الريف . وفى نفس الوقت ، فإن wertheime (١٩٧٠ — ١٩٧١)وجد أن المهاجرين من ريف الولايات المتحدة الأمريكية الشمالى قد زاد دخلهم عن قرنائهم الذين لم يهاجروا حوالى ٦٠٠ جنيها فى المتوسط فى العام الواحد ، وأن هذا الدخل قد زاد بنسبة أكبر (وصلت إلى ٢٫٠٠٠ جنيها) بالنسبة للمهاجرين من الطلاب الذين هاجروا إلى مدن كبرى [1] .

وهكذا فإن تحول جزء من الناس من النشاط الزراعى إلى النشاط الصناعى يؤثر على التنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية مما يحمل من اتجاهات نحو الحضر والتمدن .

النتائج السالبة :

يؤكد بعض العاملين فى حقل الديموجرافيا والعلوم الإجتماعية بوجه عام وكثير من العاملين فى هذا الحقل بالولايات المتحدة الأمريكية وأوربا بوجه

---

١ — د. عبد المنعم محمد بدر : المرجع السابق ص ٢٦ — ٢٩

خاص أن الهجرة الريفية / الحضرية كثير من الآثار السالبة . وعلى سبيل المثال فهجرة القرويين إلى الحضر تحرم المجتمعـــات الريفية من الكثير من أبنائهـا الشباب الناضجين الواعين الطموحين المثقفين المتعلمين والمـدربين ، وتتسبب في خلق العديد من المشكلات الاجتماعيه والنفسية مثل فقد الطابع الريفي، وضعف الروابط الأسرية ، والطلاق ، وانحراف الأحداث ، والإنحـراف الأخلاقي ، واللاتدين Secularization . كما أن هجرة هؤلاء الريفيين إلى المـــدن تخلق الكثير من المشكلات لمجتمع المدينـة مثل الزيادة المضطـردة في السكان ، زيادة البطالة ، خفض الأجور والدخل، إرتفاع تكاليف المعيشة ، إنخفاض مستويات الخدمات ، وإرتفاع نسبة الجريمة [١] .

ويقرر كثير من العلماء أن الأجناس البشرية فيما مضى كانت تنمو في عزلة نسبية ، وترث خصائصها العرقيه من طريق المولد والتكيف . بينما تدين المدينه في وجودها إلى توافد وهجرة شعوب من ثقافات مختلفة وأصول عرقية متباينه ولغات مختلفة ، وعادات وتقاليد متنوعـة . ومن ثم أصبح سكان المـدن غير متجانسين ، ويعيشون في ظل حكومة تسيطر على بقية الأقاليم من العاصمة [٢] .

ومع نمو السكان في المدن ، حدث تغير جذري . فبعد أن أخضعت المدينة الفلاحين ، بدأت في إخضاع المدن المجاورة . وإختفت دول المـدينة المستقلة ، وفقدت هذه المدن وظيفتها السياسية ، وحل محلها الدولة الإقليمية ويتمثل ذلك

---

١ ـ نفس المرجع ص ٢٩ .

2 - Ropert Park Ezra, the Human Community, the City, and Human Ecology P. 132

فى اليونان (١) .

ولا شك أن الكثافة السكانية وما ينتج منها من خصوبة وعمالة المرأة تستخدم كمعيار لقياس تحضر مجتمع عن مجتمع آخر ، إذ ينعكس هذا على المظاهر الاقتصادية والاجتماعية فى المدينة، بينما ينخفض عدد السكان فى القرية . فقد إزدادت نسبة سكان المدن فى العالم زيادة كبيرة سواء كان ذلك فى البلاد المصنعة أو غير المصنعة .

ففى انجلترا وويلز إرتفع عدد سكان المدن خلال الفترة ما بين عامى ١٨٠١ ، ١٩٠١ من ٨ر٩ مليون إلى ٩ر٣٢ مليون نسمة بزيادة حوالى ٢٤ مليون ـ أى أربعة أضعاف . وإنعكس هذا على حياة شعب إنجلترا وويلز ، فأضحى شعب حضرى . وفى إحصاء عام ١٨٥١ كان أكثر من ٥٠ ٪ من السكان يسكنون مناطق حضريه ، ثم إستمرت هذه النسبة فى الزيادة بعد هذا التاريخ. وعند نهاية القرن أصبح لإنجلترا وويلز خمسة وسبعون مدينة town يبلغ عدد سكانها ٥٠٫٠٠٠ نسمة، وأربعة وسبعون مدينة City يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين وبلغ عدد سكان مدينة لندن ٥ر٤ مليون نسمة. وبلغ عدد سكان كل من ليفربول ومانشستر وبرمنجهام وليدز Leeds وشفيلد وبرستول وبرافورد ودويست هام ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة. وإنعكست هذه الأعداد على هذه المدن ومنحتها خاصة الحضر . وإستمر نمو هذه المدن بنمو عدد السكان خلال الفترة من ١٨٩١ — ١٩٠١ بنسبة ١٤ ٪، بالمقارنة بزيادة تقدر ب ١٢ ٪ على المستوى القومى .وعند نهاية القرن التاسع عشر كانت ضواحى المدن تمثل مراكز النمو

---

1 - Bergel Egon Ernest, op. Cit P. 1.

السريع خلال العقد الأخير تضاعف سكان إيست هام East Ham شرق لندن ثلاث أضعاف . أما المدن المجاورة، وهي Walthamstow وليتون Leyton وويست هام ، فقد إزداد فيها عدد السكان بنسب هي : ١٠٥ ٪ ، ٥٧ ٪ ، ٣١ ٪ على التوالى . كما إزداد عدد سكان غرب لندن Willesden بمقدار ٨٧ ٪ ، وهورنسى Hoysey ٦٢ ٪ ، وتوتينهام Tottenham شمال لندن ٤٤ ٪ ، وكرويدون Croydon فى الجنوب ٣٠ ٪ .

وفى اسكتلندة أربعة مدن وصل عدد سكان كل منها ١٥٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٠١ . وكانت جلاسكاو Glascow أكثرها سكانا ، إذ بلغ عددسكانها ٧٦١,٠٠٠ نسمة . وإستمر النمو الحضرى فى بعض مناطق من لانارك-ين Lanarkhine وكليدسيد Clydside . وفى بداية القرن العشرين إرتفع عدد سكان أدنبرة Edinburg إلى ٣١٧,٠٠٠ نسمة ، ومدينة دندى Dundee ١٦١,٠٠٠ ، ومدينة أبيردين Aberdeen ١٥٣,٠٠٠ نسمة (١) .

وبلغ عدد السكان فى إيطاليا فى القرن الرابع عشر عشرة ملايين ، مما جعلها رائدة النهضة الحضرية . وكانت إدارة البندقية منظمة تنظيما دقيقا ، وبلغ عدد سكانها هي وميلان مائة ألف نسمة فى القرن الثالث عشر .

وعند نهاية القرن الثانى عشر ، بلغ عدد سكان باريس حوالى ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، وازداد عددهم عند نهاية القرن الثالث عشر إلى حوالى ٢٤٠,٠٠٠ نسمة. وفى عام ١٢٨٠ كان عدد سكان فلورنسا ٤٥,٠٠٠ وفى عام ١٣٣٩ بلغ عدد سكانها ٩٠,٠٠٠ نسمة (٢) .

---

1 — Cherry, Gordon, op. cit. p. 9

٢ — ممفورد (لويس) . المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٤٧٢

وقد يظن القارىء أن هذه الزيادة الكبيرة تخص البلاد المصنعة وحدها ، إلا الإحصائيات تدل على غير ذلك . ففي أفريقيا — مثلا — زاد عدد السكان في المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠٫٠٠٠ من ١٫٤ مليون سنة ١٩٠٠ إلى ٢٫٩٠ مليون نسمة عام ١٩٥٠ . وفي آسيا زاد عدد سكان المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠٠٫٠٠٠ من ١٩٫٤ مليون عام ١٩٠٠ إلى ١٠٥٫٩ مليون نسمة عام ١٩٥٠ — أي أن عدد السكان زاد في أفريقيا بنسبة ٦٢٫٩٪ ، وفي آسيا بنسبة ٤٤٤٪ (١) .

وتتميز القاهرة بكثافة سكانية شديدة ، تصل في بعض الأحياء إلى درجة ليس لها مثيل في العالم . مثل باب الشعرية حيث يقرب عدد السكان فيه ١٢٦ ألف نسمة لكل كم مربع وفقا لتعداد ١٩٦٦ (٢) . وتعرضت منطقة كفر الدوار لتيار من الهجرة الداخلية بشكل ملحوظ بعد أن أخذت في الانتقال التدريجي من القطاع الريفي إلى أن تكون مدينة صناعية تقوم فيها صناعة هامة من الصناعات المصرية .

ويرتبط التكوين الجنسي والعمري للسكان بالإقامة في المدينة ، فنجد مثلا أن نسبة الذكور في وسط المدينة أعلى من نسبة الإناث ، بينما العكس صحيح في الأطراف . وكذلك تزداد نسبة البالغين وتقل نسبة الأحداث والصغار في قلب المدينة ، أو مركز الأعمال فيها ، بينما نجد العكس في الأطراف (٣) .

1 — Cherry Gordon op. cit. op 9.

٢ — د. زيدان عبد الباقي — المرجع السابق : ص ٢٤٠

٣ — د. حسن الساعاتي : التصنيع والعمران — بحث ميداني للاسكندرية وعمالها ص ٣٤

العوامل الاقتصادية :

تقـــديم :

تشير كلمة العوامل الاقتصادية إلى مجموعة من الظواهر التى تتعلق بالحياة المادية للمجتمع ، ووسائل تنمية موارد ثرواته،وإنتاج هذه الثروات وتداولها وتوزيعها وإستهلاكها . وهي تضم العناصر التى تنتج السلع والخدمات ، مثل الأرض والموارد الطبيعية ، والقيم الثقافية ، والمعـــرفة الفنية ، ورأس المال والموارد المتاحة ، والتنظيم ، والعمل الذى يتمثل فى مهارات الأفراد . كما تشمل الطبيعة الصناعية المحلية وتنظيماتها،والتوزيع المهنى ومستويات المعيشة وظروف الرفاهية .

وقد قسم جولد سميث مراحل النمو الاقتصادي إلى مرحلة الإقتصـاد الذى يقوم على التجوال ، ويتمثل فى مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات. ويلى ذلك مرحلة جمع الثمار وصيد الحيوانات مع الاستقرار النسبي على الأرض، وصاحب هذا الانتقال تنمية المجتمع. وتشمل المرحلة الثالثة نشاطات معقدة تتمثـل فى الزراعة والرعى . وتميزت المرحله الرابعة بنمو الزراعة وظهور فائض زراعى يعول سكان المدن . وفى المرحلة الخامسة ظهر نوع من تقسيم العمل المعقد. وأدى هذا النمو الاقتصادى إلى زيادة عدد السكان ، وبالتالى إلى نمو المدن . فقد إعتبر مونتسكيو [١] المدينة جزءاً من النظام الاقتصادى.

فى العصر الحجرى القديم ، كان يجتمع لفيف من الأسرات والقبائل للسكن

---

١ ـــ د. محمد الجوهرى د السيد محمد الحسينى د محمد على محمد د علياء شكرى :
المرجع السابق ص ٦ :

فى موطن مشترك فى مواسم معينة ، لتنظيم جمع القوت أو الصيد . وقبل أن تغدو القرى والمدن الزراعية من معالم العصر الحجرى الحديث بزمن طويل، كانت المواقع الصالحة لما قد تم إختبار صلاحيتها من حيث وجود منبع يستمد منه الماء الصافى على مدار السنة ، ووجود تل صلب الأديم من السهل تسلفه ويحميه نهر أو مستنقع ، وغنى مصب النهر المجاور بالأسماك والمحاريات . ففى أقاليم عديدة كان كل هذا فى الفترة التى فصلت بين العصرين الحجرى القديم والحديث،دعامة الحياة الإقتصادية فى مواقع يشهد أنها كانت مراكز استقرار دائمة ، ما وجد فيها من محاريات مفتوحة كونت أكداسها أكواما ضخمة .

بيد أنه من الجائز أن تكون حياة الإستقرار أسبق من ظهور هذه القرى، فإن بقايا مبانى العصر الحجرى القديم فى جنوب روسيا ، كانت فيما يبدو جزءا من قرية صغيرة .

التقدم الزراعى :

يمثل إنتقال الإنسان فى العصر الحجرى القديم Paleolithic من كهفه إلى مخبئه الذى شيده من أفرع الأشجار أول خطوة نحو التحضر . ثم اكتشف الإنسان الزراعة وقام بتربية الحيوانات ، فكانت ثورة إقتصادية واجتماعية . وبعد أن كان الإنسان يجرى وراء الغذاء ، ويعيش عيشة بدوية غير مستقرة، وينتقل من مكان إلى آخر ، يعيش حيثما وجد طعامه سواء كان فى كهف أو فى العراء ، أصبح الآن منتجا للغذاء ، ووجد نفسه مضطرا إلى أن يرتبط بمكان واحد هو الأرض التى يزرعها ، وأن يبنى لنفسه مأوى يعيش فيه ، ويقيه من الحرارة والبرودة والحيوان . وبذلك نشأت القرية .

وكانت القرية مجموعة من أكواخ من الطين المجفف ، أو من الطين والبوص تحيط بها بساتين وحقول ، وكانت جميعها متواضعـــة فى مساحتها ، إذ أن الحقول الواسعة ذات الحدود الواضحة والشكل المستطيل لم تظهر إلا مع ظهور المحراث . وعلى مقربة من القرية كان يوجد النهر أو المستنقع .

وقد ظهرت هذه المرحلة حوالى ٤٠٠٠ ق.م ويحدثنا التاريخ أن اكتشاف الإنسان للزراعة وحياة القرية ، حدث أول ما حدث فى دلتـــا النيل فى مصر ووادى الدجلة والفرات فى العراق ، ووادى الإندوس فى باكستان وفى الهند ـــ أى حيثما وجد الماء للزراعة .

وكانت المدينة خلال هذه المرحلة أشبه بقرية كبيرة لم تستقر أوضاعها ، ولم يتم تخطيطها بعد . كما كان عدد سكانها محدودا ، وطبيعة العلاقات بسيطة وغير معقدة . ويقوم الإنسان بقنص الطيور بالفخاخ ويصطاد السمك بالشباك للحصول على طعام إضافى يعين على قلة المحصول، أو يزيد عن الطعام اليومى المعتاد . بيد أنه كما لاحظ جون أ. ويلسون john A. wilson حتى فى أكثر القرى الصغيرة بداءة ، مثل قرية مرمدة بنى سلامة بدلتا النيل فى مصر (كانت تغرس فى باطن الأرض جرة ليتجمع فيهـــا ماء المطر الذى يخترق السقف، وفضلا عن ذلك كان للقرية مخزن جماعى للغلال يتألف من سلال مضفورة كانت تغرس فى باطن الأرض . وفى وسط البساتين والحقول كونت القرية نوعا جديدا من مراكز الاستقرار بوصفها مجتمعا مستديما يتألف من الأسرات والجيران ، ومن الطيور والحيوانات ، ومن البيوت وحفر التخزين ومخازن الغلال .

ولاشك أن المجتمعات الزراعية تحتاج إلى نسق من تقسيم الأرض وملكيتها وتوزيعها ، وتخطيط المحصول ، وتوزيع مياه الفيضانات . وقد أدى هذا إلى ظهور علم الهندسة وبناء المنازل من الطوب . واستلزم ذلك مساهمة الجيران والأقارب ، ووضع فى الاعتبار القوى المتغيرة للطبيعة وفصول السنة . وفى ظل هذه الظروف ظهر الأغنياء ورجال الدين والارتباطات القبلية ، واندمج الناس فى شكل تنظيم إجتماعى وسياسى ، وظهرت أنماط فيزيقية وإجتماعية معقدة .

وأدت ظروف العمل فى الزراعة وتربية الحيوانات الأليفة ، واستخدام تكنولوجيا ضبط المياه ، واستعمال المحراث ، ورى الأراضى الزراعية ، وتخصيب الأرض ، واختراع العربات ذات العجلات ، وقوارب البحر ، وصناعة المعادن أدت إلى ظهور فائض زراعى يستخدم فى إطعام العمال اليدويين والتجار وطبقة الصفوة . وإذا كانت الجماعات الحضرية التى لاتعمل بالزراعة تمد بجزء من هذا الفائض ، فإنه يتوفر لديها الظروف المناسبة للاستقرار الإجتماعى ، إذ يميل الزراع إلى الآتى : —

أولا : يميل الزراع إلى السيطرة على فائض الإنتاج الزراعى ، ويتم هذا خلال السيطرة السياسية والعسكرية ، وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان ، واستخدام القتل وجباية الضرائب . ولهذا فإن نمو المدنيات (القديمة) كان يقوم أساساً على الرق والعمل الإجبارى (السخرة) . ويواصل الزراع إنتاجهم الزراعى لتبادل منتجاتهم الزراعية بالسلع والخدمات التى تعتبر نافعة لهم .

ثانيـا : يحتـاج هذا الفائض الذى يستخدم لإمداد الحياة الحضرية إلى وسائل تنقله إلى المدينـــة .

ثالثـا : يحتاج هذا الفائض إلى مخازن ووسائل للحماية ، ويظهر نسق معقد من التبادل ، وتوضع معايير للاوزان والمقاييس والحساب لقيـــاس مساحات الأرض .

رابعـا : يحتاج هذا الفائض إلى تسهيلات تخص توزيعه على سكان المدينة town ، ويتم هذا من خلال التبادل المباشر بين القروى وساكن المدينة .

وبظهور فائض الإنتاج الزراعى هاجر الفلاح الذى لا يعمل بالزراعة إلى مناطق أخرى للعمل فى التجارة أو الصناعة مما أدى إلى زيادة نمو المدن . كذلك استطاع الإنسان بظهور الآلات الزراعية الحديثة أن يستخدم أقل مجهود يدوى ممكن فى إنتاج الحاصلات المختلفة ، مما أدى إلى وجود أعـداد ضخمة من العمال الزراعيين بلا عمل ، وهؤلاء تحـولوا إلى المدينة وزاولوا نشاطات إقتصادية أخرى . وعليه فكلما زاد استخدام الآلات الحديثة فى الزراعة فى بلد ما زادت نسبة التحضر ، وزاد نمو المدن زيادة ملحوظة .

التقـدم التجـارى :

أدت التجارة فى العصر السومريانى إلى تحسين فن الكتابة وتقدم عـلم الحساب والفلك والتنجيم ، كما قسمت السنة إلى شهور وأيام وساعات ودقائق. واعتمدت المدن فى فترة ما قبل الثورة الصناعية فى نشأتها على التجارة فقـد اعتبر بيرين Pirerne [1] انتعـاش التجارة السبب المباشر لمـا تم فى القرن

---

١ — ممفورد (لويس) : المرجـع السابق — الجزء الاول ص ٤٥٩ .

الحادى عشر من بناء المدن وضروب النشاط التى أدت إنتشار المدينة .

ويؤكد هذا المعنى لويس ممفورد [١] ، إذ يرى أن التوسع التجارى كان من العوامل الهامة فى التحول من القرية الى المدينة، وبخاصة فى القرن السابع عشر. وبدأ الحافز على التوسع الحضرى ينبعث أساساً من التجار وأصحاب الأملاك الذين كانوا يهدفون إلى خدمة مصالحهم الخاصة .

فقد ظهرت مدن ساحلية أساسها حركة التصدير والاستيراد . وتجمعت الثروة فى المدن . وانتقل اهتمام أهل المدينة من المحراث واستئناس الحيوان إلى القصور والمعابد الضخمة والأثاث الفاخر والأسلحة للجيش .

وكان السوق هو مركز نشاط المدينة ، والتجارة هى حياتها ومصدر ثروتها. وبناء على تأثير العامل التجارى زادت قدرة المدينة على الجذب وبخاصة جذب العناصر الجديدة التى لم تكن مقيمة أصلا فيها ، واضمحلت سلطة اللوردات من الإقطاعيين . ولحساب التجارة ظهر الكتبة والمحاسبون ، ولحسم مشكلات التجارة ظهر الحكام المركزيون ، ولتأمين التجارة ظهرت الجيوش ، وانبثقت كذلك سلطة التجار الأغنياء .

واعتمدت المدن الصغيرة على التجارة بين عدد من المدن الصغرى . أما المدن الكبرى فكانت تجارتها دولية أى بين دول مختلفة. ونمت المدن بنمو الأسواق المالية وطرق التبادل ووسائل النقل ، وذلك فى ظل ظروف كانت تمنع فى الماضى ظهورها أو نموها . فالمدن التى تقع فى مناطق تبعد بعداً سحيقاً عن

---

١ — د . أحمد النكلاوى : القاهرة — دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ص ٢٠٠

مناطق العمران ، وتتخصص فى نوع دقيق جداً من الصناعة ، أصبح من الممكن استمرارها بل وازدياد كثافة السكان فيها عن طريق التجارة ووسائل النقـل الحديثة . والنتيجة التى ترتبت على ذلك أن الفكرة القديمة وهى أن المدينة لكى تزدهر يجب اعتمادها على منطقة زراعية حـــولها أصبحت غير ضرورية إطلاقا فى العصر الحديث .

وحين أخذت المدن التجارية الأقـــدم عهداً ، مثل بروج وفلورنسا فى التدهور فى القرن السادس عشر ، كانت الموانى البحـرية والنهرية الواقعه على طرق التجارة الرئيسية تنعم بالإزدهار ، وتشهد بذلك نابولى وباليرمو ولشبونه وفرانكفورت على نهر الماين وليفربول . ولقد انتشر إنشاء القنوات فى الأقاليم الواطئة إلى سائر أرجاء أوربا ، وفضـلا عن ذلك فإن مهـارة الهولنديين فى التحكم فى الماء وفى ضخه ، انتفع بها فى استخدام أقدم المواسير الرئيسية للماء من أجل سد حاجة المدن الآخذة فى التوسع . وقـد أنشىء فى القرن السابع عشر لأول مرة نظام النقل بالقوارب فى القنوات بصفة منتظمة فى كل ساعة ، وكان ذلك بين ديلفت وروتردام[1] .

وساعد على نمو المدينة ظهور نقابة التجارة ، وهى عبـارة عن هيئة عامـة تنظم وتشرف على الحياة الإقتصادية بأجمعها . فقد كانت تنظم قواعد البيـع ، وتحمى المستهلك من الإبتزاز ، والصـانع الأمين من المنافسة غير العـادلة . كما تقوم بحماية تجار المدينة من اضطراب أحوال سوقهم بتأثير عوامل خارجية .

---

١ — د. كمال الدين سامح : المرجع السابق ص ٧٧٢ — ٧٧٣

ومن الناحية الأخرى كانت نقابة الحرفة عبارة عن هيئـة تضم أساتذة الحرفة الذين يقومون بصنع منتجاتهم لتنظيم الانتاج . ومع توالى الزمن أصبح لكل من هاتين المنظمتين مظهر ينم عنها فى المدينة، الأولى «دار المدينة Town Hall» أو «دار السوق Market Hall» ، والثانيـة «دار النقابة Guild Hall» . وفى بعض الأحيان كانت تبنى الدار نقابة واحدة بمفردها ، كما هو شأن الدور الصغيرة العديدة فى البندقية ، وفى أحيان أخرى كانت الدار مبنى عظيما أقيم بفضل جهود مشتركة . ومن المحتمل أن المبانى الأولى للنقابات كانت عبـارة عن منازل متواضعة أو حجرات مستأجرة عفا عليها الزمن منـذ عهد طويل ، كما كان الشأن فى الرابطات القديمة . بيد أن المبانى التى بقيت قائمة ، كثيرا ما تنافس بفخامتها دار المدينة أو الكاتدرائية [١] .

والواقع أن النقابات لم تكن إلا عبارة عن المدينة فى مظهرها الإقتصادى، كما أن المدينـة كانت عبـارة عن النقـابات فى مظهريهـــا الاجتماعى والسياسى .

ولا يعنى هذا أن المدن كانت مأوى للتجار فقط ، وإنما يعنى أن أساسها الاقتصادى كان تجاريا ، وأن أغلب العـاملين فى المدينة من كتبة وموظفين ومديرين ومختصين فى الدعاية ومحاسبين كانوا من ملحقات العمليات التجارية، وأن الأطبـاء والمهندسين والمحـامين والمـدرسين كانوا فى خدمـة التجـارة وملحقاتها .

٢ — ١ ممفورد (لويس) : المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٤٩٢

مدن مرحلة ما قبل الصناعة :

يرى « إمريز جونز Emrys jones »[1] أن مدينة ما قبل الصنـاعة لا تطلق على أنماط مدن أوروبا الغربية الحالية ، وإنما تطلق على مدن أوروبا فى العصور الوسطى ، وجميع المدن التى كانت قائمة عبر التاريخ ولاتتسم بالصناعة. وكانت هذه المدن كما يقول « لامبارد »[2] — إما مدنا أساسها المحكمة أو الكاتدرائية أو الحصن أو السوق أو الميناء ، على أن أغلب المـدن كانت تضم هذه العناصر مجتمعة .

واتسمت مدن ما قبل الصناعة بالخصائص التالية :—

١ — سيـادة التكنولوجيـا التى تستند إلى قوى الإنسان والحيوان أكثر من استنادها إلى قـوى غير حية (الجماد) ، وبالتالى كانت الصناعة يدوية ، تعتمد أساساً على المواد الخام الأولية الزراعية أو إنتاج المناجم ، وكان العمال يعودون إلى قراهم فى أيام الحصاد ، ولذا كانت المناجم والمسابك وورش الأكواخ تقفل أبوابها فى فترة الصيف والجزء الأول من الخريف .

٢ — إنعدم التخصص الوظيفى فى مدينة ما قبل الصناعة ، بحيث أنه من النادر أن تتخصص المدينة فى وظيفة واحدة من الوظائف لتستبعد الوظائف الأخرى .

٣ — ساد الفكر والأدب بين « صفوة تتمتع بوقت فـراغ » ، وتعيش

---

1 — Merris, R. N., op cit. p. 39

٢ — د عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٨٠

أساساً فى المدن ، منعزلة عن الطبقات الدنيا ، وتسود البناء السياسى والدينى والتعليمى أوتوقراطيا .

٤ — صغر حجم المدينة : فمدينة ما قبل الصناعة هى بوجه عام صغيرة الحجم ، ولئن بلغت بعض هذه المدن حجما كبيرا ، إلا أن هذا الحجم يتضاءل بوضوح بالقياس إلى المدن الصناعية الحديثة . ويرجع صغر حجم مدينة ما قبل الصناعة إلى عدة عوامل منها بساطة التكنولوجيا السائدة التى أثرت بدورها فى عدم توافر فائض الغذاء الذى يسمح باعاشة الأعداد المتزايدة ، وفى عدم تطوير وسائل النقل الملائمة لاتساع حجم المدينة .

٥ — نسق العائلة : احتفظت الطبقة العليا فى مدينة ما قبل الصناعة بنسق العائلة الممتدة . وكانت معدلات الخصوبة مرتفعة لانعدام ضوابط النسل ولدواعى التفاخر بين الأسر وبخاصة الغنية بزيادة عدد الأطفال ، وقد ارتبط ذلك بالإمكانيات الاقتصادية .

٥ ـ التنقل الاجتماعى والفيزيقى المحدود

التقدم الصناعى :

ترتبط معدلات التحضر ببناء العمالة أو البناء المهنى داخل المجتمع . فقد يحدث أن تتحول بعض القرى الكبيرة إلى مدن صغيرة — فى حالات التغير الحضرى السريع — عن طريق إنشاء بعض المصانع وتوفير بعض الخدمات التعليمية والثقافية والحضرية مثل المواصلات والمياه والإنارة وغير ذلك .

إن مبانى القرية التى بناها أصحاب المصانع للعمال حول للمناطق الريفية

كما حدث فى كينوت Ke;n te — كانت تتسم بالجمال ، وتوفر فيها وسائل الإمداد .

وكانت تجربة روبرت أوين Robert Owen فى لانارك الجديدة New Lanark عام ١٧٨٤ ، حيث بنى مصنعا عند مساقط كليد falls of clyde ، وأقام قرية صناعية طبقا لأفكاره الإصلاحية فى الخدمة الاجتماعية والتعليمية تؤدى إلى تقويم الشخصية . وشجع مشروعه هذا عددا من أصحاب المصانع على القيام بأعمال متشابهة . فهناك قرية بيس بروك Bessbrook التى بناها جراب ريتشاردسون Grubb Richardson بالقرب من نيورى Newry ، والمنازل الحلوية التى بنتها عائلة سترت Strutt فى بيلبر Belper وديربى Derby [1] .

وقد نمت هذه القرى نموا كبيرا فعند نشأتها كان يسكنها ٤٠ ٪ من العمال الذين يعملون فى هذه المصانع ، وأنشئت مجالس المدينة والمدارس والمحلات والنوادى والكنائس ، وعبدت الطرق [2] .

وكشفت بعض الأبحاث عن أن الدول المتخلفة التى يعمل بها أكثر من ٥٠ ٪ من ذكورها بالعمل الزراعى تقدر نسبة سكان المدن بها بحوالى ٩ ٪ فقط . أما معدلات التحضر فهى ترتفع داخل الدول الصناعية التى يعمل أغلب سكانها فى مجالات العمل الصناعى والخدمات . ويؤكد ذلك أن نسبة سكان

---

1 — Cherry, Gordon, op. cit. p. 18

2 — Ibdį, p. 23

المدن فى البلاد الغير المصنعة تقل عن نسبة سكان المـدن فى البـــلاد المصنعة . والجدول الآتى يبين ذلك :

الجهـة	توزيع السكان فى العالم	توزيع سكان المدن فى العالم
آسيا	٥٣ر٢ ٪	٣٣ر٨ ٪
أوربا	١٦ر٤ ٪	٢٧ر٥ ٪
أمريكا الشمالية	٦ر٨ ٪	١٣ر٩ ٪
الاتحاد السوفيتى	٨ر٢ ٪	١٢ر— ٪
أمريكا الجنوبية	٤ر٦ ٪	٥ر٨ ٪
أفريقيا	٨ر٢ ٪	٣,٧ ٪
أمريكا الوسطى	٢ر١ ٪	٢ر١ ٪
استراليا و نيوزيلنده	٥ر— ٪	١ر٢ ٪
المجموع	١٠٠ ٪	١٠٠ ٪

جدول رقم (٥)[١]

يبين توزيع سكان المدن فى العالم

ونلاحظ من هذا الجدول أنه رغم أن ١٦ر٤ ٪ فقط من السكان فى العالم يعيشون فى أوربا ، إلا أن ٢٧ر٥ ٪ من سكان المدن فى العالم يعيشون فيها . وكذلك رغم أن ٥٣ر٢ ٪ من سكان العـالم يعيشون فى آسيا ، إلا أن ٣٣ر٨ ٪ فقط من سكان المدن فى العالم يعيشون فى مدنها . ونستنتج من هذا

١ — د. عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٩١

أن نسبة سكان المدن ترتبط بالتصنيع فتزيد بزيادة التصنيع وتقل بقلته .

ويفسر ذلك أن الصناعة الحديثة تحتاج إلى تجميع عدد كبير من العمال فى مكان واحد داخل عدد من المصانع المتجاورة التى تعتمد بعضها على بعض ، أو التى تعتمد على مصدر واحد للمادة الخام . ويختلف هذا عن الصناعة اليدوية التى كانت تقوم فى البيوت وداخل الأكواخ البسيطة ، والتى لم تكن تستدعى تركيز عدد كبير من العمال فى منطقة واحدة . وساعد على هذا وجود مصادر الطاقة المحركة كالفحم أو الشلالات فى أمكنة محددة مما استدعى تركيز المصانع فى تلك المناطق وذلك لاعتبارات اقتصادية مختلفة . وبحدوث الانقلاب الصناعى ، وفى هذه المرحلة من بناء المدن ، أصبح مما لا يطاق بقاء السور الذى بات الآن بلا معنى ، وكذلك بقاء الفوضى وسوء النظام ، وهو ما اتصفت به المدن فى أواخر العصور الوسطى ، وحتى أنه من الناحية العملية أصبحت تساور الناس الظنون بأن الشوارع المتعرجة ، والأزقة المظلمة ، تساعد على ارتكاب الجرائم بل إنه فى عام ١٤٧٥ وصف فيرانتى ferrante ملك نابولى الشوارع الضيقة بأنها خطر على الدولة [١] .

ومما لا شك فيه فإن نمو الصناعة يؤدى إلى زيادة الحاجة للعمال ، وزيادة حجم المدن ، وشدة إقبال الناس عليها ، ليس لغرض الاقتصادي فحسب ، ولكن لما فيها من حرية وفرص ترفيهية وتسهيلات معيشية . ويؤكد هذا المعنى لويس ممفورد [٢] إذ اعتبر المدينة الأمريكية تدين فى وجودها إلى حد

---

١ — ممفورد (لويس) : المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٦٣٨

٢ — د. أحمد الشكلاوى : المرجع السابق ص ١٩

كبير للثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم صناعي استتبع آثارا واضحة إنسانية ومادية عديدة تمثلت بوضوح في مدن بترسبورج وسانت لويس وشيكاغو .

وتتأثر الظواهر الحضرية مباشرة بالتصنيع من حيث : نوعيته ، ودرجته ، ومجاله ، ولا نعني بالقاعدة الصناعية هنا مجرد توافر صناعة ما ، في نطاق مكان معين ، بحيث تؤثر بالضرورة على سكان ذلك المكان إقتصاديا واجتماعيا ، وإنما نعني بتلك القاعدة الصناعية ، وجود نظام أو نسق (System) من الصناعات يكون محورا أساسيا لحركة السكان من هذه المنطقة وإليها ، ومجالا لممارسة الأنشطة داخل المركز الحضري وخارجه .

ويرتبط التصنيع بالتحضر ، من كونه سببا أساسيا من أسباب عمران المدينة ونموها السريع مساحة وسكانا ووظيفة . فقد ظهرت مباني جديدة لم تكن معروفة من قبل كالمصانع ومحطات السكك الحديدية . وأدى التصنيع إلى ظهور التباين الوظيفي ، ليس فقط في المنشآت والمباني ، وإنما في المناطق التي تنقسم إليها المدينة . ويقصد بذلك الفصل بين مناطق سكانية وأخرى صناعية ، ويمثل كل منها نوعية وظيفية معينة ، وذلك كأن نجد مركزا إداريا في منطقة ، ومركزا تجاريا في منطقة أخرى، ومناطق لصناعات خفيفة وأخرى لصناعات ثقيلة ، وثالثة للترفيه . وكلما كبرت المدينة حجما زادت هذه الأقسام الفرعية عددا وتخصصا .

ويؤدي التصنيع إلى رفع الكفاية المالية والإدارية للمناطق الصناعية الحضرية وتتغير الحياة الاجتماعية فيها فتصبح تدريجيا مركبة ذات علاقات

معقدة متشابكة واسعة النطاق ، ولكنها غير شخصية وغير متينة ، وقائمة في الأغلب على مبدأ المنفعة الذاتية ، ولذلك فهي غير مستديمة ، إلا إذا اتخذت شكلا رسميا يفرضه القانون [١] .

ويعتبر التصنيع من أهم العوامل التي تحدث تغيرا دائبا في أحوال الناس الاجتماعية التي تتبلور في شكل مفاهيم وقيم وعادات وأعراف وتقاليد ونظم ومثل ، تتداخل جميعها في تكوين الإطار العام الحضاري الكلي الذي يرى فيه الفرد تربية اجتماعية .

وينعكس التصنيع أيضا بشكل لافت في ارتفاع مستوى معيشة الفرد في المدينة ، الأمر الذي يجعلها مركز جذب لعدد من المهاجرين الذين يبغون الحصول من الأعمال المنظمة في مصانعها على أجور محددة توقيتاتها .

العوامل السياسية والحربية :

لعل التنظيمات الإدارية التي صاحبت تطور السيادة الأبوية إلى السيادة القبلية ، والعمل على تنسيق العلاقات بين الناس في المجتمع والسهر على شئون الأمن ووضع مصطلحات للرقابة والضبط الاجتماعي كانت من العوامل الأساسية لظهور المدن . ويؤكد هذا المعنى وليم فورم [٢] : إذ يرى أن بناءات القوة السياسية لعبت دورا متميزا في تشكيل المدن وتحديد بنائها ، إذ تختار الحكومات مراكزها عادة في المدن .

---

١ — د. حسن الساعاتي : المرجع السابق ص ٦ — ٧

٢ — د. السيد عبد العاطي : المرجع السابق ص ١٧٨

وإذا ما ألقينا نظرة على أى عاصمة من عواصم العالم ، فإننا نرى مدى تأثير الحكومة المركزية فيها على نموها . فقد كانت المدينة بمثابة مراكز سياسية يناط إليها أداء الوظائف الإدارية والعسكرية ، كما كانت الموطن الطبيعى للصفوة الحاكمة ، ومن ثم هيمنت على غيرها من المدن الصغرى وبعض المراكز الدينية والتعليمية التى وجدت فى ذلك الوقت ، واستحوذت بدورها المسيطر على الفائض الإقتصادى للبلاد . وحتى الوظيفة الإقتصادية كانت تعجز من خلال بناء القوة السياسية والعسكرية حيث كان من المتعين على الصفوة الحاكمة أن تستحوذ على القوة العسكرية والاقتصادية والإشراف على المسائل الدينية حتى يمكن أن تحتفظ بالسيطرة والغلبة على عامة الشعب فى المجتمع ولتحمى نفسها من أى هجوم خارجى (١) .

وفيما مضى ، كانت هناك مدنا مقرا للسلطة السياسية ومركزا للتجارة . ويتمثل ذلك فى مدن إمبراطورية نانكنج وبكين فى الصين . وكانت مدينة نانكنج تضم داخل أسوارها بقايا مدينة التارتار Tartar الحصينة التى احتلها المغول . وضمت مدينة بكين مدينة الصين ومدينة التارتار Tartar ، ولكل منها سورها ودفاعاتها الخاصة (٢) . وفى عهد الرومان، كان يحيط المدن أسوارا ضخمة وخنادق وبوابات (٣) .

وكان تحديد المدن فى العصور الوسطى فى أوربا عن طريق مرسوم خاص

---

١ — نفس المرجع : ص ١٠٠

2 — Park, Robert Egra, op. cit, p. 132

٣ — د محسن زهران : فلسفة التصميم ص ٤٢

يصدره الملك ، وفى عصر النهضة (١٥ م — ١٧ م) كانت المدن تقام بأمر من الحاكم ، وكنتيجة طبيعية لارتباط المدينة بالحكم الملكى ، وليس لتطور طبيعى لها — حيث يتصدر المدينة القصر الملكى الذى يتقدمه ساحة كبيرة تلتقى فيها الطرق الرئيسية للمدينة ، وفى الجهة الأخرى من القصر تقع الحدائق الخاصة به ، ومن أشهر المدن التى خططت على هذا الأساس مدينة فرساى بفرنسا ، حيث يتصدر القصر الملكى فيهما مركز الثقل فى التكوين العام للمدينة باعتباره مركز السلطة السياسية فى ذلك الوقت ، ولذلك فهو يتصدر المدينة ويقع على المحور الرئيسى فيها تأكيداً لمكانته — كما أن أبعاد المساحة التى تتقدم القصر نجدها كبيرة إلى الحد الذى يشعر فيه الإنسان بالرهبة وعظمة الحكم فى ذلك الوقت . وتقع خلف القصر الملكى حدائق فرساى الشهيرة بتخطيطها المنتظم ومسطحاتها الكبيرة .

ولا يخفى علينا مدى تأثير الحكومة فى نمو المدن، ويرجع هذا إلى الأسباب التالية :—

١ — أن الحكومة تجتذب عدداً كبيراً من الناس ليعملوا بها .

٢ — رغبة الناس فى المعيشة بالقرب من مصادر السلطة ، كما تجتذب عواصم الأقاليم والمحافظات عددا من الناس لنفس الأسباب ، ولكن بدرجة أقل ، ويزداد تأثير الحكومة على نمو المدن بمرور الوقت ، وذلك لازدياد مسئولياتها باستمرار .

٣ — يشجع التنظيم السياسى الدراسات العلميـــة والتخصص الشامل

لإمكانيات الصناعة ، ويزيل الصعوبات التى تعترض سبيلهـا ، ويوفر المواد اللازمة للصناعة والأيدى العاملة للصناعات المختلفـة ، ويدير الاعتمادات المالية اللازمة . كذلك فإن عمليات تأميم الصناعات الهامـة نقلت الملكية من أقلية متحكمة مستغلة إلى ملكية الشعوب فى إطار القطاع العام ، ونشأت مستويات صناعية وتجارية جنبا إلى جنب .

ويمكن الاستعانة بالقوة ـ السلطة على مستويات مختلفة ـ المحلى والقومى والعالمى ـ فقرارات القوة ـ السلطة لهـا تأثير واضح على أيكولوجية المدينة وبنائهـا الاجتماعى . إن الأفراد يستطيعـون تحقيق أهـدافهم إذا كانوا يمتلكون القوة السياسية الضرورية ، فإذا أرادت جماعة ما أن تحول منطقة المقابر إلى حى تجارى مثلا ، أو تحول منطقة سكنية إلى منطقة تجارية ، فلابد وأن تمتلك بادىء ذى بدء القوة الكافية التى تستطيع التغلب بها على أية مقاومة (١) .

وتتأثر إيكولوجية المدينة بقرارات القوة على المستوى القومى . فنى مدن جنوب إفريقيا تعددت الأنماط الإيكولوجية المحلية نتيجة للقرارات التى أصدرتها الحكومة ، حيث أصدرت القوانين التى تحد من حركة السكان الوطنيين داخل المدن وخارجها . وفى اتحاد جنوب أفريقيا أجبرت الحكومة أعدادا كبيرة من السكان الوطنيين فى السنوات الأخيرة على ترك المناطق القريبة من قلب بعض المدن مثل جوهانسبرج ، ثم أعيد توطينهم بعد ذلك فى مجتمعات محلية جديدة تبعد

---

١ ـــ د محمد الجوهرى وآخرون : المرجع السابق ص ٦٢

عن أماكن عملهم ، وتشير بعض الشواهد إلى أن التخطيط الاجتماعي على المستوى القومي يمكن أن ينعكس آثاره على طبيعة المراكز الحضرية ونموها.

ولقرارات القوة / السلطة التي تصدر على مستوى قومي آثار واضحة على البناء الاجتماعي للمجتمعات الحضرية المحلية . وقد يكون حكم المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية الخاص بالتفرقة العنصرية في المدارس العامة مثالا على ذلك ، فمن الواضح أن مثل هذا الحكم جدير بأن يعدل من البناء الاجتماعي لكثير من المدن . وفي اليابان لجأ كثير من أعضاء الطبقة الحاكمة إلى التحضر باعتباره وسيلة لإظهار اليابان على المسرح الدولي (١).

وتعبر العمارة الحديثه في العالم الديموقراطي الغربي عن الشخصية الفردية ، بينما على العكس من ذلك تقول الديموقراطيه الشيوعية أو الروسية . «يجب أن يكون لنا فن جماعي ، ويتحتم على المثقفين أن يفكروا وينتجوا إنتاجا جماعيا» . وكثيرا ما اتبع الروس هذا الأسلوب في التصميم المعماري ... يقوم معماري بعمل تصميم ما ، ثم يضيف معماري آخر إلى التصميم شيئا ، ويجيء ثالث ويمسح جزءا منه ، ويضيف رابع جزءاً آخر . وحينما يعود المشروع إلى المعماري الأول واضع التصميم بعد هذه الجولة على لوحات الرسم يكون قد فقد للمشرع معالمه ويصعب التعرف عليه .

ومما يذكر بخصوص مزاولة مهنة الهندسة المعمارية في الاتحاد السوفيتي أنه لا توجد مكاتب معمارية حرة لمزاولة المهنة ، وكل مهندس معماري هو

---

١ — نفس المرجع : ص ٦٨ — ٦٩

موظف فى الدولة . ويعمل المعمارى الروسى مع مجموعة من الفنيين والإنشائيين والإقتصاديين كوحدة منظمة تسمى « لواء » تحت رئاسة معمارى أو مهندس مدنى. واللواء هو أصغر وحدة ، وكل مجموعة وحدات تشكل « قطاع Sector ». ويسند معهد التخطيط الإقتصادى الوطنى Gosplan كل عام إلى كل قطاع جزء من مشروع خطة الإنتاج . ويقوم كل قطاع بتوزيع هذا المشروع على كل « وحدة » للقيام بدراسته ، وأحسن تصميم هو الذى يجرى العمل به . وبعد اعتماد المشروع من رئيس القطاع يرفع إلى المجلس الأعلى الفنى السوفيتى ثم إلى المسئولين المحليين فى المنطقة .

وتأثرت برامج التحضر والتصنيع تأثرا واضحـــا بالقوة التى تمارسها الحكومة ، فقد سعت القيادات السوفيتية إلى تحطيم الأسلوب التقليدى للحياة الذى يمارسه الفلاحون ، وذلك كوسيلة لاندماجهم فى مجتمع يسوده التصنيع والتحضر . ولقد مكن تجميع المزارع من إدخال التصنيع فى الزراعة مما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من الفلاحين الذين لم تعد المزارع فى حاجة إليهم إلى المراكز الحضرية .

ومن منطلق الحكم الإشتراكى أنشئت المراكز الصحية، والمصحات العلاجية للعمال ، ومساكن السوفييت ، وفيلات أو قصور لطليعـة رجال الجيش من الشباب ، ونماذج جديدة لوحـدات التجمعات السكنية التى تتوائم مع تطــور الحياة الاجتماعية فى البلاد ، وللمراكز الشعبية فى الأحياء السكنية الصغيرة ذات التجمع المقفل أو المحدود ، والمراكز الثقافيـة والتعليمية فى المدن والقرى — المدرسة والنادى — إلى غير ذلك من المبانى التى تخـدم الشعب وتحقق

احتياجاته ، وكان هذا لأول مرة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى يتم إنشاء مثل هذه النماذج من الأبنية العامة .

وتخلص الاتحاد السوفيتى من المناطق الصناعية التى كانت تحيط بالمبانى السكنية فى المدن القديمة ، وجعلوها فى مناطق بعيدة عن مشروعات التعمير والإسكان .

وأوجدت ثورة أكتوبر الإشتراكية السوفيتية الوسائل والطرق التى أمكن إتمامها بواسطتها ، وهى قومية الأرض ، ونهاية الملكية الفردية ، وتعميم الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج ، وأسلوب العمل الجماعى ، إلى غير ذلك من المفاهيم الإشتراكية [1] .

ومن الناحية الحربية والاستراتيجية ، فإن النزاع على الحدود وغارات الجماعات البدوية فى المراحل الأولى لتكوين المدن كانت من العوامل التى ساعدت على نزوح عدد كبير من السكان إلى المدن وبالتالى أدت إلى نموها وكانت جماعات البدو تغير أحيانا على المدن مستهدفة بذلك السلب والنهب . وفى أحيان أخرى استقرت الجماعات الغازية فى المدينة وفرضت نظامها العسكرى على النظام الاجتماعى القائم . ومن المحتمل أن المدن فى مراحلها الأولى قد ظهرت على شكل جماعات بدوية قوية استقرت بجوار القرى الزراعية ، وقامت بالإغارة عليها والسطو على منتجاتها [2] .

---

١ — توفيق أحمد عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٨

2 — Hadden, Jeffrery K. and Barton, joseph j., (Eds.), op. cit. p. 27

كان السوماريون فى حالة حرب مستمرة . وكانت الأسوار الضخمة أهم ما يميز مدنهم . وأقيمت هذه الأسوار من أجل الدفاع عنها ، ومن أجل حمايتها من الفيضانات ، ولكنها كانت تمثل عائقاً يحول دون توسع المدن خارج حدودها وإذا ما احتاجت المدينة إلى التوسع ، حطم السكان جزءاً من السور ، ثم يعاد بناؤه على مسافة أكثر بعدا (١) .

وهكذا ظهرت منذ قديم الزمن الأهمية الحربية لكثير من المدن . ولذلك تحاول الدول المختلفة مع تطور فنون القتال وأساليب الحرب أن تجد المناطق الاستراتيجية التى يمكن اتخاذها قواعد عسكرية ومستودعات للذخيرة ، وأن توفر وسائل الحماية العسكرية من أدوات تحطيم ودفاع ، ونعنى بها السور وجيش المواطنين ، مما يكفل للمدن أسبابا جديدة للإقبال عليها كأماكن للإقامة والعمل فى أمان .

ففى العهد اليونانى القديم ، حطم الإسكندر كثيرا من المدن التى غزاها ومع ذلك فقد اشتهر بوضع خطط لبناء أكثر من سبعين مدينة جديدة فى أوربا وآسيا وأفريقيا. وكانت مدينة الاسكندرية التى بناها عام ٣٣١ ق م. أكثرها فخامة . وقد توخى من إنشائها ثلاثة أهداف . أحداها إنشاء مدينة إفريقية تكون مصدرا لإشعاع الحضارة الإغريقية بين ربوع مصر ، وثانيها : أن تخلف هذه المدينة مدينة صور فى العالم التجارى . وثالثها : إقامة قاعدة بحرية تدعم سيطرته على بحر إيجه فى شرق البحر المتوسط . وسرعان ما غدت

---

2 — Habenstreit, Barbara, op. cit. p. 25

الاسكندرية أكبر مدينة إغريقية فى العالم تفوق فى إتساعها أكبر المدن الإغريقية القديمه .

ويرجح أن بطليموس الأول هو الذى خطى حوالى ٢٩٠ ق . م الخطوة الأولى فى سبيل إنشاء دار العلم والمكتبة . ومن ثم أخذ يدعوا إلى الإسكندرية الكثير من فحول الشعراء الإغريق وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم وفنانيهم (١) .

وأنشأ الغزاة الرومان فى جهات متعددة من مصر عمائر مدنية متعـــددة الأنواع . كالبوابات والأقواس والمسارح والجيمنازيا والحمامات العامة . وتبين من بقـايا المنشآت التى كشفت عنها أنها كانت وفقـاً للطـراز الرومانى فى تخطيطها وعمارتها وزخرفتهـا ، وأن الطراز الرومانى فى مصر كان شأنه فى روما وباقى أنحاء العالم الرومانى يميل إلى استخدام الأعمدة الكورنثية . وعلى حين كانت المنازل تبنى عادة من اللبن كانت المنشآت العامه تبنى من الأحجار ، وكثيراً ما استخـدم فيهـا ولاسيما فى الاسكندرية الرخام المستور دمن الخارج (٢) .

وهكذا ظهرت من قديم الزمن الأهمية الحربية لكثير من المدن مثل (تروادة) (قرطاجة) (صيدا) (صور) (انطاكية) . وفى العصر الإسلامى وجدنا (حطين) (عين جالوت) . وقد أدرك نابليون فى حروبه أهمية جبل طارق واستراتيجية مدينة (عـكا) .

---

١ — أيمن الخولى وآخرون : تاريخ الحضارة المصـرية — العصر اليونانى والرومانى والعصر الاسلامى — المجلد الثانى ص ٨٢

٢ — نفس المرجع : ص ١٩٤

وحتى بداية القرن العشرين ، أقيمت المدن فى ضوء وجهة نظر الدفاعات العسكرية فكانت حدود المدينة محددة ، وتحيطها الأسوار ، وتؤدى الشوارع إلى مركزها (١) .

وقد أفضى فن التحصين إلى تحويل الاهتمام فى البنـاء من فن العمارة إلى فن الهندسة ، ومن التصميم المتسم بالصفات الجمالية إلى التقديرات المـادية للوزن والعدد والموقـع ، إذ قد تبين للمهندسين العسكريين نتيجة تجارب قليلة أن نار المدافع ذات القذائف يمكن مقاومتهـا على وجه أفضل ، ليس بالحجـر أو الآجر ، وإنما بمادة لينـة مثل التراب ، ومن ثم كان للتحصينات الخارجية شأن أكبر من المتاريس والأبراج والخنادق التقليدية (٢) .

وقد أثرت كل من الحربين العالميتين الأولى والثانية أكبر الأثر فى التطور المعمارى والإقتصادي فى جميع أنحاء العالم ، وعقدت عدة مؤتمرات عالمية لدراسة الإتجاهات الجديدة لتطوير تصميمات العديد من الأبنية العامه الثقافية والصحية والإجتماعية ، والمساكن المجمعة ، وعلاقة التكوين الأفقى والرأسى بتخطيط وتنظيم المدن ، وكذلك تطوير المبـانى لتتمشى مع التطور الإنشائى والتطور الصناعى فى العصر الحديث ، وخاصة فى مجال تصنيع مـــواد البناء وطرق الإنشاء المستحدثة .

---

1 — Corbusier (Le), The city of To - morrow and Its Meaning, p. 97

٢ - توفيق احمد عبد الجواد : المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٧١

واصطنعت دراسات نسجل منها على سبيل المثال مشروع مدينة المستقبل للمهندس الإيطالى انطونيو سانت إيليا Antontio Saint Elia عام ١٩١٣، تلك المجموعة السكنية للتدرج الإنشائى للمساكن المجمعة ذات الحدائق المعلقة ، ومنها مشروع عمارات باريس الهرمية المدرجة للمهندس المعارى أدولب لوس Adolb Loos ، ومشروعات المجموعة السكنية فى بودرو والجزائر للمهندس المعارى لوكوربوزيه سنة ١٩٣٠ . وظهرت العديد من المشروعات للمجموعات السكنية ذات التجميع الأفقى والرأسى والمتراص ، تهدف إلى حل مشاكل التعمير بأسلوب علمى صحى يلائم البيئة والطبيعة والمجتمع . ووضع ميزفان دروه مشروع البرج السكنى ذات الحوائط الخارجية الزجاجية فى برلين سنة ١٩٢٩ ، ومشروع مجموعة أبراج سان مارك بشيكاغو سنة ١٩٣٠ تصميم فرانك لويدرايت ، ومشروع أبـراج الجـــزائر السكنية سنه ١٩٣١ تصميم لوكـوربوزيه .

وفضلا عن أن جميع هذه الدراسات والمشروعات والمحاولات الجريئة كانت تهدف إلى حل مشاكل التعمير والتطور المعارى والتخطيط المعارى ، فإنهـا أضافت إلى ذلك نظريات إنشائية جديدة فى الخرسانة المسلحة ونظريات معارية فى التصميم المعارى وخاصة فيما يتعلق بالإسقاط الحر ومرونة المساقط والطوابق المفرغة وكاسرات الشمس والحوائط الساترة وغير ذلك من النظريات المعمارية والإنشائية التى تتعلق بمواد البنـاء وطرق الإنشاء .

العوامـل الثقـافية :

وتشمل الظروف السائدة للفنون ، والإتجاهات الأخلاقية والبعد التاريخى

والعقيدة والمحرمات والمقدسات والنمو التكنولوجي الذى يؤثر فى توزيع السكان والخدمات . وهي تلعب دوراً كبيراً فى ظهور المدن . فقد عملت ثقافة الإنسان على خلق المدن ، وتغير الشكل الفيزيقى المدينة بفضل العامل الثقافى . ونمت المدن بفضل التراكات الثقافية .

هذا ومن الممكن أن نتعرف على خصائص ثقافة أو حضارة معينة بما تتركه من آثار . لكن هذا لا يفى بالغرض ، فالمدينة ليست مجرد قصر أو معبد ، أو سجل لموضوعات فنية ، إنها كل الناس الذين يسكنونها ، ومساكنهم وعلاقاتهم وشوارعهم ومتاجرهم . كما لا تقاس الحضارة بما تقدمه من اختراعات فقط ، وإنما تقاس كذلك بمدى انتفاع الناس بهذه الخدمات .

فقد انتشرت الحضارات الأولى عبر الأودية فى النيل ، والدجلة والفرات وأنهار السند والكنج حيث يتوفر الماء والطعام . وقامت سلسلة من الإمبراطوريات أسهمت كل منها فى نمو العالم المتمدن وساد هذه الحضارات سمة عامة مشتركة هي عبادة أفراد الشعب للطبقة الحاكمة . فقد كان أفراد الشعب ينحنون أمام الملك الحاكم بصفته إلها . وكانت جميع ممتلكات المملكة ، والأرض ومنافعها فى حوزة الملك الحاكم (١) .

أما المدن الإغريقية City - state فقد ظهرت فيها طبقة من الأغنياء أصحاب الأرض الذين استحوذوا على السلطة . وتميزت الحياة الإجتماعية فيها

1 — Gallion, Arthur B, & Eisner, Simons, the Urban Pattern city, Planning and Design p. 5.

بالإهتمام بالنواحي الدنيوية كالرياضة والفلسفة إلى جانب الإهتمام بالنواحي الدينية والسياسية ، مما أوجب معه أن تكون للمدينة منطقة يجرى فيها النشاط الإجتماعي والسياسي والإقتصادى للسكان ، هذه المنطقة تسمى الأجـورا Agora ، وهى تمثل مركز المدينة الإغريقية وكانت الأنشطة الرياضية تجرى فى الجيمنازيوم ، وفى المسرح تقام حفلات الدراما والأعياد . وخطط حـول الأجورا المحلات وأكشاك السوق .

وبلـغ عدد سكان أثينـا فى القرن الرابـع والخامس قبل الميلاد ٤٠٫٠٠٠ نسمة . أما جميـع السكان بما فى ذلك العبيد والأجانب فيتراوح عـددهم مابين ١٠٠٫٠٠٠ — ١٥٠٫٠٠٠ نسمة [1] .

وأقيم كثير من المدن الأوربية مثل باريس على أساس أنها تطورت داخل أسوار استبدلت بحدائق وأشجار . كما اشتهرت مدن بنشاط ثقافى ملحوظ ، وكان هذا النشاط سببا فى تقدم واتساع هذه المدن ، مثل اكسفورد وكامبردج . كما أن كثيراً من المدن ازدهرت فى القرون الوسطى لشهرتها الثقافية مثل روما وفلورنسا وجنوه والبندقيه والقسطنطينية . وكان السبب الجوهرى لإنشاء المتحف وهو أكبر منظمات الحاضرة دلالة على تاريخ المدينة ، فهو هـام على حياتها المثالية ، شأنه فى ذلك شأن الجيمنازيوم فى المدينة الهيلينية أو المستشفى فى العصور الوسطى .

وأدت الحياة الحضرية إلى قيـام كثير من المدن تتحدد وظيفتها الأساسية على أنها مدن للترفيه والترويح ، وهي مدن تتمتـع فى الغالب بنواحى جمالية

1 — Ibid, p. 18

معينة ، فنها المشاتى والمصايف والمشافى ، ومن أمثلة هذه المدن كابرى فى فى إيطاليا وحلوان فى مصر [1] .

ومن الطبيعى أن يتعرض الوافد الجديد إلى النمط الحضرى ، لمجموعة من الرموز السطحية فى شكلها ، ذات المضمون فى جوهرها ، والتى تختلف فى معظم الأحيان مع نسق القيم الذى كان يتعامل من خلاله الفرد فى المجتمع الذى نزح منه .

ويرجع تاريخ كثير من المدن إلى جوانبه عقائدية ودينية . إذ ما نكاد نعثر على أثر الإنسان سواء فى نار مخيماته الأولى ، أو فى أداة هيأها من الحجر ، حتى نجد دلائل على مصالح ومخاوف لانظير لها فى عالم الحيوان ، وبخاصة شدة الإهتمام بالموتى ، ويتبين ذلك من العناية بدفنهم ، عناية تقوم الشواهد على أنها كانت مقرونة بشعور متزايد من الاجلال الناشىء عن الخوف والرهبة .

فى العصر الحجرى القديم كان الموتى أول من ظفر بمأوى ثابت فى كهف ، أو تحت كوم مميزة بمجوعة من الركام ، أو فى قبر مشترك تحت نشز من الأرض . ولعل الأحياء كانوا يعودون إلى هذه المعالم من حين لآخر لمناجاة أرواح أسلافهم واسترضائها . وعلى الرغم من أنه لم يكن من شأن الصيد والبحث عن الطعام تشجيع الإقامة الدائمة فى مكان واحد ، فان الموتى كانوا أصحاب الفضل فى ذلك . والثابت أن مدينة الأموات سبقت مدينة الأحياء فى الوجود .

---

١ — د. أحمد كمال د. كرم حبيب برسوم : علم الاجتماع الحضرى — دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضرى ص ٨١

وفى الواقع تعتبر مدينة الأموات من ناحية معينة النواة التى نشأت عنها مـــدينة للأحياء (١) .

وفى مرحلة لاحقة ، وبظهور الزراعة ، وفائض الإنتاج الزراعى ، كان رجال الدين أول من انفصل عن العمل الزراعى ، وكرسوا كل وقتهـم فى الممارسات الدينية . ويتجلى هذا عند السوماريين الذين كانوا يتسمون بالتدين ، وتركزت قراهم حول المعـابد الكبرى ، واعتقدوا أن آلهتهم فى حاجة إلى أماكن أخرى يستقرون فيها .

وشغلت هذه القبور والمعـابد المكان الرئيسى فى القرية . ويبدو ذلك فى العراق القديم ، وفى بريطانيا فى العصر الحجرى الحديث . وكانت هذه المقابر والمعابد مركزاً للنشاطات والاحتفالات فى القرية (٢) . وهى معابد كانت صغيرة ، ثم كبرت واتسعت مع ظهور القرى وعلى مر الزمن صارت مبانى مزخرفة . وتميزت كل قرية بأبراج معـابدها . وتوسعت القرى حول المعابد . وانتقل ولاء السوماريين تدريجيا من الولاء للأسرة إلى الولاء للمعبد .

وتركزت جميـع النشاطات الدينية والإجتماعية والعقلانية فى المعـابد تحت إشراف رجال الدين الذين كانوا يقومون بضبط الشعائر الدينية . ثم أخذ رجال الدين على عاتقهم القيام بأداء أعمال غير دينية كادارة وتوزيـع الطعام .

---

١ — ممفورد (لويس) : المرجع السابق — الجزء الأول ص ٩

2 — Childe, Gordon, The Urban Revolution in Baker, Thelma S. (Ed.) The Urbanization of Man, A Social Science Perspective, p. 131.

وخزنوا الغلال والطعام فى المعابد ، حتى يجد الشعب طعاما وقت الأزمات . وقام رجال الدين بعمل حسابات هذه المخازن ، وظهرت الكتابة على ألواح من الطين فى معابد السوماريين .

وعند نهاية الألف سنة الرابعة قبل الميلاد ، نمت المدن towns حول المعابد وتحولت إلى ما نطلق عليه مدنا cities . واتسمت هذه المدن بكبر حجمها . وظهرت فئات أخرى فى المجتمع مثل رجال الدين ، وعمال المعابد ، وموظفى الحكومة والمهندسين كما ظهر التقسيم الطبقى (١) .

وكان الإغريق يقولون أن الموقد علم الإنسان أن يبنى المنازل . والواقع أن الرجل الذى أثبتته ديانته فى مكان ما يعتقد أنه يتحتم عليه ألا يغادره قط ، وسرعان ما فكر فى إقامة بناء ثابت فى ذلك المكان . فالخيمة توافق البدوى ، أما الأسرة التى لها موقد منزلى فلابد لها من مسكن باق . وسرعان ما حل المنزل المبنى من الحجر محل الكوخ المبنى من الطين أو الخشب . إنهم لم يبنوا لحياة رجل فحسب بل للأسرة التى كان لابد أن تتعاقب أجيالها فى نفس المسكن .

وكان المنزل دائما بداخل السور المقدس ، فعند الإغريق كانوا يقسمون المربع الذى يحيط به هذا السور إلى قسمين : فالقسم الأول هو الفناء ، والمنزل يحتل القسم الثانى . وبذلك يكون الموقد ، الموضوع فى وسط الحيز

---

1 — Habenstreit, Barbara, op. cit. p.p. 20 - 22

الذى يحيطه السور الشامل للجميع فى نهاية الفناء وبالقرب من مدخل المنزل . وقامت الجدران حول الموقد لتعزله وتحميه . ويمكن القول ـ كما كان الإغريق يقولون ـ إن الديانة علمت بناء المنزل [1] .

وبالإضافة إلى موقد المنزل ، كان هناك مذبح المدينة . وهو محصور داخل سور مبنى كان يسميه الإغريق بريتانيون (Prytanée) ، ويطلق عليه الرومان معبد فستا . ولم يكن فى البلدة شىء أقدس من هذا المذبح الذى يعنى فيه بالنار المقدسة دائماً . حقاً إن هذا التبجيل الكبير قد ضعف فى وقت مبكر فى بلاد الإغريق، إذ أن الخيال الإغريقى قد استمالته معابد أكثر جمالا وأساطير أكثر خصباً وتماثيل أكثر بهاء . لكنه لم يضعف قط فى روما . فإن الرومان لم ينفكوا عن الاعتقاد بأن مصير المدينة مرتبط بهذا الموقد الذى كان يمثل آلهتها [2] .

ويؤكد هذا أن ما يطالع المسافر ، حين يشرف على مدينة إغريقية أو رومانية ، صف من القبور وشواهدها على جانبى الطرق المؤدية إلى المدينة . وكان لعقيدة البعث وتخليد الحكام فى مصر — باعتبارهم آلهة أو من نسل الآلهة — أثره الكبير فى الحياة الاجتماعية ، فانعكس هذا على بناء الأهرامات والمقابر والمعابد الدينية والجنائزية .

وهكذا كانت البذرة الأولى للمدينة فى مكان الاجتماع لإقامة الطقوس ،

---

١ — كولانج (فوستيل دى) : المدينة العتيقة ص ٨٢
نفس المرجع : ص ١٩٤ — ١٩٥

فقد كان هذا الاجتماع بمثابة كعبة يحج اليها الناس ، أي المكان الذى يجتذب اليه مجموعات من الأسرات والعشائر فى فترات موسمية ، لتركز قوى روحانية معينة ، أو قوى خارقة للعادة ، لما قدرة أكبر ومدى أطول ودلالة كونية أوسع وأشمل مما يحدث فى الحياة العادية .

وحين أصبحت المسيحية شرعية فى روما تحت حكم قسطنطين لم يكن للمسيحيين كنائس ، وكانوا يعقدون مقابلاتهم فى المنازل . ولما أصبحوا أحرارا فى بناء الكنائس ، واجهوا مشكلة عدم جواز إقامة الشعائر الدينية فى معابد الأصنام القائمة التى لم تصمم لإقامة الشعائر الدينية المسيحية . ولهذا قاموا بتشييد الكنائس ، وأقيم المحراب . وخصص مكان يجلس فيه القاضى ، كما خصصت أماكن واسعة يتجمع فيها الناس بين الحوائط . ثم توسعت الكنيسة يمين ويسار المحراب . وما زالت كنائس الحج الأربعة فى روما تحمل اسم المحاكم الرومانية [1] .

وتبعاً لازدياد استجابة الشعوب المتبربرة فى شمال ووسط أوربا إلى المسيحية اتسع نطاق الدور الذى كانت تقوم به الكنيسة . كذلك فإن ازدياد ما كان الكنيسة من قوة إقتصادية — بوصفها مالكة للأرض التى فى حوزتها ، عن طريق الشراء أو الهبات الدينية — أكسب الكنيسة مكانة أضطر الملوك أنفسهم إلى احترامها . وتولت طوائف الرهبان قيادة حركة التقدم الحضرى بأكملها ، إذ كانوا يوفرون ملاذا اللاجئين ، ومأوي مضيافا للمسافر المنهوك

1 — Menen, Aubrey, cities in the Sand, p.p. 97 - 98

القوى ، ويشيدون القناطر ويقيمون الأسواق . وهكذا ظهرت مدن أساسها الكهنة ورجال الدين .

وفى عهد أوتو الثانى (٩٥٥ — ٩٨٣) رخص للأرملة (إيما Imma) ، وكانت تقوم بإنشاء دير فى كيرنتين Karenten ، بإقامة سوق ودار لسك النقود ، وبأن تجبى الضرائب عنها ، وهى شروط مطابقة لما كان يرد بعد ذلك بأمد طويل فى المراسيم الخاصة بالمدن الجديدة .

وفى لومبارديا ، حيثما كانت توجد مدن قائمة من قبل ، كانت كل أملاك البلديات القديمة ومتعلقاتها ، وكذلك حقوق الحكم والقضاء ، تنقل بصفة آلية إلى الأسقفية ، وكان أسقفها يباشر فعلا السلطات القديمة لمدير البلدية ، وقد تمت مثل هذه المنحة فى مودينا فى سنة ٨٩٢ ، وفى برجامو سنة ٩٠٤ . وإن الكنيسة التى كان لها الأولية فى توفير الأمان والنظـــام ، لم تقبل إلا على مضض أن تنزل بدورها عن مهامها البلدية إلى نقابات التجار وأرباب الحرف .

وقامت طوائف الرهبان باستصلاح الأراضى وإزالة الغابات . كذلك فإن البرنامج الضخم للبناء الذى خلع على أوربا « رداء أبيض من الكنائس » كانت عوامل ساعدت على إنشاء المدن [1] .

وكانت الكنائس بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية هى الجماعة القومية العامة الوحيدة التى بقيت فى غرب أوربا . وكان الانتظام فى سلك هذه الجماعة اختياريا من الوجهه النظرية ، وإجباريا من الوجهة العمليــة ، فإن الحرمان من غفرانها كان عقابا بلغ من صرامته أنه فى القرن السادس عشر ، كان الملوك

---

١ — ممفورد (لويس) : المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٤٦٠ - ٤٦٢

أنفسهم يرتعدون أمام التهديد بالحرمان من غفران الكنيسة . ولقد كان وجود الكنيسة باديا للعيان فى كل مجتمع ، من أصغر القرى بكنيستها المحلية إلى أعظم المدن بكاتدرائيتها وكنائسها العديدة وأديرتها ومزاراتها ، وكانت أبراجها أول ما يراه المسافر عند الأفق ، وكان صليبها آخر رمز تقع عليه عين من يفارق الحياة[١] .

ومن ناحية أخرى فقد قامت الكنائس ببناء المستشفيات على نطاق واسع للعناية بالمرضى والمعتلين ، ولم تعد المصحة تقام بمعزل عن المدينة ويقتصر على خدمة من يملكون وسائل السفر ، بل مكانا فى قلب المدينة وفى متناول اليد ، مفتوح الأبواب لكل من كان فى حاجة إليه ، تحت إشراف رجال ونساء على استعداد للقيام بكل الخدمات الكريهة مما تتطلبه حالات المرضى والجروح والعمليات الجراحية . وكان المستشفى وجناح العزل كلاهما مستمدين رأسا من الدير ، وقد وفد معها نوع من كرم الضيافة كان أهم من ذلك ، ويلقاه الأصحاء المحتاجون إلى الطعام وقضاء ليلة مريحة .

وكانت تهيئة الملاجىء كذلك من أعمال البلدية فى العصور الوسطى ، لأن العناية بالفقراء والمعدمين كانت من واجبات الإحسان فى المسيحية . ولأول مرة انتشرت منشآت للعناية بالطاعنين فى السن فى مدينة أواخر العصور الوسطى ، وكانت أحيانا كشأنها فى بروج وأمستردام وأوجسبرج ، تؤلف وحدات صغيرة متجاورة لها حدائقها المشتركة وكنيستها ، وهى ما زالت إلى اليوم الحاضر من مراكز المدينة التى تلفت النظر بجمالها[٢] .

---

١ — نفس المرجع : ص ٤٨٢

٢ — نفس المرجع : ص ٤٨٥ — ٤٨٦

ومن أظهر المعالم المعارية فى العصور الوسطى المسيحية إستعمال الأقبية للسقيف مع تغطيتها من الخارج بالقرميد مباشرة ، ووقايتهـا من الداخل بسقف خشبي (١) .

وكانت مكونات مركز المدينة الأوربية فى العصور الوسطى هى :

١ — مبنى الكنيسة الكاتدرائية

٢ — ميدان أو ساحة الكنيسة

٣ — السوق

٤ — مبنى البلدية

ومن أهم وأشهر أعمال القرن العشرين الكنسية — كاتدرائية ليفربول ، تصميم سير ج ج سكوت ، والتى بدأ فى إنشائهـا سنة ١٩٠٣ . وتعتبر المبنى الوحيد الذى أنشىء بطراز قوطى للعقيدة البروتستانتية . ومن الجدير بالذكر أن هذه الكاتدرائية كانت لم تستكمل بعد مبانيها حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . ورغم سقوط القنابل الألمانية بالقرب منهـا ، ورغم قنبلة مباشرة أصابتها فاخترقت أحد قبابها ، إلا أنها ظلت رابضة كالجبل الشـامخ ولم تتأثر مبانيها ولم تصب بسوء (٢) .

وظهر الإسلام — وكان منزل سيدنا « محمد عليه الصلاة والسلام » بالمدينة

---

١ — محمد خليل نايل / محمد أمين عبد القادر : تاريخ فن العمارة — الجزء الثـانى — ص ٩٢ - ٩٣

٢ — توفيق أحمد عبد الجواد : المرجع السابق ص ١٢٥

عند هجرته من مكة عبارة عن فناء متساوى مربع ضلعه ٥٥ مترا ، محاطا بسور إرتفاعه حوالى الثلاثة أمتار ، جزؤه الأسفل من الدبش ، وباقى إرتفاعه من الآجر ، وإلى جنوبه الشرقى حجرات السكن (١) .

واحتل العرب مكانة الامبراطورية الرومانية فى العلم ، ومن حيث قيادة التجارة والصناعة ، وامتدت إمبراطوريتهم إمتدادا كبيرا ، واتسمت الحضرية الإسلامية العربية بانتقال مركز الثقل الحضرى من الساحل صوب الداخل . ويرجع ذلك إلى أن العرب المسلمين كانوا أكثر إلتصاقا بالصحراء وتجارتها ، كما أن اتجاههم صوب البحر فى القرون الأولى من الإسلام يشوبه التردد وعدم الجرأة ، ولذلك فضلوا أن تكون مراكزهم الحضرية بعيدة عن البحر وقريبة من الطرق البرية التى تربطها بشبه الجزيرة العربيـة أو مركز السلطة العربى . ومن ثم ظهر عدد من المدن الكبيرة مثل بغـــداد والنجف وكربلاء ودمشق والقاهرة . وكانت كلها مركزا للدين والحكم والتجـارة والصناعة والجيش فى نفس الوقت .

فعلى أثر استيلاء العرب على بيت المقدس فى سنة (١٧ هـ — ٦٣٨ م) ، اتجه عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب لفتح مصر (١٨ هـ — ٦٣٩ م) ، وفى سنة ٢١ هـ بنى عمرو لنفسه منزلا بالفسطاط عاصمة مصر ، كما بنى أول مسجد بمصر وهو جامع عمرو بن العاص (٢) .

---

١ — محمد خليل نايل ومحمد أمين عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٧٧

٢ — د كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ص ٢٧

وكان موقع الفسطاط يجمع بين مزايا عديدة ، فمن جهة يمكن الاتصال منه مباشرة بالمدينة مركز الخلافة الإسلامية فى الحجاز عن طريق الصحراء التى اعتاد العرب سلوكها . وفى موقع بابليون كان فى استطاعة المسلمين أن يؤسسوا مدينة جديدة حسب تقاليدهم الإسلامية على نمط ما سارت عليه جيوشهم قبل ذلك فى العراق حين أسسوا مدينة البصرة ومدينة الكوفة . ومن جهة أخرى كان الموقع الجديد يمتاز بحصانة طبيعية ، إذ تحميه التلال من الشرق ، ويحميه من الغرب خندق مائى طبيعى هو : نهر النيل الذى كان فى الوقت نفسه يصل بين الشمال والجنوب . ومن المحتمل أن عمرو بن العاص حين سمح لبنى وهدان ومن والاهم أن يقيموا على الضفة الغربية من النيل حيث بنى لهم حصناً فى الجيزة يعتصمون به عند الخطر كان يهدف من وراء ذلك زيادة تأمين هذا الجانب لمدينة الفسطاط . ولذلك لم يبق للفسطاط غير جانب واحد مفتوح هو الجانب الشمالى . ولم يهتم عمرو بتحصين هذا الجانب . وربما كان السبب فى ذلك أن عمرواً لم يخش تعرضه للأخطار من هذا الجانب نظراً إلى أن الطريق إليه يمر بأقطار يحكمها العرب ، أى أنها كانت مصدر الأمان للفسطاط وطريق الإمدادات إليها ، كما أن هذا الجانب كان المجال الطبيعى لامتداد المدينة ونموها فيما بعد .

وكان جامع عمرو بن العاص حين أسس يقع على شاطىء النيل فى منطقة بها أشجار وكروم، وكان يشغل مساحة طولها خمسة وعشرون متراً وعرضها خمسة عشر . ومن المرجح أن دور الفسطاط كانت متسعة وكانت مشيدة بالطوب ، غير أن بعضها كان مبنياً بالحجارة ، وربما استخدم اللبن أو الطين أحيانا ولا سيما فى الأطراف . وكان بالفسطاط ميادين وأسواق، كما أسس

بها مصانع مختلفة ، وكان بها عدد من المساجد والحمامات ، كما كان لها ميناء على النيل زادت أهميته بعد أن حفر عمرو الخليج الذى يصل النيل بالبحر الأحمر عند القلزم أو السويس (١) .

واتسعت مدينة الفسطاط فى أيام الدولة الأموية ، وأخذ العمران فى الازدياد ، وبقيت مقراً للأمراء الذين بعث بهم الأمويون إلى مصر .

وفى العصر الفاطمى ـ أسس الفاطميون مدينة المهدية فى تونس عام ٩١٥م . وفى عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) أرسل الخليفة المعز لدين الله الفاطمى جيشاً على رأسه قائده جوهر الصقلى من مدينة القيروان لفتح مصر ، فوصل الجيزة وعبر النيل وسلمت الفسطاط ، ثم اختط جوهر مدينة القاهرة . وكان تخطيطها على شكل مربع تقريباً يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية . وأصبحت القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية التى إمتدت من المغرب إلى الشام وحكمت الحجاز يوما ما . وكان بسور القاهرة عدة أبواب لم يبق منها الآن سوى أبواب النصر والفتوح بالشمال ، وباب زويلة فى الجنوب ، وهى تمثل العمارة الحربية فى العصر الفاطمى ، كما تعبر عن الهيبة والعظمة لذلك العصر . ومن أهم الآثار الفاطمية فى مصر الجامع الأزهر ، وجامع الحاكم ، وأضرحة السبع بنات ، وجامع الجيوشى ، وجامع الأقمر ، ومشهد السيدة رقية ، ومسجد الصالح طلائع (١) .

وفى العصر الأيوبى (٥٦٧ — ٦٤٨ هـ) (١١٧١ — ١٢٥٠ م) ازدهرت

---

١ — د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة — تاريخها — فنونها — آثارها ص ١٦ ـ ١٧

٢ — د. كمال الدين سامح : المرجع السابق ص ٤٥ — ٥٠

العمارة الإسلامية ، فقد ظهرت المدارس الإسلامية ، وازدهرت العمارة الحربية ولاسيما القلاع والأسوار ، كما كان هذا العصر بداية لظهور الخط النسخى على العمائر وغيرها من التحف ، واتخذ أساسا للنصوص التاريخية واستغل الخط الكوفى بجانبه للآيات القرآنية . ومن مميزات العصر الأيوبى فى العمارة تطور المئذنة التى أخذت شكلا خاصا يعرف « بالمنجرة » ، كما ظهر بناء الخوانق لإقامة الصوفية .

ومن أهم العمائر التى تنسب للعصر الأيوبى مدرسة وضريح الصالح نجم الدين أيوب ، وتتكون المدرسة من جزئين رئيسيين يفصلهما ممر وتعلو مدخله مئذنة ، كما أن كل جزء يتكون من إيوانين متقابلين بينهما فناء ، وملحق بالمدرسة ضريح بجوار الإيوان الغربى ، وتعلوه قبة من الطوب وحوائط الضريح من الحجر . وطريقة تحول القبة من المربع إلى الدائرة إستخدمت فيها ثلاثة صفوف من المقرنصات [١] .

وكانت واجهات المبانى المطلة على الشارع تمتاز بالزخارف الحجرية الموجودة فى النوافذ وبأعتابها وكذلك فوق المداخل وفى الحنايا المعقودة وفى الصنجات المزررة وفى أشرطة الكتابة التى تمثل دقة صناعة الحفر على الحجر ، ومن الداخل تمتاز بتكسية الجدران بالرخام الملون . ويرجع إنشاء القبة إلى زوجة الصالح نجم الدين أيوب ، وهى ملكة مصر شجرة الدر فى سنة ١٢٤٩م . ومن أمثلة العمارة الأيوبية قبة الإمام الشافعى ، وقبة الخلفاء العباسيين خلف

---

١ — نفس المرجع : ص ٧٢ ، ٤

المشهد النفيسى وقبة شجرة الدر .

وفى عصر المماليك (١٢٥٠ — ١٥١٦ م) زادت الرغبة فى تشييد عدد كبير من الأبنية من جوامع ومدارس وأضرحة ووكالات وأسبلة ، كما ذاع بناء المدافن الكبيرة فى عصر المماليك ، ولعل أبدعها مدفن وخانقاه برقوق ومدفن قايتباى ومدفن بارسباى بصحراء المماليك (الصحراء الشرقية فى القاهرة) .

وزادت العناية فى هذا العصر بواجهات المساجد وذلك بتتابع طبقات أو مداميك أفقية من أحجار صفراء وأخرى حمراء داكنة أو فى عمل تجاويف أو حنايا عمودية قد تفتح فيها نوافذ ، وقد تنتهى فى أعلاها بزخارف معمارية من المقرنصات . وتظهر ذلك فى أشرطة الزخارف والكتابات القرآنية أو التاريخية وفى شرافات مسننة تتوج بها الواجهة .

وامتازت المآذن المملوكية برشاقتها وجمال نسبها ومعظمها ذات قاعدة مكعبة يعلوها بدن مثمن ثم دورة علوية أسطوانية الشكل . أما أبواب المساجد فقد امتازت بزخارفها الفنية ودقة صناعتها، وكثرت فى هذا العصر زخرفة الوزرات والأرضيات بالرخام الملون ، وبعض المحاريب قد زخرف بالفسيفساء الرخامية والصدف كما هو الحال فى جامع الماردانى ومدرسة السلطان حسين .

ومن أهم العمائر المدنية مدخل وكالة الأمير قوصون ومدخل وكالة قايتباى بباب النصر ومقعد ماماى المعروف باسم بيت القاضى فى القاهرة ، وجامع الظاهر بيبرس ، ومدرسة وضريح وبيمارستان قلاوون بالنحاسين .

ومن أمثلة المدن العربية مدينة مكة بشبه الجزيرة العربية ، حيث يتوسطها الكعبة الشريفة والتي تؤدي إليها الطرق الرئيسية في المدينة . وكذلك مدينة الكوفة بالعراق والتي أنشئت سنة ٦٣٨ م حيث يتوسطها المسجد ودار الإمارة ، وتصب في الميدان الذي يقع في المسجد الطرق الرئيسية في المدينة . ويتوسط كذلك مدينة بغداد التي أنشأها المنصور سنة ٧٦٢ — ٧٦٧ م المسجد ومقر الحاكم .

ونظراً لأن المسجد هو المركز الديني والثقافي والاجتماعي لسكان المدينة ، فإن الأنشطة التجارية والحرفية تنتشر حوله وعلى امتداد الشوارع الرئيسية المؤدية إليه حيث يجد التجار والحرفيون مجالا كبيرا لتسويق بضائعهم ومنتجاتهم .

وقد تميزت بعض المساجد بوجود بعض عناصر معمارية أهمها :

١ — المقرنصات (الدلايات) : وهي تشبه خلايا النحل ، وهي عبارة عن كسوة خطوط الإتصال بين الأسطح الأفقية والرأسية والزوايا بأشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات أو المحاريب الصغيرة بعضها فوق بعض ، وقد تتدلى من أعلاها في بعض الأحيان دلايات . وقد تصنع هذه المقرنصات أحيانا من الحجر أو الجص أو الطوب أو الخشب أو الخزف .

٢ — المآذن : وهي تمتاز برشاقتها وتناسب أجزائها ، وتتكون عادة من قاعدة مربعة مرتفعة . أما الأدوار التي تعلو القاعدة فهي على شكل مثمن تتحت فية مشرفات (بلكونات) ، ثم يلي ذلك بدن مستدير تحيط به دورة

تعتمد على حطات من المقرنصات، ثم يعلو هذا جوسق يرتكز على أعمدة حجرية أو رخامية يحمل الخوذة العلوية للمئذنة .

٣ — القباب: وهى من العناصر التى اهتم بها المعمار، وأقيمت فوق الأضرحة والمدافن أو أعلى المحراب وعلى جانبى البلاطة التى تلى المحراب مباشرة . وهى ذات أشكال مختلفة منها النصف الكروى والبصلى والمدبب . أما سطحها الخارجى فهو إما أملس ذات تضليعات مستقيمة أو منحنية .

٤ — الأعمدة والتيجان .

٥ — العقود .

٦ — المداخل .

وعموما، فقد تفوق المسلمون فى كثير من المجالات الفنية ، وربما كان أهم هذه المجالات فن العمارة .. ولقد زاول المسلمون فى الإسلام بناء جميع أنواع العمائر تقريبا .. فخلفوا لنا أنواعا كثيرة من العمائر الإسلامية — من مساجد ومدارس وأضرحة وقبور وقلاع وقصور وأبواب مدن ومداخل وأسواق وأسوار ، وخانات وخانقاوات وأربطة ومطابخ ، وكذلك الحمامات وهى منشآت ذات نفع عظيم وتأثير كبير على الصحة والحياة العامة ، وبيمارستانات وهى أبنية ومنشآت تخدم الأغراض الصحية ومعالجة جميع الأمراض ، كما خلفوا لنا المؤسسات الدينية والعسكرية . وأضاف المسلمون عنصراً هاما فى المعمار الإسلامى عامة ، ألا وهو الخط العربى ، فاستغل الخط الكوفى ، ثم الكوفى الذى تنتهى حروفه بأوراق نباتية أو تكتب حروفه على أرضية نباتية .

وفى نهاية الدول الفاطمية وبداية الدولة الأيوبيــة بدأ يظهر الخط النسخ على جدران العمائر ، ثم ظهر الخط الكوفى المربع . وخطط المسلمون المدن .. وعبدوا الطرق وشقوا القنوات وشيدوا القناطر وأقاموا المساكن .

وتتكون المنازل العربية عموما من طابقين ، طابق أرضى خاص بالرجال ويعرف (بالسلاملك) ، وطابق أول خاص بالسيدات ويعرف (بالحراملك) خاص بالإستقبال والمعيشة والنوم — وربما إشتمل السطح على بعض المنافع .

وكانت واجهات المنازل بسيطة للغاية ، أبرز ما فيها المشربيــات الجميلة . أما داخل المنازل فكان غنيا بالفن العربى البديع . وتأثر نظام المسكن بالعوائد العربية التى كانت نتيجة الدين الإســلامى ، وأهمها الحجاب ، ولذا خصص طابق للرجال وآخر للنساء له مدخل خاص بعيد عن مدخــل الرجال . وقد أمعنوا فى حجاب المرأة بأن غطوا الشبابيك بالمشربيات التى تحجب النــاظر من خلفها .

واتبع التصميم الآتى فى المساكن[1] :

١ — أن يكون هناك حجرة رئيسية أو أكثر تواجه الشمال وتطل على حوش سماوي .

٢ — أن تكون الشبابيك المطلة على الشارع صغيرة وعالية .

٣ — أن يكون المدخل متعرجا على نفسه مرة واحدة على الأقل ليمنع المارة من رؤية داخل المنزل .

---

١ — محمد خليل نايل ومحمد أمين عبد القادر : المرجع السابق ص ٣٤٢

٤ — أن يوصل مدخل الحريم إلى حوش سماوى آخر إذا أمكن ، أو يوصل إلى أقصى الحوش الرئيسى للمنزل .

٥ — أن يكون بالطابق الأرضى حجرة إستقبال الرجال فسيحة كثيرة الزخرفة تسمى بحجرة العرش ، ومقعد أرضى ، وحجرة للانتظار ، ومساكن للخدم والمطبخ ، ودورة للمياه .

٦ — أن يشتمل الطابق الأرضى جميع قاعات الإستقبال والمعيشة .

ويعتبر التطور الهائل الذى أحرزه الإنسان بفضل تراكم المعرفة العلمية والإختراعات التكنولوجية سبباً هاما فى سيطرة الإنسان على الطبيعة وتسخيرها للخدمة ، وعاملا من أهم العوامل التى أدت إلى النمو الحضرى سواء فى العصور القديمة أو فى العصر الحديث .

ففى العصور القديمة أدى تقدم التكنولوجيا وظهور قدر ضئيل من تقسيم العمل إلى زيادة التنظيم ، وظهور فائض فى الإنتاج . كما أدى تحسين أدوات الصيد كالقوس والسهم إلى أن أصبحت الجماعات القبلية أكثر إستقرارا . وكان لإختراع الفأس وزيادة السكان أثر كبير فى نمو المدن . فقد تضاعف عدد السكان خلال الفترة من ٨٠٠٠ — ٤٠٠٠ ق.م ست مرات[1] . وساعد ظهور علم الحساب على تقدم المدن ، وعمل المهندسون فى المدينة [2] .

وفى العصر الحديث ، يرجع نمو كثير من المدن وتحضر مناطق عديدة

---

1 — Heer, David, Society and Population p. 5

2 — Corbusier (Le), op. cit. p. 59

فى كثير من بلاد العالم إلى الإكتشافات العلمية والإختراعات الميكانيكية التى تتابع ظهورها وتقدمها مع بداية القرن التاسع عشر . إذ حين تحدث تغيرات تكنولوجية ، فإن إيكولوجية المدينة تمر بالتالى بتغيرات مصاحبة . فقد كانت المصانع فى الأيام الأولى للنهضة الصناعية فى أوربا مثلا فى المناطق الداخلية من المدينة ، بل ربما كانت المدن تميل إلى النمو حول المصانع ، ويميل العمال إلى الإقامه بالقرب من مواقع العمل مما يؤدى إلى إرتفاع الكثافة السكانية . غير أنه مع تغير التكنولوجيا والنقل والمواصلات وتزايد سبلها من حيث السرعة والعدد ، إتجه العمال إلى التحرر من الروابط الوثيقة التى كانت تلزمهم العيش بمقربة من مواقع العمل .

وقد أكد هذا المعنى أوجبرن Ogburn وهاولى Hawley ، فقد ذكر أوجبرن (١) : « أن طبيعة سكان المدن ومحال إقامتهم ، وأماكن عملهم تمثل إنعكاسا لأحدى وظائف النقل المحلى ، كما أن المدن ذاتها من خلق النقل البعيد المدى .. » ويقول هاولى : أن بعثرة السكان فى المراكز الحضرية إنما هو رد فعل مباشر للسهولة المتزايدة فى الحركة .

وتصور ماير R. L Meier (٢) نمو المدينة من خلال التفاعل البشرى ، فالنقل ، والإتصالات هى وسائل لإحداث هذا التفاعل . فالسبب الرئيسى لنمو المركز الحضرى واتساعه (أو إمتداده) يتمثل فى سهولة الإتصالات المتاحة بين الأفراد ، وفى يسر الإنتقال النسبى من مكان إلى آخر . ويستطرد

---

١ — د. محمد الجوهرى وآخرون : المرجع السابق ص ٥٠٢

٢ — د محمود الكردى : المرجع السابق ص ٣٩

مابر : أن هيكل وسائل الإتصال هو أفضل الأسس لتقييم ثقـافة المدينة . وتنعكس هذه الثقافة على كل مناشط المدينة ، فهى تظهر فى مكان العمل ، وفى سوق المدينة ، وفى المؤسسات التعليمية ، وفى أماكن الترويح .

وهكذا يرتبط النمو الحضرى بزيادة وسائل النقل وتقـــدم المواصـلات كالسفن والقطارات والسيارات والطائرات ، إذ تعتمـد المدن بالضرورة على التجارة وتطوير الأسواق العالمية وعلى جلب الفائض الزراعى والمـواد الخام من المناطق المحيطة . كذلك فإن المدينة الكبيرة تنطوى على أعداد غفـيرة من المتخصصين فى المهن المختلفة ، ولا يمكن الوصول إلى تكاملهم من حيث حياتهم الدائمة فى المدينة إلا إذا كانت وسائل النقل الداخلى والخارجى مضبوطة إلى أعلى درجة .

ففيما مضى كانت الملاحة النهرية والبحرية هى الأساس فى العصور الأولى لنشأة المدن ، ولهذا نشأت على الأنهار وعلى سواحل البحـــار والمحيطات . وازداد الضغط على المدن الساحلية التى تستخدم كموانى أو كراكز للمواصلات للداخل والخارج على حد السواء . وبنشأة السكك الحديدية ظهرت مدن بعيدة عن الأنهار والبحار ، ولكنها فى طريق السكك الحديدية ، وعند تلاقى الخطوط أو تفرعها ، وعند بدايتها أو نهايتها . وبتحسن وسائل المواصلات بين الريف والمدينة صار أهل الريف أكثر إستجابة للقوى التى تدفعهم للذهاب إلى المدينة .

فبظهور السيارة كأداة للنقل ، والتليفون كأداة للاتصـال توسعت المدن وظهرت الضواحى حولها ، فقد أدى إرتفاع الضرائب فى المدن وارتفـاع

أثمان الأراضى وازدحام المواصلات وقدم المبانى وخاصة فى المراكز الأساسية فى المدن ، أدى كل هذا إلى رغبة سكان المدن فى الخروج عن نطاقها والمعيشة خارجها ، وسهل هذه العملية طرق المواصلات السريعة كالترام والسيارة والتليفون .

وبهذه الطريقة صار للمدن نفوذ خارج نطاقها ، وأصبحت بعض المدن مراكز إقتصادية وثقافية واجتماعية لمناطق كبيرة حولها . فقد تأثرت مدن أمريكا الشمالية بثورة وسائل النقل فى العشرين سنة الأخيرة ، ونمو الملكية الفردية للسيارات ، مما أدى إلى الإحتياج إلى رءوس أموال ضخمة لتشييد الطرق ، لتسهيل حركة التنقل لهذه العربات ، فاتسعت المدن ، وظهرت حولها مناطق ذات معدل سكانى منخفض (١) .

---

1 — Richard, Brian, Moving in cities p. 9

الفصل الثالث

المدن فى البلدان النامية

تقـــديم :

يستهدف هذا الفصل إلقاء الضوء على النمو الحضرى فى البلدان النـامية . فظاهرة النمو الحضرى من الظواهر الهامة التى تستهدفهـا المجتمعات الإنسانية منذ بداية القرن التاسع عشر . وقد بلغت هذه الظاهرة مداها فى البلاد المتقدمة خلال القرن التاسع عشر بحيث وصلت تلك المجتمعات إلى حالة قريبة من التشبع الحضرى . على حين أن المجتمعات النامية لم تبدأ فى النمو الحضـرى السريع إلا منذ بدايه القرن العشرين .

ومع ذلك ، فظاهرة النمو الحضرى فى العالم الثالث ليست ظاهـرة جديدة نشأت نتيجة الإحتكاك الحضارى مع الغرب ، وإنما هى ظاهرة قديمة تضرب بجذورها فى أعماق الماضى البعيد . وتؤكد المصادر التاريخية القديمة أن المراكز الحضرية ظهرت فى منطقة الشرق الأدنى فى غضون الألف الخامسة قبـــل الميلاد ، ونمت وازدهرت فى ظل الحضارات السومرية والأشورية والفينيقية والمصرية القديمة . ومن بين هذه المدن ، أور ، وأريدو Aridu ، وبعلبك ، ومنف ، وطيبة ، وأخناتون . وقد نشأت أغلب المدن القديمة على شواطىء الأنهار والبحار ، وكان يسكنها التجار والصنـاع ورجال الدين ، غير أنها لم تكن بؤرة للتكتلات الصناعيـة الكبيرة أو التجـارة على نطاق واسع(١) .

---

١ ـــ د. عبد الباسط محمد حسن : ملامح النمو الحضرى فى العالم العربى ـــ نقلا عن مجلة تنمية المجتمع ـــ عدد خاص ـــ التنمية الحضرية ص ٥

والمدينة فى البلاد النامية هي الواقع دراسة فى التناقض بين القديم والجديد : رواسب الحياة الريفية والتجديدات الواردة من الغرب . ذلك أنها لا تمتلك فى الوقت الحاضر الأساس الإقتصادى الذى يضمن لسكانها الحضريين مستوى معيشى مماثل لما هو قائم في الدول الغربية . فدرجـة التحضر فى المجتمعات النامية أقل مما عليه فى البلاد المتقدمة . وبينما بلغت نسبة سكان المدن فى البلاد المتقدمة ٦٧ ٪ فى سنة ١٩٧٥ ، نجد أنها بلغت ٢٨ ٪ فقط فى البلاد النامية . وقد قدر أن نصف سكان قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يسكنون مساكن غير صحية شديدة الإزدحام . ومن ثم برز موضوع الإسكان فى تلك الدول، وأصبح لزاما على الحكومات فى تلك الدول التصدى لهذه المشكلة وإيجاد حلول لها .

وفى مدينة البلاد النامية ترى كائنات بشرية تحمل الأثقال على أكتافها وتسير إلى جوارها سيارات النقل الضخمة ، وترى إحـدى قطع الحـاسب الالكترونى أ.ب.م. I.B.M الجديدة معروضة فى تألق على المنصة النقالة ، وقد نقلت من طوار (رصيف) الميناء إلى ناطحة السحاب بواسطة إحدى عربات الـكارو .

وترى الأحياء السكنية المكتظة التى يسكن فيها أفقر الفقراء ، وعلى غير بعيد من « الفيللات » الفاخرة ، حيث لا تسمع أى ضوضاء سوى تلك المنبعثة من جهاز تكييف الهواء . وترى كذلك كيف تثير الضوضاء العالية الصادرة من الطائرات الأسرع من الصـوت ، أولئك الجالسين القرفصـاء . كما ترى أوضاع ومراسيم الحفـلات التقليـدية التى تتم أمام الحاضرين الذين شاهدوا بالأمس فيلما أمريكيا بأحداثه التى يدور بعضها فى حجرة النوم الحديثـة .

وترى أيضا الخطوات المرحة التي تثيرهـا موسيقى الراديو الترانزستور المنبعثة من تحت الجلابية الفضفاضة لأحد المارة . وترى كذلك الخليـط المكون من عربات « الكارو » التي تجرها الجمال ، وسيارات النقل المرسيدس . وترى البائع الجالس على طوار (رصيف) الشارع في مواجهة محلات مكيفة الهواء. وترى أيضا التعقد الرهيب للشوارع الكبيرة ، والأزقة في المدينـة القديمة على مرى البصر من الشوارع الضخمة [1] .

وبالإضافة إلى إنخفاض ظاهرة التحضر في البلاد النامية ، فإننا نجد ثنـائية إقليمية ، وهي وجود هوة كبيرة ومتزايدة بين المناطق الريفيـة والحضرية في داخل المجتمع الواحد . وفي الوقت الذى تضيق فيه هـذه الهوة في المجتمعات المتقدمة وتتلاشى بمرور الوقت ، نجد أنها تتزايد بصفة مطردة في البلادالنامية.

ولم يرجع إزدياد حجم المدن في البلدان النامية إلى عوامل إقتصـادية أو الزيادة الطبيعية لسكان المدن ، وإنمـا يرجع أساساً إلى الهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية . ففي سوريا نجـد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٢٨٫٣ ٪ في دمشق ، ٥٦٫٢ في الحسكة ، ٤٦٫٥ ٪ في الرقة ، و ٣٤٫٢ في اللاذقية ، ١٤٫٦ ٪ في حمص حسب تعداد ١٩٦٠ .

وفي العراق نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٢٨٫٩ ٪ في بغداد، و ١٧٫٦ ٪ في كربـلاء ، ١٧٫٦ في البصرة ، و ٩٫١ في كركوك حسب تعداد عام ١٩٥٧ . وفي ليبيا نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ٢٩٫٪

---

١ — بيرز (جيرالد) : المرجع السابق ص ٢٨ — ٢٩

من سكان محافظة طرابلس ، و ٢٥ ٪ من سكان بنغازى ، و ١٤ ٪ من سكان الجبل الأخضر ، و ١٢ ٪ من سكان درنه حسب تعداد عام ١٩٦٤ . وفى السودان نجد أن نسبة المولودين خارج المدن تبلغ ٤٦٫٥ ٪ فى الخرطوم و ٦٧٫٧ ٪ فى بور سودان ، و ٥٠٫٢ ٪ فى الأبيض حسب تعـــداد ١٩٦٥ (١) .

ونظراً لاتساع رقعة العالم الثالث ، واختــلاف الظروف الايكولوجية والثقافية من منطقة لأخرى ، فقد اختلف توزيع المدن باختلاف هذه الظروف ويبدو ذلك واضحا إذا ما قارنا بين مدن الشرق العربى ومدن المغرب العربى . فقد تميز المشرق العربى — وبخاصة فى العصور الوسطى بكثرة مدنها واتساعها العمرانى ، وتباين بنائها الاجتماعى والثقافى بخلاف الحال فى المغرب العربى . ويوضح ابن خلدون ذلك فيقول (٢) . أن السبب فى ذلك أن هـذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام ، وكان عمرانها كله بدويا ، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها » . ويضيف « وأيضا فالصنائع بعيدة عن البربر ، لأنهم أعرق فى البدو ، والصنائع من توابع الحضارة ، وإنما تتم المبانى بها ، فلابد من الحذق فى تعلمها »

وقد قسم هنرى بيرن Henri Pirenne المدن فى البلاد النامية إلى مجموعتين رئيسيتين هما (٣) :

---

١ — د. عبد الباسط محمد حسن : المرجع السابق ص ١٠ — ١٢

٢ — نفس المرجع : ص ٧

٣ — بيرز (جيرالد) : المرجع السابق ص ١٠٢

١ — المراكز السياسية والثقافية مثل دلهى وكيتو Quito وبانينج Peining .

٢ — المراكز الاقتصادية مثل بومباى وجواياكيل Guayaquil وشنغهاى .

المدن فى آسيا

ترتبط المدن فى آسيا بالإمبراطوريات الزراعية التى كانت فى العصور الغابرة ، ولكنها أخذت تكتسب تدريجيا مزيدا من سمات المدن الغربية . ويرى تشيسنو Chesneaux أن الأنواع المختلفة من الصراع المدنى فى بعض هذه البلاد مثل الصين والهند ، قد دفع بأعداد كبيرة من المهاجرين إلى المدن الرئيسية . ويقول في هذا الصدد [١] . أن سكان شنغهاى ، قد زادوا من أربعة ملايين إلى ستة ملايين نسمة فى فترة وجيزة للغاية . كما زاد سكان كراتشى من ٢٠٠٫٠٠٠ إلى أكثر من مليون نسمة ، وتحولت دلهى من مدينة كبيرة مسلمة هندوسية مختلطة إلى مدينة كبيرة هندوسية سيخية »[*] .

وفى الصين يقدر عدد الصينيين الذين هاجروا من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية فى الفترة من ١٩٤٩ — ١٩٥٦ بعشرين مليون نسمة . وفى الأقاليم الغربية زادت مدينة لانشو Lanchow من ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٥٠ إلى ٦٨٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٦ ، وباوتو Paotow من ١٠٠٫٠٠٠ نسمة

---

١ — نفس المرجع : ص ٦٤

* — نسبة إلى السيخ ومعناها اللفظى « التلاميذ أو الحواريون » . وهى طائفة دينية تكونت حوالى عام ١٥٠٠ م من خليط من التعاليم الدينية الهندوسية والإسلامية فى منطقة البنجاب بالهند .

فى عام ١٩٤٩ إلى ٤٣٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٧ ، وكالجان Kalgan من ٢٧٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٤٩ إلى ٦٣٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٨ ، وسيان Sian من أقل من نصف مليون نسمة فى عام ١٩٤٩ إلى ١٫٠٥٠٫٠٠٠ فى عام ١٩٥٧[1].

المدن فى افريقيا

تعتبر المدن ظاهرة اجتماعية قديمة فى الحضارات الأفريقية . فقد نشأت المدن الأفريقية منذ مئات السنين قبل أن ينقض الاستعمار الغربى على القارة . وظاهرة المدن قديمة وأصيلة بالنسبة لوسط وجنوب القارة . ونلاحظ أن تركز المدن القديمة كان غرب أفريقيا فى المنطقة المتاخمة للصحراء الكبرى . ومن التفسيرات المقبولة لهذه الظاهرة أثر الحضارات الأفريقية الشمالية على وسط القارة وجنوبها . ومن أهم تلك الحضارات الحضارة الإسلامية العربية التى لعبت دوراً كبيرا فى نشر الدين الإسلامى والحضارة العربية فى وسط وجنوب القارة . ومن أمثلة ذلك مدينة كانوا فى نيجيريا التى يبلغ عمرها أكثر من ألف عام ، وحضارة قبائل اليوروبا . فقد عاش اليوروبا فى مدن ذات حجم كبير حتى قبل أن يصل الأوربيون إلى ذلك الجزء من القارة الأفريقية . وكان هناك تسع مدن فى يوربا عام ١٨٥٦ يزيد تعداد كل منها عن عشرين ألف نسمة ، من بينها ثلاث يزيد تعداد الواحدة منها عن ستين ألف نسمة . وفى عام ١٩١١ إرتفع عدد مدن يوروبا حتى وصل إلى إحدى عشرة مدينة ، كان تعداد خمس منها يزيد عن ستين ألف نسمة .

---

٢ — نفس المرجع : ٦٦

إلا أنه لوحظ إنعدام وجود المدن في حوض الكونغو حيث تسود الغابات الإستوائية التي تجعل من إقامة المدن أمرا صعبا يتطلب مجهودات ضخمة من الإنسان . ولم تكن المدن الأفريقية القديمة إلا مساحات زراعية شاسعة . هذا بالإضافة إلى كونها مركزا هاما للتجارة والإدارة . ورغم وجود الزراعة كأساس إقتصادى للمدينة والقرية على السواء ، فإن وظيفتى التجارة والإدارة قد ميزتا المدينة عن القرية . وكانت معظم تلك المدن الأفريقية القديمة عواصم لممالك قديمة ولمجموعات قبائلية كبيرة . ومن الممكن اعتبار تلك العواصم كمراكز شعاعية يمتد سلطانها إلى جميع المدن و القرى الخاضعة لنفس المملكة أو القبيلة .

وإذا نظرنا إلى البناء الإجتماعي لتلك المدن نجد أن العلاقات القرابية والعائلية هي الدعامة الأساسية للعلاقات الإجتماعية وأصلها . فكان أفراد العائلة يعملون فى نفس المهنة ، وكان الآباء يدربون أبناءهم على أسرار مهنهم ، وكان الحال كذلك بالنسبة للوظائف الإدارية . وبجانب العائلة المالكة كانت هناك عائلات أخرى متخصصة فى وظائف إدارية رئيسية وثانوية (١) .

وقد لعب المستعمر الأوروبي دورا كبيرا فى عدد المدن الأفريقية فى تلك المنطقة فى العصر الحديث لأنه كان وما يزال يمثل همزة الوصل بين الحضارات الأفريقية التي يلعب فيها أسلوب حياة الريف والحضارة الغربية الحديثة التي تتميز بزيادة عدد سكان المدن عن سكان الريف . وبالرغم من الإحصائيات

---

١ — د. عاطف وصفى و د. عبد الهادى الجوهرى : دراسات فى علم الاجتماع الحضرى — المجموعة الافريقية ص ١٠٢

التي تبين سرعة نمو المدن الأفريقية وزيادة عدد المدن الأفريقية الجديدة ، فإن الغالبية العظمى (أكثر من ٨٠ ٪) من الأفريقيين في تلك المناطق لا يزالون إلى يومنا هذا يعيشون في قرى صغيرة الحجم. وهكذا يتضح أن ظاهرة التحضر لا تزال ظاهرة غير منتشرة في أفريقيا الوسطى والجنوبية . وإذا حللنا ظاهرة التحضر الأفريقية نجد أنفسنا أمام شكلين واضحين لتلك الظاهرة هما التقليدي القديم والتحضر الحديث . والمقصود بالتحضر القديم أو المدن الأفريقية القديمة تلك المدن التي نشأت ونمت بعيدا عن تأثير المدنية الغربية ، فهي تمثل إتجاهات أصلية في الحضارات الأفريقية . ورغم أن معظم المدن الأفريقية يحمل اليوم بعض سمات المدينة الغربية ، إلا أن المدن القديمة تتميز بأنها كانت بعيدة عن نطاق تأثير المدنية الغربية ، وإن كانت قد تأثرت بعد ذلك بتلك المدنية . أما أما المدن الأفريقية الحديثة فهي التي تأثرت عند ظهورها بالمدنية الغربية والإستعمار الأوربي .

وقد أدى التحضر سواء في المدن القديمة أو الحديثة إلى ظهور مشكلات كمشكلة الإسكان والبطالة والافتقار إلى الأنشطة الترويحية. وتعتبر هذه المشاكل جزء من عملية النمو. (١)

وهناك أوجه شبه واختلاف بين المدن القديمة والحديثة تبدو في الآتي : —

تأثرت المدن الحديثة بالمدنية الغربية والاستعمار الأوربي في مرحلة النشوء ولا يوجد مثل هذا التأثير في المدن القديمة . والمدن الحديثة أكبر حجما وأكثر سكانا .

---

1 — Rawuki, j. N , in Urbanization, Its Problems and Conreq- uences, p. 25

وتتميز المدن الحديثة بوجود اتصال بينها وبين العالم الخارجي . ويقوم التنظيم والمكانى البناء الإجتماعى للمدن القديمة على أساس العلاقات القرابية بصورة أقوى من الصورة الموجودة حاليا فى المدن الحديثة . أما هجرة العمال إلى المناطق الصناعية فى بعض المدن الحديثة فلم يكن لها مثيل فى المدن القديمة .

أما أوجه التشابه بين المدن القديمة والحديثة فتتمثل فى أن بعض المدن الأفريقية الحديثة ماتزال تقوم على أسس إقتصادية تشبه تلك الخاصة بالمدن القديمة ، ومن أمثلة ذلك الأسس الزراعيـة والتجارية ، والمدن الإدارية هى الغالبة فى أفريقيا جنوب الصحراء سواء بالنسبة للمدن القديمة أو الحديثة .

ويقوم البناء الإجتماعى للمدن الأفريقية القديمة أو الحديثة على أساس التنظيمات القبائليـــة والعائلية ، ولكن بدرجات متفاوتة . إذ تتأثر التنظيمات الإيكولوجية فى داخل المدن القديمة والحديثة بالتقسيمات القبائلية فنجد كل قبيلة تعيش فى منطقة خاصة بها .

وإذا أردنا أن نصنف المدن الأفريقية على أساس الخدمات والأعمال الغالبة فيها ، نجد أن المدن الإدارية التى تعتمد فى حياتها على الزراعة والتجارة أو كليهما هى الصنف الغالبة . ويشمل القسم الثانى المدن التجارية . ويظهر قسم ثالث فى جنوب أفريقيا ووسطها ، ويتمثل هذا فى المدن الصناعية ، وتختلف المدن الصناعية الأفريقية عن المدن الصناعية الأوربية فى كثير من مظاهر الحياة الإجتماعية . (١)

---

١ — د. عاطف وصفى و د. عبد الهادى الجوهرى : المرجع السابق ص ٥٥ — ٥٦

المدن فى مصر

نشأت المدن فى مصر أول ما نشأت فى الإقليم الجنوبى على ضفاف النيل منذ أكثر من خمسة آلاف سنة . ولا شك أن وجود نهر النيل كوسيلة للمواصلات وكمصدر للحياة ، ووجود السواحل البحرية (الأبيض والأحمر) كوسائل الإتصال الخارجى ، قد حددت مواقع المدن فى مصر . كذلك فإن مصالح الإحتلال الأجنبى منذ العهد اليونانى والرومانى تدخلت فى تحديد مواقع بعض المدن . كما أن المصالح الإقتصادية المحلية كانت السبب الرئيسى فى وجود أغلب المدن على شاطىء النهر والبحر وعلى قناة السويس .

وقد وضعت مدينة خنت كاوس بالجيزة والتى يرجع تاريخ إنشائها إلى ٢٩٠٠ ق . م . النظريات الأولى فى تصميم المسكن ، فجمعت بين التماثل والتجمع المتراص والتعمق فى دراسة المسكن وجزئياته وتوجيه حجراته وتوزيع مجموعاته ويرجع تاريخ إنشاء مدينة اللاهوت إلى ٢٧٠٠ ق . م . وهى تحتوى على مجموعات متماثلة من المساكن الصغيرة تشترك فى مجموعة مشتركة من مخازن التموين والسوق العمومى [1] .

وانتقلت هذه النظريات بعد ذلك إلى بقاع العالم . على أن النمو الحضرى كان حينئذ بطيئا جداً إذا قيس بالنمو الحضرى فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية فى العصور الحديثة .

ويرجع بعض المؤرخين بالقاهرة إلى عصر قدماء المصريين — أى إلى

١ — توفيق أحمد عبد الجواد : المرجع السابق ج ٤ ص ١٣

منفيس أولى عواصم القطر المصرى (بعد توحيد مصر السفلى ومصر العليا فى عهد الملك مينا) . والواقع أن مدينة منفيس كانت تقع مكان مركز البدرشين حاليا ، أى أنها كانت تبعد حوالى أربعة عشر كيلومتراً من القاهرة الحالية . ثم أصبحت العاصمة أون أو هليوبوليس (عين شمس ومصر الجديدة الآن) ثم بابليون (مصر القديمة) .

وتتألف القاهرة الحالية من أربع مدن قديمة كانت كل منها عاصمة لحقبة من الزمن : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، والقاهرة المصرية . أنشأ أولها عمرو بن العاص عقب فتحه لمصر سنة ٢٠ هـ . (٦٤١ م .) وهى تقع عند رأس دلتا النيل ، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرانية ، وبذلك تكون الفسطاط فى مأمن من هجمات العدو ، وهى فى نفس الوقت قريبة من الأراضى الزراعية الأمر الذى يسهل معه وصول المؤن والأقوات . وتحمى الفطساط من جهة الشرق جبل المقطم فهو ذراعها الواقى ضد العدو وضد فيضان النيل . ومن أهم الدور التى شيدت منذ الفتح الإسلامى فى مصر دار عمر بن العاص ، بمدينة الفسطاط (٢١ هـ) . وكانت تقع على بعد حوالى أربعة أمتار من الجانب الشمالى الشرقى لجامعة المعروف .

وقد أسهم مؤرخو العصور الوسطى فى وصف مدينة الفسطاط . فقد كانت شوارعها مرصوفة ومنازلها فسيحة حسنة التخطيط ، تتكون ما بين خمسة وسبعة طبقات . وربما سكن الدار الواحدة المائتان من الناس ، كما أشتملت المدينة على المرافق الصحية ، وكان بها عدد كبير من الحمامات العامة [1] .

---

١ — د. زيدان عبد الباقى : علم الاجتماع الحضرى والمدن المصرية ص ٣٢١

أما المدينة الثانية — العسكر — فقد أنشئت عام ٧٥١م . وسميت بالعسكر لإيوائها المعسكر العباسى . وهي تقع إلى الشمال من الفسطاط ، وأصبحت مقراً لدار الإمارة في عهد الوالى العباسى « صالح بن على » . وبنى بها الفضل بن صالح ١٦٩ هـ . (٧٨٥ م) مسجداً ، ثم سمح للناس بالبناء حول العسكر فكثر بها العمارة حتى اتصلت بالفسطاط ، وشيدت بها الدور العظيمة ، ونمت المدينة نمواً كبيراً .

وأنشأ المدينة الثالثة (القطائع) أحمد بن طولون سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م) فى الطرف الشمالى الشرقى من العسكر . وبدأ ابن طولون بتشييد قصر له تحت موقع القلعة . ثم أنشأ مسجده المعروف ، وهو أكبر مساجد العالم الإسلامى حيث تبلغ مساحته ستة أفدنة ونصف فدان ، وترك بين المسجد والقصر ميداناً واسعاً . واختطت حاشيته وجنده دورها فى موقع المدينة حتى اتصلت بالعسكر والفسطاط . ويتميز جامع ابن طولون بزخارف جصية من طراز جديد بدأ ظهوره فى عهد ابن طولون ، ويعتبر صدى لطراز الزخرفة الجصيه التى أزدهرت فى مدينة سامرا عاصمة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت .

وشيد إبن طولون فى الجهة الشرقية من القطائع قناطر فى المياة ومن المظاهر الحضرية الهامة فى ذلك العصر (القرن الثالث الهجرى) إنشاء البيمارستانات حيث أنشأ إبن طولون فى منطقة البساتين (بيمارستانا) أدخل فيه ضروبا من النظم الحديثة جعلته فى مستوى أرقى المستشفيات فى الوقت الحاضر ، وكان يشرف بنفسه على إدارة هذا المستشفى ويتولى تنظيم خزائن الأدوية وتوزيع العمل على الأطباء والممرضين ويشرف على المرضى يواسيهم ويدخل السرور عليهم .

وإزداد عمار القطائع فى إبنه خماروية ، فأنشأ حديقة للحيوان كان فيها السباع والنمور والفيلة والزرافات والطيور وغيرها ، وجهز بيوتها بما يكفل لها الصحة والنظافة . وأطلق على المدن الثلاث (الفسطاط والعسكر والقطائع) إسم مصر أو الفسطاط .

وأنشأ المدينة الرابعة (القاهرة المصرية) جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) . وهو إسم يرتبط بأمل الجند فى قهر أعدائهم والانتصار عليهم . وفى عهد الفاطميين أنشىء الجامع الأزهر ، وصارت القاهرة فى ذلك الوقت عاصمة البلاد الإسلامية جميعها .

وفى عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) قام صلاح الدين الأيوبى بتجميع هذه المدن الأربع ليتخذ منها عاصمة موحدة ، وأحاطها بسور عظيم له ثلاثة أبواب لا تزال باقية إلى الآن ، وهى باب الفتوح ، وباب النصر ، وباب زويلة . وقد بنى صلاح الدين الأيوبى القلعة وبئر يوسف وبعض الحصون من سنة ١١٧٧ — ١١٨٢ .

وكانت هناك حكمة وراء إختيار مكان القاهرة لتكون عاصمة فى عهد الحكم العربى بدلا من الاسكندرية فى عهد الحكم الرومانى، فقد كان ذلك لقربها من بلاد العرب ، ولوقوعها عند فرعى ملتقى رشيد ودمياط ، ثم لوجودها على الطريق التجارى بين الغرب والشرق فى ذلك الوقت .

وبالطبع لم تبق القاهرة منذ إنشائها على حالها ، فقد إمتدت شمالا حتى إتصلت بالقليوبية ، وإمتدت غربا عبر النيل بعد بناء الكبارى ، وإمتدت جنوبا حتى إتصلت بالجيزة ، ولكنها لم تمتد شرقا لوجود تلال المقطم ويقدر تعدادها

حاليا بنحو ٧٫١٦١٫٠٠٠ نسمة ، وهي من ناحية التعداد السكانى تعتبر ثامن مدينة فى العالم فى عصرنا الحالى ، وأول مدينة هي طوكيو عاصمة اليابان ، ويقدر بعض الباحثين أن تعداد سكان القاهرة سيصل عام ١٩٩٠ إلى أكثر من ١٤ مليون نسمة .

أما مدينة الاسكندرية — فقد أنشأها الإسكندر الأكبر عندما فتح مصر عام (٣٣١ ق . م) . وإختار منطقة راقودة التى تفصل البحر المتوسط عن بحيرة مريوط ، وتقترب من جزيرة فاروس التى تقع بين طابية قايتباى وقصر رأس التين ، وهي جزيرة صخرية ذات رمال بيضاء . وكانت طبيعة المنطقة الجغرافية وخلجانها الطبيعية عاملا حاسما فى إختيارها لبناء مدينة الإسكندرية التى لم تصبح أعظم مركز تجارى على البحر المتوسط فحسب ، بل كانت أيضاً ملتقى حضارات الشرق والمغرب ومنطقة الإتصال بينهما .

ولا جدال فى أن الأسكندر الأكبر إستهدف من وراء تأسيس الاسكندرية عدة أهداف ، منها ما هو حضارى ، ومنها ما هو عسكري ، ومنها ما هو تجارى . فأما من الناحية الحضارية ، فقد أراد الاسكندر أن تصبح مدينته الجديدة ، وقد أقامها على أساس الحضارة الإغريقية — معينا لهذه الحضارة ، ينشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحة وإخضاعه لسلطانه . وأما من الناحية العسكرية فقد رغب فى أن تكون الاسكندرية قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرق البحر المتوسط . وأما من الناحية التجارية ، فبعد أن حطم الإسكندر ميناء صور وهو فى طريقه إلى مصر ، أصبح فى حاجة إلى بناء

ميناء جديد يحتل مكان صور فى عالم التجارة (١) .

وإهتم البطالمة بعد الاسكندر بالاسكندرية، وصارت ثانى مدن العالم بعد روما . وشيدت منارة الاسكندرية ، وقد بنيت من الحجر وزخرفت بلوحات منحوتة من المرمر والبرونز . وتم فى عهد البطالمة تخطيط المدينة فى شوارع متوازية متقاطعة . وتألفت من خمسة أحياء . وكان أهم هذه الأحياء هي القصور الملكية وكان يشغل ربع مساحة المدينة أو ثلثها تقريباً ويطل على الميناء الكبير ويمتد حتى شارع كانوب (أبو قير) ، ويحوى أهم معالم المدينة، فقد كانت توجد فيه القصور الملكية ودار العلم والمكتبة والجيمنازيوم والمحكمة ومدافن الاسكندر والبطالمة . أما مضمار سباق الخيل وساحة الألعاب فكانا يقعان فى أطراف المدينة ، أولها فى الناحية الشرقية وثانيها فى الناحية الجنوبية الغربية .

واستمرت مدينة الاسكندرية تؤدى وظائفها كمركز للتجارة والنقل إبان حكم الرومان الذين أولوا شامل عنايتهم للزراعة فى مصر وجعلوا من المدينة منفذا تصدر منه غلة البلاد الأساسية — وهى القمح — إلى عاصمة الإمبراطورية والمدن الكبرى الأخرى . وكان للمدينة كذلك مركزا إداريا.

ثم جاء الفتح العربى ، وأنشئت القاهرة عام ٩٦٩ م ، فقل شأن مدينة الاسكندرية ، واقتصرت على وظيفة واحدة ، فأصبحت قاعدة للجنود المسلمين حتى الحروب الصليبية . ولما استقر حكم المسلمين فى البلاد بدأت الإسكندرية

---

١ — محمد عواد حسين : تخطيط الاسكندرية نقلا من محمد عواد حسين وآخرون. تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور ص ١٢

فى الإنتعاش ونمت فيها صناعات كثيرة عرفت بها كصناعة المنسوجات والزجاج والخزف والعطور وصقل الأحجار الكريمة ، وذلك بالإضافة إلى الوظيفتين التقليديتين النقل والتجارة (١) .

واستردت الإسكندرية أهميتها فى عهد محمد على بافتتاح قناة المحمودية ، وإمتدت فى المنطقة بين البحر وبحيرة مريوط . وبلغت فى القرن العشرين شأنا بعيد المدى فى النمو والازدهار ، واتجهت فى نموها نحو الجنوب والشرق والغرب . فالإتجاه نحو الجنوب أدى إلى شغل الأراضى الفضاء بحى محرم بك ثم عبور المحمودية ، وامتداد العمران فى حى غيط العنب . كما امتد العمران إلى منطقة سموحة التى كانت تشغلها بحيرة الحضرة وقام بتجفيفها يوسف سموحه عن طريق تصريف مياهها إلى بحيرة مريوط فى حوالى عام ١٩٢٥ .

وإذا ما تتبعنا نمو عدد السكان بالإسكندرية منذ بداية هذا القرن لوجدنا أنهم يتزايدون باطراد . وترجع هذه الزيادة إلى عاملين إثنين : الأول الهجرة والثانى الزيادة الطبيعية فى عدد السكان .

أما عن الهجرة إلى الإسكندرية فقد شجع نجاح الصناعة بها عددا كبيرا من سكان الريف على الهجرة إليها طلبا للرزق . كذلك أدى نشاط حركة

---

١ — د حسن الساعاتى : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤

البناء إلى هجرة عدد كبير من خارج الاسكندرية للاشتغال بها ، بحيث وجدنا أن عدد المهاجرين قد بلغ ٢٣٨٦٦٠ نسمة حسب تعداد عام ١٩٤٧ أى ما يعادل ٢٦٫٥ ٪ من مجموع سكان الاسكندرية، فإذا أضفنا إليهم عدد المهاجرين إليها من خارج القطر إرتفعت النسبة إلى ٣٠٫٦ ٪ من السكان .

وتواجهنا عند التعرض لمسألة السكان بالإسكندرية مشكلة إزدحام المدينة بالسكان إلى الحد الذى إرتفعت فيه الكثافة فى بعض الأحيان إلى ما يزيد عن ١٧٠٠ فرد في الفدان وهى نسبة مرتفعة دون شك ، وتتطلب منا إعادة توزيع هؤلاء السكان على مختلف الأحياء بحيث لا تزيد عن ٦٠٠ فرد فى الفدان . ويكفل لنا هذا عدالة توزيع الخدمات العامة .

وبمدينة الاسكندرية مناطق سكنية دون المستوى اللائق لمعيشة الإنسان من الناحية الصحية والعمرانية السليمة ، وتكدس فى هذه المناطق عدد كبير من العائلات الفقيرة المحدودة الدخل فى ظروف صحية سيئة ، فتكون عرضة للأمراض والأوبئة .

ولقد إستقر رأى المسئولين على إزالة هذه الوحدات السكنية القديمة وبناء وحدات سكنية جديدة أطلق عليها اسم المساكن الشعبية تخصص للعائلات المحدودة الدخل ، فأنشئت وحدات سكنية كثيرة فى القبارى ومحرم بك وكوم الشقافة لاستيعاب من أزيلت مساكنهم وممن تنطبق عليهم شروط محدودى الدخل .

---

١ — د. محمد محمود الصروجى : الاسكندرية فى القرن العشرين نقل عن د. محمد صواد حسن : المرجع السابق ص ٤٥٣ — ٤٥٧

وترتبط الخدمات العامة بالتخطيط العام لمدينة الاسكندرية ، وخصوصا فى النواحى التعليمية والصحية . فقد وجد أن توزيع المدارس لا يتفق فى بعض الأحيان مع الكثافة السكانية للحى أو المنطقة ، بعضها فى حاجة ماسة إلى مزيد من المدارس والبعض الآخر يفيض عن حاجة من هم فى سن الإلزام .

فكان من الضرورى إذن محاولة علاج الأوضاع الراهنة ، وفى نفس الوقت إيجاد المدارس اللازمة طبقا للتخطيط الجديد لتنظيم الكثافة السكانية ، وما يستتبع ذلك من إنشاء مدارس إعدادية وثانوية لمواجهة الضغط المتزايد من خريجى مدارس المرحلة الأولى .

وأصبحت مدينة دمنهور عاصمة لإقليم البحيرة فى التقسيم الإدارى الذى وضعه محمد على . ومن ثم بدأت تتسع على شاطىء ترعة الخطاطبة القديمة والتى كانت تتفرع من الرياح البحيرى (فرع رشيد) . وفى ظل الحكم المحلى بدأت دمنهور تأخذ شكل مدينة حديثة ، حيث تم ردم الترعة التى كانت تشطر المدينة ، مع تحويلها إلى مجرى آخر خارج المدينة . وكذلك تمت إزالة خط سكة حديد قطار الدلتا ، الذى كان يسير بسرعة السلحفاة مخترقا المدينة .

وبعد عام ١٩٦٣ بدأت عملية تحديث مدينة دمنهور حيث أقيمت فيها العمارات الضخمة والميادين الفسيحة والفنادق والمطاعم والملاعب الرياضية . كما أنشئت وحدات الخدمات الصحية لاسيما مستشفى دمنهور العام الذى يعتبر من أكبر وأحدث المستشفيات فى مصر ، وكذلك أنشئت الوحدات الاجتماعية والثقافية والتعليمية .

وكان عدد سكان دمنهور عام ١٩١٧ حوالى ٤٧٨٦٧ نسمة ، وقد بلغ هذا العدد إحصاء ١٩٦٠ عدد ١١٠٥٢١ نسمة (١) .

وترجع أهمية رشيد من الوجهة التاريخية إلى العثور على حجر رشيد ، مفتاح اللغة المصرية القديمة . كما ترجع شهرتها من ناحية العمارة الاسلامية إلى تلك الدور والمساجد الموجودة بها ، ذات الطابع الخاص والذى تنفرد به عن غيرها من ناحيتى الإنشاء والزخرفة .

ولا تزال بعض شوارع رشيد محتفظة بمنازلها القديمة ومساجدها الأثرية . ويعتبر مسجد زغلول أهم مسجد بالمدينة ، وهو مسجد قديم طرأت عليه عدة إصلاحات وإضافات فى أزمنة مختلفة . وتمتاز مساجد رشيد بقبابها ذات الأشكال البصلية وبحجمها الصغير (٢) .

أما بورسعيد فهى ميناء مصرى يمتاز بموقعه الجغرافى الفذ بماله من مميزات عالمية بحرية ، وتقع المدينة إلى الغرب من الميناء . وقد تم إنشاء هذه المدينة بعد إنشاء ميناء بور سعيد الذى تم انشاؤه عقب توقيع سعيد والى مصر لعقد إمتياز حفر قناة السويس مع دياسبس (٣) .

وتبدأ نهضة السويس بشق قناة السويس وإنشاء ميناء بورتوفيق وتوسيع الحوض لاستقبال السفن القادمة من الشرق الأقصى . وقد نهضت السويس

---

١ — د. زيدان عبد الباقى : المرجع السابق ص ٢٤٠ — ٢٤١
٢ — د. كمال الدين سامح : المرجع السابق ص ٢١٩ — ٢٢٠
٣ — د. زيدان عبد الباقى : المرجع السابق ص ٢٦٧

نهضه جديدة بإنشاء عدد من الصناعات الهـــامه مثل صناعه تكرير البترول ومشتقاته (١) .

ويتبين من ذلك أن نشأة كل مدينه فى مصر يختلف عن سبب نشأة مدينه أخرى، فلنشأة مدينه دمياط عند مصب نهر النيل سبب يختلف عن سبب وجود كل من مرسى مطروح والعريش على الحدود ، وللنمو السريع فى كل من المحلة الكبرى وكفر الدوار سبب يختلف عن النمو السريع فى القاهرة (٢) .

وتعانى بعض هذه المراكز من تكدس سكانى فى بقعه محدودة من الأرض، واعتمادا على ذلك فإن اقتراح الإمتداد والإتساع بالنسبة لكل مركز حضرى يمكن مناقشته فى ضوء تكوين مناطق جديدة حول المركز الحضرى يمكن أن يتوزع فيها أكبر عدد من السكان ، وتستحدث فيها مجموعة من الأنشطة . ويجب أن يوضع فى الإعتبار العائد من هذا الإمتداد ، والتكلفة التى يحتاجها ، والفائدة التى تعود من هذه المشاريع ، والعناصر السسيو إقتصادية للموقع ، فضلا عن نظافه المكانى .

تصنيف المدن فى مصر :

يمكن أن نصنف مراكزنا الحضرية إلى أربعة مجموعات رئيسية هى (٣) : —

---

١ — د. زيدان عبد الباقى : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

٢ — د عبد المنعم شوقى : المرجع السابق ص ٥٢

٣ — نفس المرجع : ص ١٧٨

أ ـــ مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط الصناعي المكثف ، وأبرز الأمثلة على هذه المجموعة محافظتا القاهرة والإسكندرية ومدينتا المحلة الكبرى ، وكفر الزيات .

ب ـــ مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط الصناعي التقليدى : والمثال على هذه المجموعة يتضح فى الصناعات القائمـــة المنتشرة فى عواصم محافظات الجمهورية .

حـ ـــ مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط التجارى : ومثالهـا مدن القناة الثلاث حيث يعتمد هيكلها السسيو إقتصادى على مصادر التجارة فيها .

د ـــ مجموعة المراكز الحضرية ذات النمط السياحى : وتعد الاسكندرية وأسوان من المحافظات الممثلة لهـــذه المجموعة التى تعتمـــد على إمكانات السياحة فيها .

المسكن الحضرى فى مصر :

المسكن وسيط بين الإنسان والمجتمع الذى يعيش فيه ، إذ أن شكل المسكن ومستواه تحددها المعايير الاجتماعية السائدة والعـــادات الثقافيـــة المتأصلة . والمسكن بمفهومه الحديث قالب مادى للتفاعل الإنسانى ... وتتوقف طبيعـة هذا التفاعل إلى حد كبير على تشكيلات هذا الإطار ، بما يتضمنه من مبانى ، وفراغات ومرافق ، وخدمات ، وشوارع ، وحدائق ، ومساحات ، وأماكن التسليـة ، وأسواق ، وما يتيحـه من نمـاذج بشرية ذات خلفيـات ثقـــافية متعددة .

فبقدر ما يؤثر الإطار المادى على سلوك وتصرفات وشخصيات الذين يشغلونه ، تؤثر الأفراد والجماعات بدورهم على محيطهم السكنى ، فيشكلونه ، ويطوعونه ، ويخضعونه لرغباتهم ومتطلباتهم .. ففى داخل البيئة السكنية ، ينشأ الأطفال ، وتترعرع الصداقات ، وتنمو العلاقات ، وتزدهر ، وتثور الخلافات والصراعات والضغائن ، وينمو الشعور الإنتماء والإندماج ، وتنمو مكانة الأغراض المرضية ، من القلق والعزلة والإنطـــواء ، إلى الإنحـراف والعدوان والإجرام [١] .

والمسكن الحضري في مصر — باستثناء مناطق الإزدحام والتكدس ، يمتاز بأنه أحسن حالا من السكن الريفى . وذلك من حيث طبيعته واتساعه وشموله لكل المرافق اللازمة لخدمة سكانه . كذلك فهو مزود بالأدوات المنزلية كالثلاجات والغسالات الكهربائية والمياه الساخنة والتليفونات وغير ذلك مما لا توجد صورة له في الريف .

ومن الملاحظ أن عدد سكان مسكن الحضر أقل من عـدد سكان المسكن فى الريف ، ويختلف هذا المتوسط من منطقة إلى أخري ، وإن كان متوسط ما يخص الحجرة الواحدة من السكان فى مسكن الحضر يتراوح بين ٣ ، ٤ أفراد ، ومسكن الريف بين ٥ ، ٨ أفـراد . ومن الملاحظ كذلك أن مسكن الحضرى فى مصر لا يقوم بكثير من الأعمال الإنتاجية التى يقوم بها المسكن

---

١ — د. نبى السيد حامد فهمى : المسائل الاجتماعية فى الإسكان والتخطيط الحضرى نقلا عن مجلة تنمية المجتمع — العدد اكتوبر ١٩٧٢ ص ٦١

الريفي في الغالب ، كإعداد الخبز مثلا في المنازل عن طريق الأفـران المحلية ، وإنتاج المسلي وصناعة الجبن ، بينما تختفي تلك الظواهر في المسكن الحضري. وهناك كثير من أنشطة المناسبات تبتعد بها عن المنزل الحضري كالأفــراح والمـآتم حيث تقام في الغالب في للمساجد والكنائس والأندية . ويحـرص الحضري على أن يزود مسكنه بحجرة لتناول الطعـام وأخــرى لاستقبال الضيوف ، وثالثة لأبنائه للاستذكار (١).

وفي ضوء هذا يتبين مدى أهمية توفير المسكن الصحي الملائم ، والمحيـط السكني المخطط له ، والذي يراعي المعايير والعادات في المجتمعات المحلية الريفية والحضرية .

---

١ — د. أحمد كمال حبيب - د. كرم حبيب بسوم : المرجع السابق ص ٢١٩ — ٢٢٠

الفصل الخامس

تخطيط المدن

تقديم :

يصعب تحديد مدى تركز السكان فى منطقة ما ، كما يصعب تحديد قيمة الأرض فى ظل نسق الملكية الفردية . ومن ثم يترك للمشروع الخاص تحديد حدود المدينة ومواقعها الصناعية ومناطق إقامة السكان ، حيث تتباين أذواق الناس ، وتختلف مصالحهم الإقتصادية ، ويصعب خضوع المدينة للضبط والتخطيط (١) .

والتخطيط أسلوب علمى يهدف إلى دراسة جميع أنواع الموارد والإمكانيات المتوفرة فى الدولة أو الإقليم أو المدينة أو القرية ، وتقرير كيفية إستخدام هذه الموارد فى تحقيق الأهداف وتحسين الأوضاع . والتخطيط بهذا المفهوم عملية تنظر إلى المستقبل وتتنبأ به ، وتحاول تحقيق الآمال التى يرجوها الشعب باتباع وسائل معينة (٢) .

ويعتقد البعض أن تخطيط المدن عملية تنمية فيزيقية تتمثل فى موقع المدينة وحجمها ، وفى الاعتبارات الهندسية التى تبدو فى صيغ كمية مثل عدد الشوارع والمنازل والمنشآت وفى الحقيقه فإن تخطيط المدن يقوم على إستراتيجية

1 — Park, Robert, op. cit, p. 5

٢ — د. فؤاد محمد الصقار : التخطيط الإقليمى ص ١٠ .

مؤداها إدراك أهمية المظاهر الديموجرافية والاجتماعيـة والثقافيـة والسلوك والمبادىء الإيكولوجية . ولاشك أن المسكن المخطط تخطيطا جيـداً فى بيئة مناسبة ، يعد هدفا رئيسيا للتخطيط ، حيث تستهدف الأسرة مسكنا يحقق لهـا الوقاية الصحية وتوفير الخدمات الاجتماعية . ويعتمـد هـذا على الإمـداد والخدمات ، وعلى التركيب الاجتماعى فى المنطقة ، والعـلاقات الاجتماعية بين السكان ، وعلاقة المناطق بعضها ببعض .

ولهذا تسهم علوم الهندسة المعمارية والهندسة المدنية وعلم الإجتماع والفلسفة والإقتصاد والسياسة مساهمة فعالة فى عملية تخطيط المدن . وقد اهتمت بعض كليات الهندسة فى جامعات العالم بتدريس هذه العلوم . ويتمثل ذلك فى كليـة الهندسة المعمارية والتخطيط ــ جامعـة هارفارد ، إذ تقـوم بتدريس العـــلوم الاجتماعية .

وقد ينظر كل عضو من الأعضاء ـــ عند تكوين فريق تخطيط المدن ـــ إلى عضو التخصصات الأخرى نظرة خاطئة . فالمعمارى يعتبر رجـل الاقتصاد ما هو إلا مقـدر لتكاليف البناء المادية . وينظر رجـل الإقتصاد إلى رجـل الاجتماع على أنه يهتم بالبحث عن مصادر القـوة power والتنظيم الاجتماعى وهو يفتقر إلى معرفة احتياجات السوق .

ومن ناحية أخرى ، فإن مصطلحات مثل « المامشية » و «العقلانية» و « الديناميكية » و « الجماعة » تجد مفهومات مختلفة فى التخصصات المتباينة . إلا أنه مع قليل من الصبر والتحمل ، ومع مرور الوقت ، سـوف يدرك كل

عضو من أعضاء هذه التخصصات دور عضو التخصص الآخر إدراكا جيدا[1]

ومنذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة مارس الناس تخطيط المدن . إلا أن هذا يختلف عن مفهوم التخطيط فى عصرنا الحالى . ففيما مضى نمت المدن الأولى نموا طبيعيا نتيجة نمو القرى . فقد كانت روما وأثينا وباريس ولندن ونيويورك قرى صغيرة . ويرجع ذلك إلى صغر حجم التجمعات المحلية ، وافتقار المدن القديمة إلى التطور التكنولوجى الذى أدى إلى تعقد المدن فى عصرنا الحالى ، وبساطة وعدم تعقيد النشاطات الاقتصادية والصناعية . هذا فضلا عن سلطة الملوك والحكام التعسفية والتى كانت تحدد مدى التخطيط . وفى ضوء هذه الظروف كان تخطيط المدن فيما مضى يهتم بالموقع والحجم وتنظيم المدينة المغلق [2] .

تخطيط المدن فى المراحل الاولى من التاريخ :-

خصصت القبائل البدائية قطعا من الأرض تصلح لإنتاج المحاصيل ، وقطعا أخرى لتربية ورعى الحيوانات ، وثالثة للانتاج . وأدت هذه التجارب وانتقالها من جيل إلى جيل إلى التحديث . وقد وضع البدائيون خططا لاستخدام الأرض التى كانت كبيرة المساحة ، ويسكنها قلة من السكان يعيشون عيشة متواضعة .

وحددت مواسم الزراعة والرعى فى الأزمنة الغابرة عادات إستخدام

1 — Cullingworth j. B , Problems of Urban Society, p. 27

2 — Branch, Melville C. (Ed.), Urban Planning Theory, p. 2.

الأرض . وأدت الزراعة وظهور فائض الإنتاج إلى إنشاء مخـازن لتخـزين المحصول . كما شيدت حظائر للحيوانات . وازداد عـدد سكان المـدن من الارستقراطيين (١) .

تخطيط المدن فى مصر الفرعونية :

سبق قدماؤنا المصريون العـالم كله عنـدما بدأو بناء المدن حول المعابد والأهرامات . فقد قرأنا فى كتب التاريخ المدينة المسماه بقاهون والتى شيدت سنة ٣٠٠٠ ق.م. لإيواء العمال لبناء هرم اللاهون ، وكانت هـذه المدينة ذات طرق متعددة ومستقيمة ، ثم كانت أقدم المدن المصـرية التى بنيت على أساس تخطيطى مثل تل العمارنة ، التى أنشأها امنحوتب الرابع فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد (٢) .

تخطيط المدن فى العصر اليونانى :

وفى العصر المقدونى ظهرت المدن الإغريقية مثل أثينا واتسعت هذه المدن وأصبح لبعضها ضواحى وموانى للتجارة مثل بيريه . وخطط الإسكندر الأكبر لبناء عدد من المدن الجديدة ، وكان أهمها مدينة الاسكندرية فى مصر . وقد بلغ عدد سكانها مليون نسمة (٣) .

---

1 — Black, Alan, The Comprehensive Plan in Branch, Melville ç (Ed), op. cit, p. 221

٢ — د. ابراهيم الدميرى : دراسات النقل وتخطيط المدن — نقلا عن مجلة الطرق العربية — العدد الثانى ١٩٨٠ ص ٢٧ .

3 — Habenstreit, Barbara, op. cit. p. 117

تخطيط المدن فى العصر الرومانى :

وفى العهد الرومانى أدخلت تحسينات عديدة . فقسمت المدينة إلى أحياء سكنية وأخرى تجارية وصناعية مع تسهيل حركة المرور ، وأخذ فى الإعتبار تقسيم الشوارع بعروض حسب أهميتها . وكانت الشوارع الرئيسية متوازية والفرعية عمودية عليها (١) .

تخطيط المدن فى العصور الوسطى :

كانت مدينة العصور الوسطى تخطط وفقاً لواحد من ثلاثة نماذج أساسية تطابق نشأتها التاريخية ، وخواصها الجغرافية ، وأسلوب تطورها . ووراء هذه النماذج الحضرية كانت توجد كذلك نماذج ريفية أقدم عهداً ، كتلك التى نجدها فى قرية الشارع ، وقرية الطرق المتقاطعة ، وقرية الأرض العام * والقرية المستديرة . ويمكن التمثيل لها فى الرسم بهذه الأشكال :
. o , ± , + , =

وقد احتفظت المدن التى بقيت فى أيام الرومان عادة بنظامها من حيث تقسيم الأرض وحدات مستطيلة فى وسط المدينة الأصلى ، مع ما طرأ على ذلك فى التعديل بإقامة قلعة أو دير ، وهو ما كان جائزا أن يغير من نظام التقسيم إلى رقع متساوية . والمدن التى نمت على مراحل بطيئة من قرية أو مجموعة قرى فى كنف دير أو قلعة كانت أشد مطابقة لطبيعة تكوين الأرض ولا تتغير إلا ببطء جيل بعد جيل .

---

(١) د. ابراهيم الدميرى : المرجع السابق ص ٢٧

* أى التى نشأت على أرض لا تتدخل فى حيازة أمير الإقطاع أو غيره .

والواقع أنه فى أول بداية العصور الوسطى يكشف المرء وجود شىء من الإيثار للتخطيط الهندسى المنتظم ، مع اتخاذ المستطيل أساساً للتقسيم الثانوى، وآية ذلك التخطيط الشالى للدور الأرضى بدير سانت جال St. Gall فى القرن التاسع . ولقد أوضح كنيث كونانت Renneth Conant أيضـــا أن المبانى الأصلية فى كلونى Cluny أقيمت على هيئة مستطيل داخـل مربـع يبلغ طول ضلعه ثلاثمائة قدم (١) .

وكانت الرغبة فى إبراز أهمية قلب المدينة هى مصـدر وجود المنحنيات الأساسية فى مدينة العصور الوسطى ، حيث كثرت الطرق المنحنية ، وتغيرت العروض للطريق الواحد ، وأخذت هذه المدن طابعا مميزا فى أغلبها حيث يبدأ عمرانها بأن تبنى مساكنها حول القصور والمبانى الهامة . ومع الزيادة السكانية لهذه المدن وفى مراحل الهدوء النسبى من الحروب إمتد العمـران إلى خارج الأسوار فى إتجاه محاور الطرق الموجودة وحول المدينة القـديمة ، وأقيمت أسوار دفاعية جديدة ، فقد بلغ عدد الأسوار حول باريس ثمانية أســـوار دفاعيـة .

وكان السور والبوابات والحصون من أهم سمات مدينة العصور الوسطى لحماية قاطنيها . أما السور فكان يبث فى المدينة إحساسا بالعزلة . وكانت بوابة المدينة مكان اللقاء بين عالمين الحضرى والريفى ، الداخلى والخارجى . وكانت البوابة الرئيسية أول ما يقدم التحية للتاجر ، أو الحاج ، أو عابر السبيل

---

١ — ممفورد لويس : المرجع السابق — الجزء الثانى ص ٥٤٩ — ٥٥٠ .

العادى ، وكانت فى آن واحد مقراً للجمرك ، ومكتبا للجوازات ، ومركزا للمراقبة المهجرة ، وقوس نصر كثيرا ما كان ينافس بأبراجه كما هو الحال فى لوبيك — أبراج الكاتدرائية أو دار البلدية . وعلى مقربة من البوابات كانت تبنى عادة دور التخزين ، كما كانت تكثر الفنادق والحانات ، وكذلك كان الصناع والتجار يقيمون حوانيتهم في الشوارع المجاورة .

ومن حيث الأماكن الفضاء فى مدينة العصور الوسطى — بما فى ذلك الساحات الكبيرة للأسواق والساحات أمام الكاتدرائيات — فهى ميادين بالمعنى المتعارف عليه . وكثيرا ما كانت السوق فى شكل غير منتظم ، فهى أحيانا مثلثة ، وأحيانا ذات شكل متعدد الجوانب أو بيضاوى ، وتارة على هيئة أسنان المنشار ، وتارة ذات شكل مقوس . ويبدو أن السوق كانت تتخذ شكلها قسرا لا إختيارا ، لأن حاجات المبانى المجاورة هي التى كان لها الاعتبار الأول ، وهى التى كانت تحدد توزيع الأرض الفضاء . وعلى الرغم من أن السوق لم تكن أحيانا سوى شارع زيد فى إتساعه ، فإن هناك أمثلة أخرى فى بروكسل أو بريمن ، وفى بروجيا أو سيينا ، حيث يبلغ المكان من الإتساع ما لا يكفى لإقامة منصات عديدة للسلع فحسب بل لإقامة إجتماعات ومهرجانات عامة .

وفى ساحة السوق كانت النقابات تقيم مسارحها لتمثيل مسرحيات ، وهناك كان ينزل العقاب الوحشى بالمجرمين أو الخارجين على الدين ، فيلقون حتفهم شنقا أو حرقا ، كما كانت تقام المباريات الكبرى فى المبارزة . وكثيرا ما كانت ساحة السوق تؤدي إلى ساحة أصغر منها عن طريق ممر ضيق ، وكانت سوق إرما مثلا واحدا من أمثلة عديدة ، وكانت سوق الأقمشة والسلع

المصنوعة من المعادن منفصلة عن سوق المواد الغذائية .

وفيما عدا الكاتدرائية ، ودار البلدية أحيانا ، حيث كان الحجم والإرتفاع يعبران من الصفات الرمزية الهامة ، فإن القائمين على أمر البناء فى العصور الوسطى كانوا ينزعون إلى الإلتزام بأبعاد معقولة متواضعة ، فبيوت الصدقة كانت تنشأ لإيواء أفراد يتراوح عددهم بين السبعة والعشرة . وكان بها مستشفى صغير لكل ألفين أو ثلاثة آلاف من السكان . وكذلك تضاعف عدد كنائس الأبرشيات فى أنحاء المدينة الآخذة فى النمو ، بدلا من إقامة بضعة مبان كبيرة فى وسط المدينة . وطبقا لما يقوله فيتز ستيفن إكان يوجد فى مدينة لندن فى القرن الثانى عشر ١٣ من كنائس الأديرة و ١٢٦ كنيسة أصغر منها ، لعدد من السكان ربما كانوا يبلغون ٢٥٫٠٠٠ نسمة .

وكانت للمنازل واجهتان تطلان على شارعين : إحداهما تطل على شارع عريض يبلغ إتساعه أربعا وعشرين قدما ، والأخرى تطل على زقاق يبلغ عرضه سبعة أقدام . وكانت الشوارع غير منتظمة ، وتكثر بها المنحنيات الحادة والسدات .

وقبل أن يعم إستخدام العربات بنحو ثلاثة قرون كانت قد توارت عن الأنظار الطبقة السطحية الطبيعية لمواطىء الأقدام فى الشوارع ، وذلك لأن رصف الشارع للسائر على قدميه قد أدخل فى باريس منذ سنة ١١٨٥ ، وفى فلورنسا فى ١٢٣٥ ، وفى لوبيك سنة ١٣١٠ (١).

---

١ — نفس المرجع : ص ٥٦١ — ٥٦٢

وكانت مدينة العصور الوسطى مدينة غير صحية ، فهى تعانى من جميع أنواع الأوبئة ، إذ ما زالت تكنولوجيا الطب بدائية . ولذلك إرتفعت نسبة الوفيات والأمراض فى مدن العصور الوسطى عن المناطق القروية (١) .

تخطيط المدن فى عصر النهضة :

ومع انحلال العصور الوسطى وإنبثاق عصر النهضة ، ظهر إنعكاس القيم الروحية والأفكار الدينية والنظام السياسى على تخطيط المدن والتصميم المعارى. ففى كثير من المدن هدم السور وحل محله حزام أخضر من الحدائق . كما عمد المشتغلون بالتخطيط والبناء إلى إزالة الجدران المتزاحمة ، وهدم الحظائر والحوانيت الخشبية والمنازل القديمة ، وأنشىء بدلا منها القصور للنبلاء ، والمبانى العامة الحكومية . وقام المخططون باختراق الأزقة المتعرجة لإنشاء شارع مستقيم أو ميدان مستطيل طاق . كما أنشئت الحدائق العامة حتى يجد الناس مجالا للتنفس . وكانت إمارات مدينة عصر النهضة الشارع المستقيم ، والخط الأفقى المتواصل للسقوف ، والقوس المستدير، وتكرار عناصر متجانسة على واجهة المبنى ، كالطنف (الكورنيش) ، والعتب ، والنافذة ، والعمود .

وعندما أتيح للمشتغل بالتخطيط أن يكون حرا فى وضع تصميم لمدينة بأكملها وفقا للمبادىء التى أنشىء عليها الشارع الجديد (سترادانونا) أو مبادىء الدواوين الحكومية (أوفيتسى)، إنكشف وجوه النقص من الناحية الجمالية ، فى هذا الإطراد فى تنظيم الأرض الفضاء على نطاق واسع .

---

1 — Bergel Egon Ernest, op. cit. p. 369

ومن ثم فإن الأماكن التى كان يسمح ببقائها مضطربة فى المدينة كسبت رداء قشيبا ، فالمواقع التى لم تتناولها يد الإنسان بالتهذيب ، وتأثرت بفعل عوامل التعرية مثل تل الكابيتول فى روما ، رصفت بالحجر ، وتحول طريق اللامز الوعر الإنحدار إلى مرتقى فاخر من الدرج . وظل قدر من هذا الدرج باقيا فى أفضل الأعمال التى تمت فى العصر الباروكى (النهضة) ، وبخاصة فى النافورات المزينة بزخارف منحوتة والميادين التى صممها وزخرفها برنينى Pernini فى روما[1] .

وبانبثاق عصر النهضة ، أنشئت المساكن الصحية ، وظهرت الطبقة الوسطى ، أما الطبقات الفقيرة فكانت تعيش دون مأوى لائق . وفى هذا العصر إرتفعت نسبة الوفيات بين الطبقات الفقيرة . وكان مرض الطاعون أكثر الأمراض إنتشاراً . وفى عام ١٦٦٦ قام حريق لندن مما تسبب عنه هدم ١٣,٠٠٠ مسكن وقد وصف السير والتر بيسانت Walter Besant هذا الحريق بأنه كان عملية جراحية ضرورية عملت على الحفاظ على الحياة ببناء مساكن جديدة لائقة[2] .

تخطيط المدن فى العصر الحديث :

استهدف تخطيط مدن أوربا فى العصر الحديث تحقيق جوانب جغرافية وجيولوجية وفيزيقية وسياسية واقتصادية ومهنية وقانونية واجتماعية وثقافية وتكنيكية وسلوكية ، حيث توضع جميع هذه الجوانب فى الإعتبار عند تخطيط المدن وإقامة المبانى .

---

١ — ممفورد (لويس) : المرجع السابق — الجزء الثانى — ص ٦٤٢ .

2 — Bergel, Egon Ernest, op. cit. p 431

ويحقق التخطيط فى العصر الحديث عملية الإبتكار الذى . ويعد تعبيرا عن المثالية الطوبائية . فقد كانت إنجازات هذا العصر عملية تنمية تمتد من جمهورية Republic أفلاطون إلى يوتوبيا Utopia مور ، أو من مدينـة أوغسطين المقدسة De Civitate Dei إلى رؤية جديدة للمجتمع New View of Society لروبرت أوين . فقد استهدف تخطيط المـدن فى هـذا العصر تحقيق كرامة الفرد . وهكذا تنم المدن والحضارة فى أى عصر من العصور عن القيم الاجتماعية. وهى إنعكاس للاختراعات ومستودع للثقافة . فأى مجموعة من المبانى إنما تعبر عن الإنجازات الثقافية لعصر من العصور : العصر السوميريانى Sumerian ، العصر الرومانى ، روما فى عصر النهضة ، أو بريطانيا فى عهد جورج .

وكانت انجلترا رائدة تخطيط المدن الجديدة إذ أدى التحول الإقتصادى والاجتماعى الماثل فى بريطانيا فى القرن التاسع عشر دوراً هاماً فى تخطيط المدن . فنى هذا القرن كانت بريطانيا مجتمعا حضريا ، وكانت البيوت المكدسة بالأفراد والمشاكل الاجتماعية فى المراكز والمدن تجربة قومية. واهتم المسئولون بالنمو التدريجى لنسق الإسكان والصحة . وابتكرت أساليب تنظيمية للعمل والإدارة فى الحضر . ومنذ عام ١٨٢٠ نظمت الشئون المحلية ، وهى ظاهرة سياسية تعتبر جزءا من عملية نمو الديموقراطية فى بريطانيا . وانعكست هذه الظاهرة على الحياة اليومية للمواطنين ، فقلت ساعات العمل ، وتحسنت ظروفه وأنشئت المساكن الواسعة ، والمدن الجديدة ، والشوارع العريضـة ، وأمدت الحكومات المواطنين بالمياه ، والمجارى ، والوقود ، والـكهرباء ، والتعليم ، والصحة ، والرعاية الاجتماعية [1] .

---

1 — Cherry, Gordon, op. cit. p. 6

وبدا أهمية التأمل العقلى — خلال العشرين سنة فيما قبل الحرب العالمية الأولى — للتقدم الاجتماعى، وتحقيق كرامة الإنسان. إذ اهتمت السياسات الليبرالية بالإصلاح الاجتماعى، وأهمية التخطيط. وأضحى مايبتكر أسلوب جديد فى الحياة، وأخوة جديدة، وحل للمشاكل الاجتماعية التى لمسها الشعب منذ عهد الملكة فيكتوريا فى انجلترا.

ففى مستهل سنوات هذا القرن استوحى المخططون إصلاحات العهد الفيكتورى. فقد مارست السلطات المحلية التخطيط الفيزيقى بواسطة القوانين قبل حركة الإسكان وتخطيط المدن عام ١٩٠٩. وكانت الرقابة الفيزيقية فى أيدى الخاصة من أمثال كادبرى Cabury وسالت Salt وليفر Lever وأصحاب الأراضى الذى أنشأوا القرى الخاصة والمدن الخضراء، وضبطوا التنمية الفيزيقية، ووضعوا شروطا تحدد إستخدام الأرض والمبانى وأسلوب التطور، وعلاقة كل وحدة أو عنصر بالوحدات أو العناصر الأخرى. ويتبدى ذلك فى أنه يجب على مستغل الأرض أن يحصل على تصريح من السلطات المحلية التى قد توافق أو ترفض خطته حتى تضمن التنسيق بين المستويات المختلفة (١).

ويعتبر التخطيط فى القرن العشرين عملية إجتماعية. فقد إنتشرت خطط السنوات الخمس من الاتحاد السوفييتى إلى الدول الإشتراكية أو الشيوعية كالهند والبرازيل. وفى الولايات المتحدة قامت الحكومات ببناء المدن خاصة

---

1 — Briant. j. & Laughlin M. C., Control and Urban Planning. p. p: 13 — 14

بعد الإنهيار الإقتصادى عام ١٩٣٠ ، وكذلك بعد الحرب الثانية . واهتم المسئولون بمشاكل المدن الاجتماعية ، وهو ما نسميه بالتخطيط الحضرى. وأنشئت المدن باعتبارها جزءا من البرامج الصناعية . وشيدت العواصم لتقوم بأعمال الوظائف الحكومية . واهتم مخططوا المدن بالشئون الخاصة بالصحة، وازدحام المواصلات [١] .

وفى منتصف عام ١٩٦٠ أشرفت هيئة الإسكان The Housing Act فى الولايات المتحدة الأمريكية التى أنشئت عام ١٩٤٥ على مشاريع بناء المدن ، وأنشأت ٨٥٠٫٠٠٠ وحدة سكنية فى ٢٠٠ مدينة أمريكية [٢] .

وفى أثينا قامت مجموعة من المعماريين عام ١٩٣٣ أطلقت على نفسها اسم « Congres Internation d'Architektur Molern — CIAM » بوضع خريطة جديدة لأثينا فيها قفزة هائلة من الفكر الذى إشتمل على [٣] :

١ — أن الحى السكنى يجب أن يوجد مستقبلا فى أفضل الأماكن داخل المدينة من حيث الموقع والمناخ ووصول أشعة الشمس إليه وقربه من للمساحات الخضراء .

---

1 — Petersen, William, The Concept of Urbanization Planning in Baali, fuad & Vandiver, joseph; (Eds.), op. cit, p. 362

2 — Marris, Peter. The Implication of Urban Development in Baali, fuad & Vandiver, joseph, (Eds.), op. cit, 369

٣ — د. ابراهيم الدميرى : المرجع السابق ص ٣١ — ٣٢ .

٢ — عند تخطيط المساكن يجب أن ينال كل مسكن ولو قسط بسيط من أشعة الشمس .

٣ — أن تكون المسافة بين مكان العمل والمسكن أقل ما يمكن .

٤ — أن تكون المناطق الصناعية معزولة عن المناطق السكنية بمساحات خضراء كافية .

٥ — أن يكون موقع المناطق الصناعية قريبا من خطوط السكك الحديدية أو المجارى المائية ، وقريب من طريق رئيسى .

٦ — أنه من الممكن للصناعات اليدوية الخفيفة أن تكون بداخل المدينة.

٧ — يجب ربط منطقة وسط المدينة والأنشطة العامة بالأحياء السكنية بشبكة من الطرق والمواصلات تفى باحتياجات حركة نقل الأفراد اليومية .

٨ — يجب مراعاة التدرج فى قطاعات الطرق حسب الأهمية وتدفقات الحركة على كل محور وتقسيمها إلى طرق خدمات وطرق دخول وطرق توزيع رئيسية على مستوى المدينة .

٩ — عمل طرق خاصة بالمشاة والإهتمام بها بعيدا عن حركة السيارات .

١٠ — الإهتمام بالمناطق الخضراء داخل المدينة ومحاولة زيادة رقعتها لتشكل أيضا فى تكوينها مناطق عازلة بين محاور الطرق الرئيسية ذات أحجام المرور العالية والمناطق السكنية المحيطة لها .

وتبدو أهمية حتمية البيئة لتحقيق السكن الملائم ، والكثافة السكانية المناسبة ، وكذلك النواحى الجمالية . ووضع مخططوا المدن فى اعتبارهم

— فى عصرنا الحالى — أهمية توافر الشمس والهواء التى توفر تحسين الصحة، وأنشأوا مناطق مناسبة للاقامة والعمل واللعب، مع عدم حرمان سكانها من الإتصال بالمناطق الريفية .

وتميل المدن حاليا إلى أن تأخذ شكل خطوط مستقيمة مما يسمح بإقامة المبانى والمجارى ، والطرق والرصف ، وبما يسمح باحتياجات المرور . واعتبرت الشوارع المنحنية خطرا على الدولة [1] .

وتتأثر المناطق الحضرية فى عصرنا الحالى بالمؤثرات السسيو إقتصادية والبيئية التى تعترى أى جزء من بقاع العالم . فقد ربطت وسائل النقل الجوى والتليفزيون بين أجزاء العالم . ووضعت هذه المؤثرات فى الإعتبار عند تخطيط المدن . بل وأصبح تخطيط المدن فى الوقت الحاضر يمتد ليشمل الإقليم الواقع فيه المدينة . وتحول تخطيط المدن إلى ما يعرف « بالتخطيط الإقليمى للمدن Regional Town Planning » . فالمدينة ليست ظاهرة قائمة بذاتها ، بل ترتبط فى عوامل قيامها ونموها بالمناطق المحيطة بها والمعتمدة عليها والتى تمدها بحاجتها .

والمدينة الحديثة هى قطعة من الأرض اختارها الناس ليعيشوا عليها ويعملوا ويعلموا ويلعبوا ويتاجروا ويتعبدوا . وهى خليط من البيوت والمحلات والمصانع والمكاتب والمدارس والمكتبات والمسارح والمستشفيات والحدائق والمساجد والكنائس ، وأماكن للمقابلات ومراكز الحكومة ، ولمحطات

1 — Corbusier (Le), op. cit, p. 16

إطفاء الحرائق ومكاتب البريد . وترتبط أجزاء المدينة بعضها ببعض بشبكة من المواصلات وطرق النقل وقنوات الإتصال .

ولتنسيق هذه التسهيلات تبرز أهمية وجود خطة عامة . فالتغير فى أى جزء من أجزاء المدينة يؤثر فى الأجزاء الأخرى . فبنـاء منزل جديد يؤدي إلى إكتظاظ المرور فى الشوارع ، وكثرة الخطابات فى صناديق البريد ، وزيادة العملاء في المحلات ، وازدياد الحاجة إلى مزيد من المدارس والمياه ، وكذلك تزيد الضرائب . وتنظم الخدمة العامة المدينة من حيث تحسين الصحة والأمن والرعاية الاجتماعية ، كما تنظم إستخدامات الأرض .

ففى مصر قام عدد من الهيئات فى مناطق مختلفة فى الجمهورية بإنشاء وحدات للخدمات فى مجتمعات حضرية محلية . ومن أمثلة هـذه المشروعات الخـدمات المجمعة بمدن العمال فى شبرا الخيمة وفى المدن التعاونيـة فى الدقى بالجيزة .. وتضم مشروعات الخدمات المركزية عادة وحـدات — كبيرة أو صغيرة — لسوق محلية ومكتب بريد وتلغراف وصالة للخدمات الثقافية ومكاتب للأطباء والمحامين والمحاسبين إلى غير ذلك من الخدمات (١) .

وهكذا فإن تخطيط المدن الحديث يعد تعبيرا عن التاريخ الاقتصادى والسياسى والاجتماعى الحديث . فهى عملية تفاعـل بين الماضى والحاضر . وتنتج عن الحضارة والوجود الإنسانى . وترتبط بالمعرفة إرتباطا وثيقا .

---

١ — د. عبد المنعم شوقى : الجيزة والتنمية الحضرية نقـلا عن مجلة تنمية المجتمع — أكتوبر ١٩٧٢ ص ٥١

أهداف التخطيط الحضرى :

تظهر أهميـة التخطيط مع ظهور مشاكل المدن ، حيث تحتـاج المدن إلى مراكز للترفيه ، ووحدات للصحة العامة ، والمدارس ، ووسائل تنقية الجو من التلوث ، والإضاءة ، والإمداد بالمياه ، ومجارى الصرف ، وتنظيم حركة المرور. وبدون التخطيط تنتشر الأحياء المتخلفـة ، فيحفر لإقامـة المجـارى والإمداد بالمياه ، وتنشأ الطرق بعد إقامة المبانى . وبدون التخطيط يمتلىء حى بأطفال فى سن التعليم ، وتفتقر منطقة أخرى إلى المدارس ، وتنتج مثل هذه المشاكل من النمو غير المخطط .

ويستهدف التخطيط الحضرى الإرتقاء بمعظم الترتيبـات المساحية لأجزاء المدينة المترابطة ، وتحسين ظـروف البيئة الطبيعية فى الموقـع الذي بنيت عليه المدينة ، وفى المناطق المحيطة بها ، فى حدود ما يمكن جمعه من أموال ، وتشييد المبانى ، وتخطيط الأحيـاء والخدمات ، وإقامـة البيئات السكنية المدروسـة والملائمة ، صحيا واجتماعيا وثقافيا ، لفئات مختلفة من الأفراد ، والتى تمكنهم من إشباع إحتياجاتهم الأسـاسية البيولوجية والسيكلوجية والاجتماعية ، حتى يتمكنوا من أداء أدوارهم المختلفة .

ويتطلب ذلك تفهم واضح لطبيعة المجتمعات المحليـة الريفية والحضرية ، وكيف يعيش الناس ؟ وكيف يعملون ؟ وكيف يستهلكون ؟ وكيف يقضون أوقات فراغهم ؟ وكيف يعالجون من الأمراض ؟

ويجب أن يحقق التخطيط الآتى :—

١ — التناسب بين عدد سكان المدينة وحجمها ومساحتها الجغرافية .

٢ — التناسق بين حجم السكان ووظيفة المدينة التي تقوم بتحقيق أنماط الإتصال المختلفة .

٣ — التناسب بين إمكانيات الإطار البيئي وحجمها السكاني .

٤ — تحسين العلاقة بين المساكن والشوارع والمناطق الصناعية والخدمات العامة ، بحيث لا يطغى قسم منها على القسم الآخر ولا يحرم من إحداها حي من الأحياء ، وإيجاد نوع من الانسجام بينها جميعا .

٥ — إمكان الإبقاء على المتنزهات العامة والمناطق المكشوفة في الأحياء السكنية لتكون متنفسا للسكان ومكانا لقضاء أوقات فراغهم مع الاهتمام بالأشجار والمناطق الخضراء .

٦ — فصل المناطق السكنية بقدر الإمكان من المناطق الصناعية لتقليل ضوضاء الصناعة أو دخانها أو روائحها الكريهة حتى لا تحدث مضايقات للسكان .

٧ — تجميل المدينة عن طريق طابع معين للمباني أو عن طريق إتخاذ إجراءات معينة من شأنها ألا توجد نوعا من التنافر بين المباني بعضها وبعض .

٨ — تخصيص مناطق خاصة للأسواق وأماكن إنتظار العربات والجراجات ، بحيث تكون هذه المنطقة أو المناطق في متناول المناطق الأخرى .

مبادىء تخطيط المدن :

لكى يكون التخطيط مجديا يجب أن تراعى فيه المبادىء الآتية :—

١ — تطبيق المعرفة العلمية ومراعاة الأحكام والقيم المستقرة :

يعد التخطيط على هذا النحو ليس بعمل عشوائى ، إذ يقوم على الإستقراء العلمى والجمع والتحليل والتفسير . ففى الولايات المتحدة يقوم مكتب الإحصاء بعمل إحصاءات عن دخل الأسرة ، وحجم العائلة ، وإيجار المسكن،وظروف البناء ، وامتلاك أو إستئجار المبانى ، ومستويات التعليم ، والتركيب العمرى والمهنى ، وأوجه الصرف على الإيجار والملابس والطعام والترفيه وضرورات الحياة الأخرى .

ومع ذلك فإن التخطيط لا يقتصر على مجرد الإحصاء الشامل لكل هذه النواحى ، بل يضع فى إعتباره القيم المستقرة داخل الوحدة التى تعبر عن الشعور العام السائد . ويعنى ذلك أن التلازم والترابط بين حقائق العلم وقيم المجتمع ركن من أركان مفهوم التخطيط الحضرى .

٢ — الشمول .

إعتدنا فى بلادنا أن تكون عملية إصلاح المدن جزئية ، دون وضع خطة شاملة لعشرين سنة مثلا ، فنشق شارعا أو نبنى مصنعا أو ننشىء حديقة دون أن تكون هناك خطة مدروسة . والواجب أن تكون الخطة شاملة لكل نواحى الحياة — إقتصادية واجتماعية وعمرانية — مرتبطة بعضها ببعض .

٣ - المرونة :

لما كان من الصعوبة التنبؤ بما سوف تكون عليه ظروف المدينة بعد فترة من الزمن ، فإنه يجب أن تكون الخطة مرنة لتقابل الحاجات الجديدة التي تنشأ ولم تكن موجودة عند وضع الخطة .

٤ - التقسيم على مراحل :

لاعتبارات مالية وعمليـة يجب أن تقسم الخطة على مراحل ، وبذا يكون التغير في المدينة تدريجيا ، فتقسم التكاليف على عدة سنوات ولا تتعطل مصالح المدينـة .

٥ - اقناع الأهالي بالخطة :

سواء اشترك الأهالي بدرجة ما من درجات المشاركة ، عن طريق الصحف أو المذياع أو التليفزيون أو المقابلات والمؤتمرات ، أو لم يشتركوا في وضع الخطة البيئية ، فإنه يجب أن يفهم سكان المدينة الخطوط العريضة للتغيرات التي سوف تحدث في مدينتهم ، وأسبـاب هـذه التغيرات . كما يجب أن تعطى لهم الفرصة لنقد وتوجيه المسئولين إلى ما يرونه فيها حتى تخرج الخطة مستجيبة لحاجات الأهالي .

ما يجب مراعاته عند تخطيط المدن :

إعتاد المهندسون إطلاق مصطلح « تخطيط المدن » على التخطيط المادي للمعيشة الحضرية — أي تحديد احتياجات المدينة من مساكن وطرق ومدارس وغيرها ، ثم تحديد نسبة الأمكنة لإنشاء المباني التي سوف تضم هذه الألوان من

النشاطات . ويرى أغلب الإجتماعيين أن تخطيط المدن يضم التخطيط السياسي والإداري والإقتصادي والإجتماعي .

والواقع أن الفصل بين الجوانب الإجتماعية والإقتصادية في التخطيط يكاد يكون مستحيلا ، فهي عملية واحدة متكاملة ، وما التخطيط المادي إلا جزء من الخطة العامة الشاملة . إن تخطيط المدينة محاولة لبناء الإطار الإجتماعي لنمو الشخصية الإنسانية المتوازنة في مجتمع متكامل قادر على تلبية رغبات الجميع وإعطائهم فرصا للحياة السعيدة . ومن ثم فعندما نخطط للمدينة لابد أن يشترك في هذا التخطيط مجموعة من المتخصصين كالأخصائيين في شئون المياه والطرق وبناء المصانع والإسكان والترفيه ، هذا إلى جانب الإقتصاديين والإداريين وقادة المجتمع والمحامين ورجال المال والصحة العامة ، فضلا عن علماء الإجتماع الذين يضمون جهودهم لتحقيق القيم الإنسانية ، وذلك حتى تتحقق الخطة على أحسن وجه .

وهكذا ، فإذا كان جوهر العلم هو البحث عن الحقيقة ، فإن الحقيقة التي يجب أن يبحث عنها المهندس المعماري هي إقتصاديات الشعب وأموره الإجتماعية وتقاليده وعاداته واحتياجاته وتطوره . والتي يجب أن تنعكس على أعماله وتصميماته .

وقد أكد ذلك لويس ممفورد Mumford ، إذ حدد معايير التخطيط ، وذكر أن المخطط الحضري يجب أن يلم بخصائص الحياة الحضرية . وهنا يجد المخطط نفسه أمام صعوبة الإختيار بين النماذج المختلفة التي توجد في فكره[1].

(1) Baali, fuad & Vandiver, joseph (Eds.), op. cit. p. 359

واستخلص ويفر weaver خصائص الطبقة الاجتماعية والعوامل السلالية التى تؤثر فى عملية تجديد الحضر فى الولايات المتحدة . واهتم بموضوع السلالة واعتبرها رابطة طبقية(١) . واعتبر كلارانس پيرى Clarance Perry المدرسة مركزا للجيرة . فهى تساعد على وجود الجيرة الفيزيقية فى المجتمع المحلى ، وتعمل على ظهور المصلحة العامة بين الجيران (٢) .

وعند تخطيط المدينة يجب مراعاة النقاط الآتية :

١ ـ اعتبارات ايكولوجية (٣) :

وتتمثل فى الآتى :

أ — درجة إنحدار المصارف والمجارى والبحيرات والبرك .

ب — طبيعة التربة ، فهى التى تحدد الأساس المادى المناسب .

حـ — أساسات الأرض ومدى قوتها .

٢ ـ اتجاه الرياح :

يتضح أثر الرياح على تخطيط المدن فى تحكمها كلية فى تحديد مواقع إستعمالات المناطق وعلاقة كل منطقة بالأخرى، كما تؤثر فى توجيه التجمعات التخطيطية للمبانى بما يحقق المعدلات الملائمة من التهوية الطبيعية ، ويزيد على

---

1 — Ibid, p. 631

2 — Glazer, Nathan, The School as an Indnstrial in Planning in Baali, fuad & Vandiver joseph, op. cit. p. 403

3 — Dickey, john & others, Metropolitan Transportation Planning, P. 443.

كذلك تأثير الرياح بوضوح على توجيه الإمتداد العمرانى للمدينـــة . فبالنسبة للمناطق الصناعية وخاصة الثقيلة منها ، تصدر من معظم المصانع عوادم وأدخنة ضارة بصحة الإنسان . ومن الضرورى إنتقـاء مواقع تلك الصناعات بحيث تكون خلف المدينة بالنسبة لاتجاه الريح ، حتى لاتحمل تلك العوادم والأبخرة بمضارها إلى المناطق السكنية فتسبب إتلاف هـواء التهوية ، وكذلك يجب دراسة دورة الرياح على مدار العـام ، مع عـدم الإرتبـاط فقط باتجاه الرياح السائدة ، إذ يحدث أحيانا أن تتعارض الرياح الموسمية واليومية فى بعض فصول السنة مع إتجاه الرياح السائدة (١) .

٢ – الارض واستخداماتها :

يتوزع سكان العالم على وجه الأرض توزيعا غير عادل . فى بعض المناطق يتوزعون بمعدل ٨٥ فرد فى الميـل المربع من الأرض . وفى منـاطق التركز الحضرى يعيش ما يقرب من ٥٠,٠٠٠ فى الميـل المربع . وتبدو الكثافات السكانية المرتفعة فى كلكتا والقاهرة ونيويورك وباريس وطوكيو وشنغهاى وبونيوس إيريس (٢) .

ويقصد باستخدامات الأرض كية الأرض التى يمكن الإفادة منهـا قبل أن تمتزج إحدى الحواضر بحاضرة مجاورة وتندمج فيها والطريقة التى تستخدم فيها الأرض . إذ تبدو مزات لبعض المناطق لاستخدامها فى أغراض معينة

١ — معاذ عبد الله : المرجع السابق ص ٢١٧ .

2 — Southwick, Charles H, op. cit, p. 382

عن مناطق أخرى . ويمكن تقسيم تلك الإستخدامات إلى ثلاث فئـــات : إستخدام الأرض للمحلات التجارية ، المصانع ، المساكن . وتنقسم كل منهـا إلى فئات فرعية . إذ يقسم المصنع إلى قسمين : قسم للصنـاعات الخفيفة وآخر للصناعات الثقيلة .

ومن الضرورى أن يستخدم المخطط نسبة مئوية تقريبية لاستخدام الأرض فى المنافع العامة . غير أن هذه النسبة المئوية تختلف من مدينة إلى أخرى حسب نوع الوظيفـة التى تؤديها المدينة ، وحسب التبـاين فى الظـروف والتقـاليد فمدينـة الاسكندرية بصفتها مدينة كبرى تخدم معظم محافظات جمهورية مصر العربية ، ويخـدم ميناؤهـا دولا أجنبيـة عديدة . تحتـاج إلى مسـاحة كبيرة من الأرض لبنـاء مقار للهيئـات الإدارية والماليـة الوسيطـة . بينما مدينة حلوان ، وهى مدينة صناعية كبرى ، تنتج الصناعات الثقيلة ، تحتاج إلى نسبة أكبر من الأرض للاستخدامات الصناعية . أما مدينة مرسى مطروح ، وهى مدينة ترويحية ، فلستخدم نسبة كبيرة من الأرض لإقامة الفنـادق والمخيمات لأغراض الترويح . وبالإضافة إلى ذلك تحدث تغيرات فى العادات المحلية تؤدى إلى حـــدوث تغيرات فى النسبـــة المئوية للمساحات السكنية لاستخدامها كمساكن منفصلة كل منها لعائلة واحـــدة ، أو منشآت يسكنها العديد من العائلات [١] .

ويمثل إستخدام الأراضى السكنية العنصر الأساسى فى كل مدينة . ومع ذلك فهناك بعض المدن الصناعية الصغيرة التى تتميز سياسيا وإداريا عن المناطق

---

١ — د. زيدان عبد الباقى : المرجع السابق ص ١٠٢ — ١٠٣

التى يقيم فيها السكان . وفى مثل هذه المدن يتوفر قدر ضئيل من المساكن ، ويسودها المصانع ، والمراكز التجارية . وفى الولايات المتحدة الأمريكية يندر وجود الوحدات السكنية فى حى العمل المركزى ، وعلى وجه الخصوص فى الطوابق العليا .

وتزداد الكثافة السكانية عند حدود حى العمل المركزى . حيث تضم تلك المنطقة وحدات من المساكن القديمة ووحدات من المساكن التى أنشئت حديثا. وقد أعيد تنمية بعض المناطق ببناء عدد من العمائر الحديثة المخصصة للسكن .

وإذا تعدينا هذا الحزام من المساكن والذى يمتد إلى جميع الضواحى ، نجد مساحات واسعة يسود فيها الوحدات السكنية ذات النظام الموحد — كل مسكن يتلو المسكن الآخر . وتبدأ كثافة السكان والإسكان فى الإنخفاض كلما إبتعدنا عن مركز المدينة . وتزيد مساحات الأراضى الفضاء حول المسكن كلما قلت الكثافة السكانية [1] .

ووسط المدينة هو مركزها الإدارى ومكان العمل والترفيه والثقافة . وبصفته مركزا إداريا ، فهو ميدان يتقابل فيه الناس ، ومكان عمل الحكومة وهيئاتها ، ومقر المكاتب ومركز الشرطة . ومن حيث أنه مقر للأعمال ، فهو منطقة يشترى الفرد فيها حاجياته ، ويجرى وراء عقد صفقات ، أو البحث

---

1 — Murphy, Raymond, The American city, An Urban Geography, p. 435

عن مجالات الإختيارات التى لا تتحقق فى حدود الجيرة . ويعتبر مركز العمل كذلك مقرا للشركات التجارية والمهنية .

وبصفة مركز المدينة مكان للترفيه والثقافة ، نجد فيه الملاعب الكبرى والسينما والمتاحف والمطاعم والمقاهى . وتتقابل فيه الجماعات ذات المصالح المختلفة . وهو مجتمع النادى ، ومجتمع الموسيقى ، وغرفة التجارة . وعموما فإنه مكان يتقابل فيه أفراد يعدى عددهم جماعة الجيرة .

وحيث أن المدينة ظهرت نتيجة نمو قرية ، فإن مركز المدينة يضم المهنيين ، وهو المكان الأول لصناعة السائح .

ولأغراض تخطيط المدينة تنقسم وظائفها إلى مجموعات رئيسية :
جماعة العمل أو الجماعة التجارية . وهى تنقسم إلى تقسيمات فرعية : مراكز البيع والشراء ، والمكاتب ، وتجارة الجملة ، والجماعة الإدارية ، ومراكز الخدمة الثقافية والترفيهية وتشمل مبانى التعليم والترفيه، وتتمثل فى معاهد التكنولوجيا والمسارح (١) .

ويقوم مركز التسويق بخدمة جميع مناطق المدينة ، ووحدات الجيرة . ونصل إليه سيرا على الأقدام أو باستخدام الأوتوبيس أو السيارة الخاصة ، أو الإتصال التليفونى .

وتنقسم السلع التى تباع فى محلات التسويق إلى ثلاث فئات : السلع

---

1 — Gibberd, frederick, Towm Design, op. cit. p. 47

الرئيسية التى يحتاج إليها يوميا ، كاللحوم والأسماك وأصناف البقالة والخبز والأدوية والسجاير . وهى سلع تستهلك ، إستهلاكا سريعا ، وتمثل التجارة الأساسية فى وحدة الجيرة .

وتضم الفئة الثانية من السلع الأثاث والملابس والأحذية والساعات وما إلى ذلك وهى تمثل عنصرا هاما فى مركز المدينة . وينتج عنها ظهور تيار ثابت من حركة المرور من وإلى المدينة . وتقوم وحدة الجيرة بنسبة ضئيلة من هذه الفئة .

وتعتبر الفئة الثالثة سلعا كمالية . وهى سلع قد لا يستهدف الفرد شراءها . وتتمثل فى المجوهرات والعطور والفراء والزهور وأنواع الأغذية ذات الأسعار المرتفعة . وهى سلع حيوية بالنسبة لمركز المدينة ، وهى تجذب الناس لمشاهدتها . ويقوم قدر ضئيل من الأفراد بشراء هذه السلع من مركز وحدة الجيرة .(١)

وفى وحدة الجيرة — تعتبر المنطقة أو المسافة الأرضية عاملا هاما فى تحديد موقع المدرسة الإبتدائية . إذ يجب أن يوضع فى الإعتبار المسافة التى يقطعها التلميذ من بيته إلى المدرسة فى وحدة الجيرة التى تضم ٦٫٠٠٠ ساكنا. وهى مسافه تتراوح ما بين ¼ إلى ¾ ميل من المسكن إلى المدرسة.وينطبق نفس الحال على الملاعب وأماكن النشاطات الترفيهية (٢) .

---

1 — Ibid., p. 97

2 — Perry, Clarence A., The Neighborhood Unit formula in Branch Melville (Ed.) op. cit. pp. 47 — 48

وتلجأ كثير من الدول عند إعادة تخطيط مراكز مدنهـــا إلى التوسع الرأسى للمركز بكل إمكانياتها الإقتصادية . ويستغل الإمتداد الرأسى تحت سطح الأرض فى شبكات الطرق والجراجات المتعـددة الطـوابق ومخازن المحال التجارية .. أما فوق سطح الأرض فتمتد المبـــانى رأسيا وذلك حتى يتسنى الإستفادة من هذا الإمتداد إلى أقصى حد من الناحية الإقتصادية .

ويبدو لأول وهلة أن التوسع الرأسى له آثار إقتصادية هامة ، فلـكى يتم بناء المركز على هذا النمط فإنه يحتاج إلى تكاليف باهظة ، وهى تزداد بالطبع كلما زاد الإمتداد تحت الأرض وفوقها . ولذلك يجب دراسة مدى الحاجة الفعلية للامتداد وشكل هذا الإمتداد . حيث أن كثيرا من المدن تسمح أسعار الأراضى بها وكذلك حالتها الإقتصادية بالإمتداد الأفقى ويصبح فى هذه الحالة الإمتداد الرأسى الغير محدود عملا غير إقتصـــادى . ومن ثم فحيث تتوافر الأراضى بأسعار منخفضة نسبيا يزداد الإتساع الأفقى .

وفى أحيان أخرى يحدث العكس ، حيث تتسع مساحـــة المركز تزداد إزدحاما وارتفع أسعـار الأراضى . كما لا تتـوافر إمكانية إمتداده أفقيا لإحاطته بالمناطق السكنية المجاورة . . وفى هذه الحالة إنلجأ إلى الإمتداد الرأسى باستغلال الأرض إستغلال كاملا سواء أكان ذلك تحت سطح الأرض أو فوقها . ففى عصرنا الحالى ترتفع بعض المبانى إلى ما يزيد عن السعين طابقا فى بعض المدن ، ويؤدى هذا إلى صعوبة تكيف الفرد مع هـــذه المبـانى الضخمة . ويستلزم ذلك وجوب تضييق التفاوت بين الإنسان والبيئة بإقامة الملاعب ووسائل الترفيه وتجميل المبانى .

وتتغير أنماط إستخدام الأرض ، إذ تنتقل الشركات والمساكن من موقع إلى آخر .

وهناك بعض أنواع إستخدام الأرض فى عدد من مدن البلدان النامية ليس لها موقع محدد أو مبنى ثابت . فعدد كبير من ألوان النشاط يتم مباشرة فى الشارع أو الأماكن العامة ، على حين تستغل هذه المناشط فى المدينة الغربية مكانا معينا محددا . ويختلف هذا الإختلاط من مكان إلى آخر داخل المدينة ، ولكن الملاحظ أن الأجزاء الحديثة من المدينة تكون أكثر تفاوتا من حيث إستخدام الأرض من الأجزاء القديمة فيها . من هذا مثلا أنه من الأمور الشائعة تماما فى الأجزاء القديمة فى المدينة أن تجد ألوان النشاط السكنية والصناعية والتجارية تتم جميعا داخل نفس المنطقة ، بل فى داخل نفس المجموعة من البيوت أو داخل البيت الواحد . وكثيرا ما تجد صاحب المتجر يقيم فى متجره .

ومن المشكلات البارزة المتعلقة باستخدام الأرض فى مدن البلدان النامية مشكلة توفير الأرض اللازمة لإقامة مساكن مؤقتة للمهاجرين الجدد، ولسكان المدينة المتضخمين باستمرار .

٤ ـ الجهاز الحكومى :

يؤدى جهاز التخطيط المركزى دورا هاما فى تخطيط الأرض باصدار الكثير من القوانين التشريعية . ومن ثم فان الموقع الصناعى وتوزيع السكان فى المدن الجديدة وخطط تنمية المدن ، والمتنزهات والضواحى ، وخطط الإسكان تعتبر جزءا من السياسة القومية .

وفى عصرنا الحالى نمت مسئوليات الحكومات المحلية فى كثير من بلدان العالم ، وهى تلعب دوراً كبيرا فى إعداد مثل هذه الخطط . وهكذا يمتزج التخطيط بالسياسة ، ولا يقوم دون تأييد من الرأى العام . وقد عبر أوسبورن عن ذلك بقوله (١) : يبدو أن هناك ضغوطا علينا من أجل إنجاز الأهداف الإجتماعية للتخطيط . إذ يجب أن نحقق أغراض رجال الأعمال والعمال اليدويين والكتبة وربات البيوت ورجال الدين والمدرسين والأطباء والكتاب وجميع فئات المجتمع .

٥ ــ تخطيط الخدمات :

وهى تتضمن إعطاء سكان المدينة أحسن الخدمات اللازمة كالمياه والإنارة والمجارى التى تتفق فى حجمها ومرونتها مع حجم السكان وكثرة المبانى وكذلك مد المدينة بخدمات إنشاء المساكن والمدارس والمستشفيات والمساجد والكنائس الجديدة، وإعادة توزيع الخدمات الترفيهية والمنتزهات العامة ومراكز الشباب والأطفال، وما إلى ذلك من المرافق العامة ، والحفاظ على فاعلية المناطق التجارية، لمواجهة متطلبات تزايد السكان وتنقلاتهم . وكذلك تقصير رحلة العمل من محل السكن إلى مواقع العمل ، إما بوضع مساكن العمال قريبا من مناطق العمل أو بتيسير وسائل المواصلات ونقص أجورها . كما يجب العمل على سهولة ويسر إتصال المدينة بالمناطق الأخرى ، وخاصة بالمناطق الريفية المجاورة أو بالموانى والعواصم أو بمناطق الخامات أو بمراكز الأسواق . وكذلك إنشاء المراكز

---

1 — Cherry, Gordon, op. cit. p. 159

الإدارية والتنفيذية والخدمات التعليمية والقضائية والترويحية والشرطة بحيث لا يشعر السكان بالإرهاق للوصول إليها.

وفى كثير من مجالات الخدمات الإجتماعية ، يقوم القطاع الخاص بدور هام فيها . ويكون هذا الدور صغيرا فى حالات التعليم والصحة ، ويكون كبيرا كما فى حالة الإسكان . ففى بريطانيا يمتلك القطاع الخاص ثلثى المساكن . وفى اسكوتلاند يملك ما يزيد عن نصفها [1] .

٦ ـ مشروعات الاسكان :

يزداد سكان المدن زيادة مطردة ، كما تتقادم المساكن وتصبح غير ملائمة كما وكيفا . وتهدف مشروعات الإسكان أساسا إلى إعادة إسكان المناطق المتخلفة فى مساكن جديدة بقصد رفع مستوى معيشتهم والقضاء على كثير من المشاكل التى تأصلت فى أماكن إقامتهم القديمة .

ففى باريس زاد عمر معظم المبانى عن مائة عام . وقد قدر وزير البناء والتعمير الفرنسى أن باريس تحتاج إلى ٧٥٫٠٠٠ مسكنا جديدا سنويا لتحل محل المساكن الآيلة للسقوط ، ولتتناسب مع النمو السكانى. وأنشئت ٩٠٫٠٠٠ وحدة سكنية ، ثم إزدادت من ٥٠٫٠٠٠ إلى ٦٨٫٠٠٠ خلال الفترة ما بين

---

1 — Welber, M., Planning in An Environment of Change in Cullingworth, j. B. (Ed): op. cit p. 38

١٩٤٥ — ١٩٥٤ . ويشتمل البرنامج الفرنسي على النقاط الآتية[1] :

١ — تقوم الحكومة بمنح قروض للمواطنين لدفع عجلة البناء .

٢ — ترخص الحكومة لشركات القطاع الخاص ببناء وحدات سكنية تقوم بتأجيرها للمواطنين بإيجار مناسب .

٣ — تقوم الحكومة بمراقبة مضاربات بيع المباني .

٧ — الامداد بالمياه :

ونعنى بها مقدار كمية المياه اللازمة لمجموعة من السكان ، وطرق الإمـداد بالمياه . فمع إزدياد السكان فى المدينة ، يستغنى تدريجيا عن مياه الينابيع والآبار المحلية ، ويزداد الإتجاه لموارد المياه الأكثر غزارة كمياه الأنهار . فقلة مياه الأمطار فى سنة من السنين ، كما حدث فى نيويورك عام ١٩٥١ ، تؤدى بالمدينة إلى حافة المخاطر . وقد قامت مدينة لوس انجلوس بالتخطيط لإنشـاء قنوات ضخمة تدفق فيها المياه من شمال كندا وألاسكا إلى المدينة .

كذلك فإن إمتداد المدينة ، يؤدى إلى إنخفاض منسوب المياه الجوفية ، نظراً لردم المستنقعات وتجريد التلال من النباتات . هذا فضلا عن أن إستخدام المياه فى الصناعة وفى أجهزة تكييف الهواء يؤدى إلى زيادة الإقتراب من درجة على القحط أساس المستوى الحالى لعدد السكان .

والأمل الوحيد المرتجى لتخفيف هذه الحالة المزمنة لنقص المياه فى الحضر

---

1 — Boskoff Alvin, op. cit. p. 343

المتكدس بالسكان هو الإلتجاء إلى تقطير مياه البحر بكميات ضخمة .

٨ ـ التخطيط للمواصلات :

وهي تتضمن بناء الشوارع والكبارى ، وغيرها من وسائل الإنتقال ، إذ تعمل إستراتيجيات التخطيط فى المدن الكبرى فى العالم على مواجهة حركة المشاة ونقل السلع بالتحديد الكمي لاحتياجات المدينة من وسائل النقل والشـــوارع والكبارى والممرات التى تنشأ تحت الأرض .

ومع نمو عدد سكان المدينة وحجمها ، تزداد الحاجة إلى مزيد من وسائل المواصلات ولتخفيف حدة مشكلة المواصلات ، أعيد تقسيم بعض المدن — كما حدث فى لندن — إلى مراكز شبـــه مستقلة بإدارة شئونها ، وحصل أربعون فى المائة من السكان الذين يبيتون فيها على أعمال داخل نطاق مراكزهم المحلية ، وذلك لتقليل القيام بالرحلات الضرورية فى أرجاء المدينة .

ويحسب مهندسو النقل عدد وسائل النقل التى تستخدم الطرق الرئيسية ، ويقيسون الحجم الإجتماعى للنقل وحركة المرور وساعات الضغـط . وعادة ما تستكمل هذه الحسابات بمسوح إستطلاعية وأساسية لتحديد كية ومقـدار النقل الذى يحول بشكل ملائم من الشوارع الأكثر إزدحاما إلى الطرق البديلة تخفيفا عن كاهل الطرق الرئيسية وإنقاذا بهـــذه البيانات يستطيع مهندسو الطرق الرئيسية أن يحسبوا عدد وعروض الشـــوارع الضرورية ويضعوا مقترحاتهم بالنسبة للانشاءات الجديدة أو بالنسبة للتغيرات فى الشوارع القـائمة بالفعل . وإتجهت بعض المدن إلى تحديد الطرق الرئيسية التى تسير فيها العربات وطرق أخرى لسير المشاة .

ويعتبر نسق إستخدام الشوارع عنصرا هاما فى نمط إستخـدام الأرض فى المدينة . وفى كثير من المناطق الحضرية تخصص نسبة معينة من مساحـــة أرض المدينة ـــ حوالى الثلث ـــ لإقامة الشوارع . ويشـكل نسق الشوارع إطار المدينة : الحجم والشكل وعدد المبانى وشكلها . ويتبين أهم الشـوارع فى أنها ليست مجرد وسيلة لنقل الأفراد والسلع ، ولكنها كذلك وسيلة للاضاءة والتهوية . وتحت سطح الشوارع توضع الأجهزة الخاصة بالخدمات التليفونية والتلغرافية وأنساق توزيع الكهرباء .

وفى كثير من الأحيان يعترى الشوارع بعض التغيرات . فقد يتسع عرضها أو تمتد ، أو يعاد تنظيم إستخداماتها ، وقد تتغير إلى طرق سريعة ، أو تتحول إلى منتزهات ، أو توصل إلى طرق فرعيـــة . وقد يستخدم عليها خطوط الأوتوبيس أو الترولى .

ويعتبر التغير فى حاجات المرور من أهم العوامل التى تؤدى إلى تغيير نسق الشوارع ، وقنوات الإتصال . كما يعتبر نتيجة لعملية نمو المدن (١) .

تنقسم حركة المرور إلى التصنيفات الآتية (٢) :ـــ

١ ـــ حركة مرور السلع الثقيلة .

٢ ـــ حركة مرور السلع الخفيفة .

---

1 — Mitchell, Robert B. & Ralph, Chester, the Influence of Land Use Patterns in Branch, Melville (Ed.), op. cit p. 71.

2 — Corbusier (Le), op. cit. p. 161

٣ — حركة المرور السريعة .

ويجب أن يوضع فى الإعتبار أن كثيرا من المدن ستمتد أحيانا خارج حدودها ، وتبتعد من مراكزها . وعليه يجب إنشاء الشوارع التى تسمح بالإنتقال من وإلى الأحياء التى أنشئت حديثا .

ومن أهم العوامل التى يجب تقديرها على وجه الدقة إنشاء خطوط نقل تحت الأرض ، والقناطر والطرق العامة الإضافية ، وكذلك ممرات تحت الأرض . ويفضل إنشاء أجهزة تكييف الهواء فى الممرات فى المدن التى تمتاز بشدة الحرارة أو البرودة .

اجراءات تخطيط المدن :

يجب أن تمر عملية التخطيط فى المراحل الآتية سواء بنفس الترتيب أو بترتيب آخر . وحتى إذا ما اختلفت التفاصيل ، فإن الخطوات الرئيسية تظل واحدة باستمرار . وتبدى هذه الإجراءات فى الآتى :—

١ — إنشاء أجهزة تشرف على عملية التخطيط . ويتمثل ذلك فى هيئة التخطيط ، وهيئة تنمية المجتمع المحلى . وتقوم هذه الأجهزة بتجميع كل الوثائق المتعلقة بمجتمع المدينة مثل الخرائط والإحصاءات وحصيلة الضرائب المحلية وتعداد دقيق لكل وجوه النشاط ، وتحديد واضح للموضوعات والوظائف ، وأسبقيات الأنشطة فى المنطقة ، واستخدامات الأرض ، ومواقع الطرق ، والتغيرات التى تعترى المنطقة ، والأهداف ، فى ضوء أيديولوجية المجتمع العامة

كما تقوم بتحديد الصعوبات القائمة مع بيان الوسائل التي يمكن عن طريقها، التغلب عليها .

٢ — وضع خطة عامة للدولة وتشتمل على الآتى :—

أ — توزيع أماكن الصناعة في الدولة .

ب — تحديد أماكن الإمتداد الزراعي .

حـ — توزيع أماكن البيع والشراء .

د — الطرق العامة فى الدولة .

هـ — الحدائق العامة فى الدولة .

٣ — وضع خطة إقليمية لكل إقليم من الدولة ، وتشتمل على نفس النقاط ولكن على مستوى الإقليم .

٤ — القيام بمسح إجتماعى شامل لتجميع الحقائق من مجتمع المدينة المراد تخطيطها ، ويشتمل هذا المسح على :

أ — المعرفة بالظروف المناخية للمنطقة ، والتربة ودرجة الحرارة والرطوبة والرياح والعناصر الكيمائية والحيوية والضوضاء والعذب والإنفجارات والزلازل والبراكين ، وكل ما يحيط بالإنسان ، ووسائل الأمن النووى .

ب — تاريخ المدينة وكيف نشأت والديناميكية العضوية لها .

جـ — حركة ونمو وتوزيع السكان .

د — المحددات السسيو اقتصادية والتنظيمية والثقافية والتكنولوجية.

هـ — مصادر المدينة الطبيعية .

و — توزيع إستعمالات الأرض سواء كانت مبانى سكنية أو محلات أو أسواق ، أو مستشفيات أو مدارس ، أو أمكنة ترفيهية أو مصانع تمهيدا لتقسيم المدينة إلى أقسام يستعمل كل منها لغرض معين .

ز — المواصلات ومشاكلها ، والشوارع والطرق الرئيسية .

ح — الإمداد بالمياه والإضاءة والمجارى .

ط — المشكلات الاجتماعية للمدينة .

الصعوبات المتصلة بالتخطيط الحضرى :

يظهر عند تخطيط الحضر مشاكل وصعوبات تتعلق بالإدارة والإستثمار والصحة والأمن والاعتبارات البيئية ، نوردها فيمايلى :

١ ـ ملكية الارض :

تحتل ملكية الأرض أهمية كبرى فى الصعوبات التى تواجه التخطيط الحضرى . إذ تمتلك الحكومة وكذلك المواطنون فى المدن أجزاء من الأرض . وبالرغم من الإختلافات الكبيرة من مدينة إلى أخرى ، فإن الأفراد يمتلكون « ملكية خاصة » فى المتوسط ٥٥ ٪ ، وتمتلك الحكومة نحو ٤٥ ٪ من الأرض ، وهى التى تتمثل عادة فى الشوارع العامة والمتنزهات والملاعب والمدارس والمبانى الحكومية، بينما يمتلك الأفراد أو الجماعات الأراضى التى تشغلها المساكن والمحلات التجارية الكبرى والمصانع وأماكن الترويح.

هذا وكل من الحكومة والمواطنين العاديين يمتلكون مساحات مختلفة من الأرض الفضاء . وقد تتعارض الملكية الخاصة للأجزاء الصغيرة من أرض البناء أحيانا مع السيطرة الفعالة على الأرض الفضاء من المدينة ، إذا كان المالك يتمتع بحقوق غير محدودة فى إستخدام أرضه طبقاً لرغباته ، فإنه قد يبنى مخزنا أو مصنعاً فى منطقة سكنية مهجورة ، وكان هناك قليل من الملاك يرغبون فى تحسين جيرتهم سواء بتحسين منازلهم القديمة أو بناء منازل جديدة ، فإنه يصعب عليهم ذلك إذا لم يتجاوب الجيران معهم فى تحسين منازلهم . وإذا تعهد مقاول قطاع خاص بالبدء فى مشروع حى متخلف ، فإن المالك الذى لا يملك سوى قطعة أرض صغيرة يمكن أن يعرف خطة تحسين تخطيط المنطقة المجاورة أو المحيطة بقطعته الصغيرة أن يطلب ثمناً باهظاً لا يتناسب مع ما تحدده سعر السوق يومئذ .

٢ — الحدود الادارية التعسفية

يتطلب التخطيط الحضرى أن تكون المدينة وحدة طبيعية متكاملة . ولهذا لا يقتصر التخطيط على المساحة التى تبنى من المدينة ولكنه يشمل أيضا الأجزاء المجاورة غير المأهولة بالسكان والتى من الضرورى تنسيقها لضمان النمو المتكامل للمدينة فى المستقبل ، ولضمان النسبة المعقولة لسكانها . هذا ويلاحظ أن معظم المجتمعات المحلية للمدن الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية تحتوى على تقسيمات إدارية فرعية مثل البلدية المركزية ، ومدن الضواحى والمدن الصغيرة المجاورة والمقاطعات . ومما هو جدير بالذكر أن إنعدام التكامل الإدارى الشامل داخل المدينة الواحدة يجعل من الصعب تكوين سياسة أو خطة plan متكاملة أو جهاز للادارة ، لكى يؤدى التخطيط وظيفته .

٣ ـ عدم انتظام المواقع السكنية فى البيئة :

تحتل كل مدينة موقعا بيئيا فريداً ، فالتلال Hills فى مدن القاهرة وأسوان ، والوديان فى مدن طنطا والمنيا ، والشوارع المطلة على البحر وغيرها من الملامح الطبيعية فى الإسكندرية وبور سعيد ـ مثلا ـ تجعل من موقع كل مدينة صورة مختلفة عن غيرها من المدن الأخرى . وبالتالى فإن تخطيط أى مدينة يختلف فى عدة إعتبارات عن تخطيط مدينة أخرى . كذلك فإن بعض الأماكن لها مميزات خاصة ، فالأراضى النحتية والصخرية التكوين تؤثر فى الأساس وفى وسائل التصريف الجوفى وغير ذلك مما يؤثر فى تكلفة الأساس . والأرض الصلبة لها مزاياها وعيوبها، وتؤثر الطبوغرافيا فى طرق المواصلات وفى خطوط السكك الحديدية الثقيلة التى تحتاج إلى طرق مستوية . والنقل بدوره يؤثر فى إختيار مواقع الصناعة والمخازن . ومن واجب مخطط المدينة أن يضع فى إعتباره كل تلك الأمور عند التخطيط المدينة .

٤ ـ بقايا الانشاءات القديمة :

أنشئت المجتمعات المحلية فى مصر ، بل وفى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من المجتمعات المتقدمة بدون أى إعتبار لتخطيط حضرى مسبق . وحتى فى المدن التى خطط لها ، فقد إزدادت حجما ، حتى فاقت كل تصور مسبق للتخطيط . ونتيجة لذلك ، فانه من الضرورى أن تسهم الحكومة فى حل هذه المشكلة . وقد بدأ بالفعل مخططوا المدن يزاولون نقل المبانى تمسها . فالشوارع أصبحت ضيقة ، بالرغم من أنها كانت تتسع فى الماضى لعربات الخيل ، إلا أنها لم تتسع لسيارات النقل الحالية . كذلك فان المصانع التى

كانت قائمة فى أطراف المدينة ، أصبح أصحابها يجدونها وقد أحيطت بمناطق سكنية آهلة بالسكان . كما أصبحت المساكن القديمة التى أعدت لسكن عائلات منفردة تشغل الآن مساحات تتطلبها الضرورات الحالية لإنشاء عمائر لها أكثر من عائلة – أى عمارة سكنية .

إن هذه التركة التى تتكون من الإنشاءات القديمة لم تعد تكفى لمواجهة حاجات السكان الحاليين ، بل وتشكل مشكلات وعقبات للتخطيط الحضرى ، ذلك أن توسيع الشارع بمقدار عشرة أمتار قد يتطلب نفقات باهظة .

٥ – النمو السكانى :

إن الطابع الديناميكى لأغلب المدن يجعل التخطيط لمدى زمنى طويل مخاطرة كبيرة . وربما أتاحت لنا وسائل الإحصاء الحديثة مقدرة معينة على التنبؤ بمستقبل النمو السكانى ما لم تتدخل عوامل غير منتظرة . ومثال ذلك أن سلطات الحكم المحلى فى المدينة ما لم يكن لديها السلطة الكافية لتحديد عدد المهاجرين إليها ، فان المدينة قد تنمو حجما لدرجة يختل معها التكامل الإجتماعى ، وتنهار على أساسها مستويات المعيشة ، وتنخفض معها أيضا مستويات الإسكان ، وتزداد المناطق المتخلفة حجما ، وتتفاقم فيها المشاكل .

٦ – وجود جماعات تشكك فى سياسة الاسكان :

قد يقع المخططون تحت تأثير جماعات خاصة فى المدينة فيوجهون السياسة التخطيطيه إتجاهات لا تخدم مصالح مجتمع المدينة ككل . . ومثال ذلك أن هذه الجماعات نتيجة لتأثيراتها المتعددة على أجهزة التخطيط قد تشكك أو تثير

تحفظات فيما يتعلق بسياسة الإسكان إذا كان فى الخطة بناء مساكن قريبة من مساكنهم لأنهم يخشون أن يسكن هذه المساكن سكانا ينظرون إليهم نظرة أقل أو قد يعتبرونهم من طبقة دون طبقتهم . ولهذا تميل بعض المجتمعات إلى وضع أجهزة التخطيط تحت الرقابة المباشرة لسلطات الحكم المحلى التى تخضع لدورها للتنظيمات الشعبية التى تقر المبادىء العامة للخطة دون تفاصيلها التى تترك للأخصائيين (١) .

٧ ـ الصعوبات المالية :

قد تقف الصعوبات المالية عائقا فى كثير من الأحيان فى بلوغ التخطيط. ويظهر هذا عندما تزداد المدينة حجما وتصبح ميزانيتها غير متكافئة مع نواحى الصرف المتزايدة ، الأمر الذى يمكن حله عن طريق الحكم المحلى الذى يعمل من خلال التنظيمات الشعبية بزيادة الضريبة الموجودة فعلا أو بفرض ضرائب جديدة (٢) .

1 — Quinn, james A. Urban Socictogy, p.p. 385 = 387

وانظر زيدان عبد الباقى : المرجع السابق ص ١٣٩ — ١٤٣

٢ — د. محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط ص ١٨٠

المراجـــع

أولا : المراجع العربية

١ — د. أحمد النكلاوى : القاهرة - دراسة فى علم الإجتماع الحضرى - دار النهضة العربية ١٩٧٢ .

٢ — د. أحمد كمال ، د. كرم حبيب برسوم : علم الإجتماع الحضرى - دراسة بنائية وظيفية للمجتمع الحضرى - دار الجيل للطباعة ١٩٧٣ .

٣ — د. السيد عبد العاطى السيد عبد الله: محاضرات فى علم الإجتماع الحضرى - مذكرة - دار المعرفة الجامعية ١٩٧٨ .

٤ — أمين الخولى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر اليونانى والرومانى والعصر الإسلامى - المجلد الثانى - مكتبة مصر - بدون تاريخ .

٥ — توفيق أحمد عبد الجواد : تاريخ العمارة الحديثة فى القرن العشرين - جـ ٤ - المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٢ .

٦ — د. حسن الباشا وآخرون : القاهرة - تاريخها - فنونها - آثارها - دار الكتاب الجديد ١٩٧٠ .

٧ — د. حسن الساعاتى : التصنيع والعمران - بحث ميدانى الإسكندرية وعمالها - دار المعارف ١٩٦٣ .

٨ — د. زيدان عبد الباقى : علم الإجتماع الحضرى والمدن المصرية - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٤ .

٩ — د. صمويل باسيليوس : الإجتماع الحضرى — دار المعارف ١٩٧٤ .

١٠ — د. عاطف وصفى ، د. عبد الهادى الجوهري : دراسات فى علم الإجتماع الحضرى ـ المجموعة الأفريقية ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .

١١ — د. فؤاد الصقار : التخطيط الإقليمى ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة العربية ١٩٧٤ .

١٢ — د. عبد المنعم شوقى: علم الإجتماع الحضرى ـ مكتبة القاهرة الحديثة الطبعة الثالثة ١٩٦١ .

١٣ — د. عبد المنعم محمد بدر : مجتمعنا الريفى ـ دراسة تحليلية مقارنة فى علم الإجتماع ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

١٤ — د. عبد المنعم محمد بدر : دراسات فى التنمية الريفية ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٩ .

١٥ — على المليجى مسعود : تخطيط مدينة يافا ـ مطبعة مصر ١٩٥٠ .

١٦ — د. كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر ـ الألف كتاب رقم ٢٥٣ ـ مكتبة النهضة المصرية .

١٧ — د. كمال سعيد ، د. حسن همام ، د. سعد جمعه : علم الإجتماع الحضرى ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٧ / ١٩٧٨ .

١٨ — د. محسن زهران : فلسفة التصميم ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

١٩ — محمد إبراهيم محمد: مركز المدينة المعاصرة ـ رسالة ماجستير مقدمة لقسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ـ غير منشور ـ ١٩٧٥ .

٢٠ — د. محمد الجوهرى ، د. علياء شكرى ، د. السيد محمد الحسينى ، د. محمد على محمد : دراسات فى علم الإجتماع الريفى والحضرى ـ دار الكتب الجامعية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٥ .

٢١ — د. محمد بدر الدين الخولى : المؤثرات المناخية والعمارة العربية ـ دار المعارف ١٩٧٠ .

٢٢ — د. محمد خليل نايل، د. محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة ـ الجزء الثانى ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٩٤٣ .

٢٣ — د. محمد عاطف غيث : علم الإجتماع الحضرى ـ مدخل نظرى ـ دار المعرفة الجامعية ـ ١٩٧٩ .

٢٤ — د. محمد عاطف غيث : التغير الاجتماعى والتخطيط — دار المعارف — الطبعة الثانية — ١٩٦٥ .

٢٥ — د. محمد عوادحسين وآخرون: تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور — محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ .

٢٦ — محمد كامل البطريق ، محمد جمال شديد : تنمية المجتمع المحلى — دراسة تحليلية للأساس النظرى لمنهج تنمية المجتمع والأبعاد الرئيسية لمدى تطبيقه بفاعلية فى المجتمعات الريفية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٦٩ .

٢٧ — د. محمود الكردى : النمو الحضرى — دراسة الظاهرة الاستقطاب الحضرى فى مصر — دار المعارف بمصر ١٩٧٧ .

٢٨ — د. مصطفى الخشاب : مقدمه فى دراسة علم الإجتماع الحضرى — القاهرة مطبعة لجنة البيان العربى — الطبعة الأولى ١٩٥٩ .

٢٩ — معاذ أحمد محمد عبد الله : المناخ والعمارة — دراسة تحليلية للعوامل المناخية وآثارها على عمارة المناطق الحارة — رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العمارة بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ـ غير منشورة ١٩٧٥ .

٣٠ — د. نبيل السمالوطى: التنمية والتحديث الحضرى ـ الجزء الأول تحليل

للأبعاد الإجتماعية والنفسية التنمية الإقتصادية ـ مطبعة الجبلاوى ١٩٧٥

ثانيا : المراجع الأجنبية (مترجمة)

٣١ — بريز (جيرالد) : مجتمع المدينة فى البلاد النامية ـ دراسة علم فى الإجتماع الحضرى ـ ترجمة وتعليق د. محمد محمود الجوهرى ـ القاهرة ـ دار نهضة مصرى للطبع والنشر ١٩٧٢ .

٣٢ — كولانج (فوستيل دى) : المدينة العتيقة — ترجمة عباس بيومى — مراجعة عبد الحميد الدواخلى ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ .

٣٣ — ممفورد (لويس) : المدينة على مر العصور ـ أصلها وتطورها ومستقبلها ـ إشراف ومراجعة وتقديم د. إبراهيم نصحى ـ الجزء الأول — مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .

٣٤ — — ——————————— الجزء الثانى .

ثالثا : المجلات المصرية

٣٥ — مجلة تنمية المجتمع ـ عدد خاص ـ التنمية الحضرية ـ أكتوبر ١٩٧٧ .

٣٦ — مجلة الطرق العربية ـ مجلة تصدرها جمعية الطرق العربية ـ العدد الثانى ـ مطبعة أطلس ١٩٨٠ .

37 — Allen, Irving Lewls, New Towns and suburpan Dream, washington, London, Kennikat Press Publication, 1977.

38 — Baali, fuad & Vandiver, joseph (eds) urban sociology contemporary Readings, New York, Appleton, Crofts Meredith corporation 1970.

39 — Baker, Thelmas. (ed) The urbanization of Man A Social Science Perspective, The united state of America, Mc-Cutchan publishing corporation, 1972.

40 — Bergel, Egon ernest, urban sociology New York, Toronto, Lonon, Mac Graw Hill Book company, 1956.

41 — Boskoff, Alvin, The sociology of urban Region. New York, Appleton, Century, Croft – Educational Division, Second Edition 1972.

42 — Branch, Melville (Ed) urban planning Theory, Halsted Press / A Division of john Wiley 8 Sons Inc : , 1975.

43 — Briant S, Laughlin M : C., Control and urban Planning, London, faber & faber Limited, first published 1973.

44 — Drwell, John, Social foundation of Education, Joon wiley & sons, Inc., 1971.

45 — Cherry. Gordon E. The Evolution of British Town Planning, A History of Town Planning in the United Kingdom during 20 th century & of Royal Town Planning Institute, 1914 — 1974. Leonard Hill Books, 1974.

46 — Corbuisier (Le), The city of, To-morrow & Its Meaning, Translated from the 8 th french Editon of urbanism by frederic Erchells. London, the Architecture Press, 1971.

47 — Culllbgworth J. B. Problems of urban Society George Alien & Unmin, 1972.

48 — Dickey, Jonn W. & others, Metropolitan Transportation Planning, Washington, Scripta Book Company, 19̣75.

59 — Ehrlich, paul R. & Ehrlich, Anne H. Population Resources Environment, Issues in Human Ecology, San Francisco, W. H. freeman & company. 1970.

50 — Gallion, Arthur B. & Eisner, simon. The urban pattern, city planning & Design, New Delhi. Non Nostrand Reinhold Company, Affiliated East - west Press P.V.T. L.T.D. 1965.

51 — Gilberd, frederick, Town Design, London, The Architectural Press, Third Edition, 1959.

52 — Green, A W. Sociology - An Analysis of life in Modern Society, Mac Graw Hill Book company, fourth Edition 1964.

53 — Habenstreit, Barbara, Cities in the March of Civilization London, Glascow, New Colbin Publisher franklin watts Inc, 1973.

54 — Hadden, jeffery K. & Barton. Josef J. (Eds) New Towns & Suburban Dream, Ideology & utopia in Planning and Development, National University Publication Kennikat Press, 1977.

55 — Heer, David, Society and population foundation of Modern sociology Series, New Delni. Prentice Hall of India Private Limited, 1969.

56 — Horton, Paul B. L Hunt, chester E., Sociology, Mac Graw Hill Book company, fourth Edition 1976.

57 — Larsen, Laurence H, The urban west & the End of the frontier. The Regents Press of Kansas Laurence, 1978.

58 — Mann, Peter H :, An Approach to urban Sociology, New York, Routledge L Regan Paul, The Humanities Press 1970

59 — Menen, Aubrey. Gities in the Sand, London, Thames and Hudson, 1972.

60 — Morris, R.N., Urban Sociology, Studies in sociology, London, George Allen & unwin L. T. D. 1972.

91 — Murphy, Raymond, The American City An urban Geography Mc Graw - Hill Book Company, Second Ecditon, 1974.

62 — Ogburn, Willian F., A Hand Book of Sociology. Regan Paul L. T. D. 1956.

63 — Park Robert (Ed) The city, chicago, the university of chicago Press, 1968.

64 — Park, Robert Ezra, Human community, the city & the Human Ecology, The press elencoe, Illionois, 1952.

65 — Parson. Talcott, societies, evolutionary and comparative perspective, Englewood cliffs. New Jerey Prentice, Hall, Inc :, 1966.

66 — Quinn, James A, Urban Sociology, New York, Cincinnet; Chicago American Book company, 1955.

67 — Reinhardt, James M. & Paul Meadoves & John. M. Gillette, social problems & social Policy. American Book company, 1961.

68 — Richards, Brian; Moving in the cities, Collier Mac Millan Publishers, L. T. D. 1976.

69 — Rouceck - Joseph s., Contemporay Sociology - urban Sociology. New York, Borrows' place, Muncicipal Library. Philosophical Library, 1958.

70 — Sharpe. Grant W. (Ed), Interpreting the Environment New York. London, Sydney, Toronts, John wiley L Sons, 1976.

71 — Southwick, charles H., Ecology & the Qvality of Environment. New York, Cincinnet.; Millbrae, Second Edition, D. Van Yost and company. 1976.

72 — Trystam. Jeam - Paul, Sociologie et urbanisme, Pares Édition de L'Edi, 1970.

73 — Worseley. Peter & Peters, Introducing Sociology. Penguin Internotional Edition. First Published, 1970.

74 — Zahran, Mohsem, challenges in urban environment, Beirut Lebanon, Beirut Arab university, 1973.

75 — Benton, Willian (Publisher) Encyclopaedia Britannica, A Survey of Universal Knowledge, Printed in the U. S. A. vol. 22, 1966.

76 — Urbanization. Its Problems & consequences, Report of Seminar on Social Problems & consequences of Urbanization, Held in Nairobi, Kenya, from 26 th November to 6 th December, 1967, Sponsored by the International Council of Social welfare in Co operation with Its National communities for Kenya - National council of Social Service and Germany.

للمؤلف

أولا - كتب منشورة

١ — تطور النظم الإجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع — الناشر — الهيئة المصرية العامة للكتاب — فرع الاسكندرية — ١٩٧٢

٢ — الإستعمار فى القرن العشرين — الناشر — الهيئة المصرية العامة للكتاب — فرع الاسكندرية — ١٩٧٥ .

٣ — الإدعاءات الصهيونية والرد عليها — الناشر — الهيئة المصرية العامة للكتاب — فرع الاسكندرية — الطبعة الثانية — ١٩٧٧ .

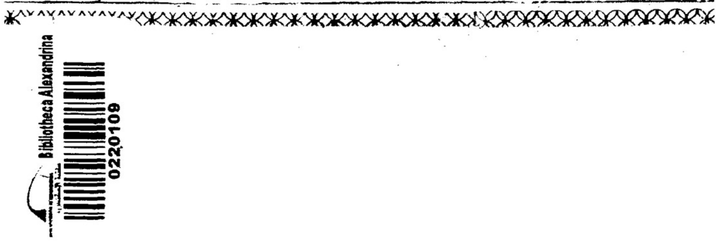
٤ — ميادين علم الإجتماع ومناهج البحث العلمى — الناشر — الهيئة العامة المصرية للكتاب — فرع الاسكندرية ١٩٧٧ .

ثانيا - مذكرات

٥ — دراسات فى المجتمع والحياة الاجتماعية ١٩٦٩ .

٦ — التفرقة العنصرية ١٩٧١ .

٧ — القيم الإجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع ١٩٧٥ .


Bibliotheca Alexandrina
0220109